GAZI HUSREV-BEGOVA BIBLIOTEKA
THE GAZI HUSREV-BEY LIBRARY

R= 1000

GAZI HUSREV-BEGOVA BIBILIOTEKA
THE GAZI HUSREV-BEY LIBRARY

| | | |
|---|---|---|
| Signatura:<br>Self mark : **1000** | Kataloški br.:<br>Catalogue no.**204** | Film br :<br>Film no : 25 |

| | |
|---|---|
| Naslov djela:<br>Title :<br>**انوار التنزيل و اسرار التأويل**<br>**Anwâr at-Tanzil wa asrâr at-T'awil** | Ime pisca:<br>Name of author :<br>**Abû Sa'îd 'Abdullah b. 'Omar b. Muḥammad al-Bayḍâwî**<br>Prevodilac :<br>Translator : |
| Ime prepisivača :<br>Name of rewriter :<br>**H. Sulaymân b. ad-Daqiq** | Mjesto i datum prepisa ili štampanja :<br>Place and date of transcription or printing :<br>**1200/1785** |
| Jezik :<br>Language :<br>**Arapski / Arabic** | Vrsta pisma :<br>Type of writing :<br>**Nasḫ** |
| Format rukopisa i teksta :<br>Format of the manuscript and text :<br>**24,5 x 18** | Broj listova :<br>Number of sheets :<br>**1-306**<br>Broj redova :<br>Number of lines : |
| Tematika :<br>Subject matter :<br>**Kur'ân / Qur'ân**<br>Tip djela :<br>Type of the work | Napomena :<br>Note : |

اشبو نسخهٔ شريفه جنتى زاده مصطفى بن فيض الله
بك بن اسماعيل بك اولاد ذكورنه اولاديه وقفيدر
بشرط ان لا يخرج من البيت حرر في اليوم الثالث
والعشرين من شهر شوال المكرم لسنة تسع وثمانين
ومائتين والف
١٢٨٩ سنه

GAZI HUSREV BEGOVA BIBLIOTEKA SARAJEVO

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين رضي الله عنهم ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل مسؤول سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية

والأحكام

والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي رحمهم الله وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول أم سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلهما اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه وتقديم المعمول هاهنا أوقع كما في قوله بسم الله مجراها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله أقرأ وهذا وما بعده إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله أسماك سمى مباركا آثرك الله به إيثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتها سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى لأنه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة

ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله عز وجل تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الكريمة الموضوعة عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال باسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه عز وجل او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله بالفتح الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله بالكسر اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره سبحانه وتعالى والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه عز وجل محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع

وكبار

---

وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ويا رحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا او لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره تعالى لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الاي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله

لجريهم على سنن الاستماع وقيل عُني به الناس ههنا فإن كل واحد منهم عالم من حيث إنه يشتمل
على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما أبدعه في العالم
ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون
وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات
كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم
كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله
يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك يوم الدين وهو المختار
لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما فيه من التعظيم والمالك
هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من المِلك والمَلِك هو المتصرف بالأمر والنهي
في المأمورين من المُلك وقرئ مَلْك بالتخفيف ومَلَكَ بلفظ الفعل ومالكاً بالنصب على المدح
أو الحال ومالكٌ بالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف ومَلِكُ مضافاً بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة
أهل الدار ومعناه مالك الأمور كلها يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب الجنة أو له الملك
في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه
أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه رباً للعالمين
موجداً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكاً لأمورهم يوم
الثواب والعقاب للدلالة على أنه سبحانه وتعالى الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه أحد
سواه فإن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف
بتلك الصفات لا يستأهل لأن يحمد فضلاً عن أن يعبد ليكون دليلاً على ما بعده فالوصف الأول
لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك
الإنعام مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال
حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فإنه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد
للحامدين والوعيد للمعرضين إياك نعبد وإياك نستعين ثم إنه تعالى لما ذكر الحقيق بالحمد
ووصفه بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك
أي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقي
من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول
مشاهداً والغيبة حضوراً بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر
والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه
ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً

اللهم

اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول
من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع فيعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم
وبالعكس كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى الله الذي أرسل الرياح
فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود
وإيا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة
ولا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أرأيتك وقال الخليل إيا مضاف إليها
واحتج بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه
وقيل هي الضمائر وإيا عمدة فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل به
وقيل الضمير هو المجموع وقرئ إياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية الخضوع
والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل
إلا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غيرها والضرورية ما لا يتأتى الفعل
دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل
بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة
في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه
صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين
للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في
عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون
نظره إلى المعبود أولاً وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث
إنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف إنما يحق وصوله إذا استغرق
في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من أحوالها
إلا من حيث إنها ملاحظة له ومنتسبة إليه ولذلك فضل ما حكاه الله عز وجل عن حبيبه عليه السلام
حين قال لا تحزن إن الله معنا على ما حكاه عن كليمه حين قال إن معي ربي سيهدين وكرر
الضمير للتنصيص على أنه تعالى هو المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق
رؤوس الآي ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة وأقول لما نسب المتكلم
العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله وإياك نستعين
ليدل على أن العبادة أيضاً مما لا يتم ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال
والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة

فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو إفراد لما هو المقصود الأعظم والهداية دلالة بلطف
ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وأصله أن يعدى باللام أو إلى فعومل معاملة اختار
في قوله واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة
الأول إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة الثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار
حيث قال وهديناه النجدين أي طريقي الخير والشر وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله تعالى
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وبقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف
على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم
يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه
أو حصول المراتب المترتبة عليه فإذا قاله العارف بالله الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا
ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والأمر
والدعاء يتشاركان لفظاً ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط
من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي لقماً لأنه يلتقمهم والصراط
من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في الإطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب
إلى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالأصل وحمزة بالإشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق
في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الإسلام
صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الأول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث
إنه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه
بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي
لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء
عليهم السلام وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط
من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان
فأطلقت لما يستلذه الإنسان من نعمة الإسلام [illegible] وإن كانت لا تحصى
كما قال الله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي
والأول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها

بالأخلاق

بالأخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة
وحصول الجاه والمال والثاني أن يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة
المقربين أبد الآبدين والمراد منه هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا
ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة
وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك إنما يصح بأحد التأويلين إجراء الموصول
مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني وقولهم إني
لأمر على الرجل مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد
وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل
أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام
فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل
بخلاف الأول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين
ولذلك جاز أنا زيداً غير ضارب كما جاز أنا زيداً لا ضارب وإن امتنع أنا زيداً مثل ضارب
وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمداً أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين أدناه وأعلاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله
وغضب عليه ولا الضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وقد روي مرفوعاً
ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة ولا الضالين الجاهلون بالله لأن المنعم عليه من وفق
للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة
والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمداً وغضب الله عليه
والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم للفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح
كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبداً قال آمينا وقال
أمين فزاد الله ما بيننا بعداً وليس من القرآن وفاقاً لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام
علمني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وفي معناه
قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الإمام ويجهر به
في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه عليه السلام كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين
ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عبد الله
ابن مغفل وأنس رضي الله عنهما والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام إذا قال الإمام ولا الضالين
فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأبي ألا أخبرك بسورة

لم ينزل في التورية ولا الانجيل والفرقان مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع الله تعالى عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

## سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي

المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في با اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المتقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاي والواو والفاء نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها في الاسماء وثلاثة في الافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف

HUS EV BEGOV… SARAJ…

واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم
ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل عليه السلام والميم من محمد
عليه السلام اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام او الى مدد اقوام وآجال
بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم
الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا
فلا ندري بأيها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل
على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات
كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث
انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس
في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ
لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث انها
فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات
معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف
منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات [illegible]
لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل
فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان
غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت
اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء الحروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم
جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول
اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو المقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك
اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول
يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج
واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون
اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى
ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى
او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم

على

على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا
والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا
ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت
بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون
كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها
ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين
واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات
وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر
بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما
يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب
فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة
قبل ان تكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع
برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب
فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق
المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها
تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير
المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابك الشيء اذا حصل فيك الريبة
وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك
الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم
الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية
[illegible] مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن
اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم هم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته
عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال الله تعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل
العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ
الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى
لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري
عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر

عندهم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب بان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصح ان ذلك خبره لانه يدل على ان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفته وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا التي لنفي الجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة ذكرت للتحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب الكامل البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه المتقين وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق امن المصدق

[illegible]

من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين

والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها
لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا
اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة
لما استحالوا على الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس
برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله
عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله
لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ
وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق
صرف المال في سبيل الخير فرضا وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي
منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق
منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا
عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون
باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه
العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع
وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب
ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل عليهما السلام بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا
لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه
من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بما انزل اليك القرآن
باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم

كان او نفلا ومن فسره بالزكوة
ذكر افضل انواعه والاصل فيه
او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها
صح

او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا
جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب
السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش
وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا
او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم
الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم
من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان
العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري ولا العلوم الضرورية والآخرة
تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها
مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدين الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له
فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات
والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم
حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف
باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له
ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه
وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ
الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم
فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة
بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد
ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم
بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط
العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى
فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له
وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح
وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة

الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه فانظر كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بنا الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز
وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت
الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا
لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة
المردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة
المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان
من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه
والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع
الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية
وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع
مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها
تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك
مثل ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال فقولا
انا رسول رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله
قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا
من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة
ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور
وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجي الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما
كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها
كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه
سابقا مخبرا عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم
سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال
الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى ان انذارك وعدمه
سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به
اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه

وانما عدل هاهنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص
في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه
كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا
وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه
او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه
سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا
وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار
بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل
سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب
على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح
فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم
وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير
كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم
ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر
عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم
قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها
مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار
كالطبيعي لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله

دون البشارة لانه اوقع في القلب
واشد تاثيرا في النفس من حيث
ان دفع الضرر اهم من جلب
النفع فاذا لم ينفع
فيهم
صح

خالية عن الفطن أو قلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء
إذا طالت غيبته. الثالث أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى
إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب. الرابع أن أعراقهم لما رسخت واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى
تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف عبر عن تركهم بالختم فإنه
سد لإيمانهم وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي. الخامس أن يكون
حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الآية. السادس
أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما. السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم
وينفرون عنهم. وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما
وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق
على الوقف عليه ولأنهما لما اشتركا في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم
الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها
الغشاوة المختصة بتلك الجهة. وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال
كل منهما بالحكم. ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل فإنه مصدر في أصله والمصادر
لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم. والأبصار جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق
مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم
والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كقوله تعالى
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب [illegible] وإنما جاز إمالتها مع الصاد لأن الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير. وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار
والمجرور عند الأخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية. وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم
غشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح
مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة. ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه
والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول أعذب عن الشيء ونكل عنه إذا أمسك ومنه الماء العذب لأنه
يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن نكالا
أي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة
العذب كالتقذية والتمريض. والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير
فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه
ومعنى التنكير في الآية أن على أبصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي
عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله تعالى. ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب العظيم وساق لبيانه

ذكر

ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين
آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى لأنهم موهوا
الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول سبحانه وتعالى في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار. وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس أصله أناس لقولهم إنسان وأناسي
فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله إن المنايا
يطلعن على الأناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس
لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو آنس لأنهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا
لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو
للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمموا
على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر
لا مدخل لهم تحت هذا الجنس فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا
تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الأعظم من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وإيذان بأنهم
منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهودا
وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر إيمانا كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن
الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا
مثل إيمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم في كفرهم لأن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه
الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن إيمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين
وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام والقول
هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب
مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل
النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة. وما هم بمؤمنين إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته
وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا
ومبالغة في التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان
ولذلك أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيد
بما قيدوا به لأنه جوابه والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم
يكن مؤمنا لأن من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا
والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم. يخادعون الله والذين آمنوا الخدع
أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب

اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر
واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون
بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته
بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه
خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما
ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام
المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول
عليه السلام والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء احكام الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو
الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه
كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو
والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها
بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية
وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون بمعنى يختدعون
ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء
وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها
وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا
تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور
كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه
واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي
تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل
الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت
متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام
واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم
كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة الرسول عليه السلام ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع
او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى

من حيث

[illegible]
يقال فلان يباري فلانا اي يعارضه

من حيث انه مسبب عن فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا
ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل في قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد
الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة
على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا
يكذبون قرأه عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم
آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه السلام بقلوبهم واذا خلوا
الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب
الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر
عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه
وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي
به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان رضي الله عنه ان
اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بهم وسيكون
من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن
بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض
من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض
عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول عليه السلام
او بعض المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب
لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا
الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل
انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم
من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على
تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره
اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به جواب القسم واختها
اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم
انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح
والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا في الارض
والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة

مثل ما في ربما منها أو تلزم في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية فإنهم المعلومون بقضية
العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة
منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بإنسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه
وقد جمعهما الشاعر في قوله إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام
ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص
متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الإقرار
باللسان إيمان وإلا لم يفد التقييد قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للإنكار واللام مشار بها
للناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم
أو لتحقير شأنهم فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال رضي الله عنهما أو للتجلد
وعدم المبالاة بمن آمن منهم إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة
رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله ألا إنهم هم السفهاء [illegible] ولكن لا يعلمون رد ومبالغة
في تجهيلهم فإن الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فإنه ربما يعذر وينفعه الآيات والنذر وإنما فصلت الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقا لذكر السفه ولأن الوقوف على أمر الدين والتمييز
بين الحق والباطل مما يفتقر إلى نظر وتفكر وأما النفاق وما فيه من الفتن فإنما يدرك بأدنى
تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير
روي أن ابن أبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء
فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه الصلاة والسلام ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله [illegible] صلى الله عليه وسلم
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته إذا طرحته فإنك
بطرحه جعلته بحيث يلقى وإذا خلوا إلى شياطينهم من خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه
أو من خلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به إذا سخرت منه وعدي
بإلى لتضمين معنى الإنهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم
وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه
تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى
زائدة على أنه من شاط إذا بطل ومن أسمائه الباطل قالوا إنا معكم أي في الدين والاعتقاد خاطبوا
المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بإن لأنهم قصدوا بالأولى دعوى
إحداث الإيمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق

رغبة

فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الإيمان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار
بخلاف ما قالوا مع الكفار إنما نحن مستهزءون تأكيد لما قبله لأن المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه
أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا إنا معكم
إن صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الإيمان فأجابوا بذلك والاستهزاء السخرية
والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع
يقال هزأ فلان إذا مات على مكانه وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة اللفظ باللفظ
أو لكونه مماثلا له في القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم
الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما في الدنيا
فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما
في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار بابا إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل
على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة
ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالا
فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال أولا يرون أنهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه
مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فإنه يعدى باللام
كأملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه
وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين
انشراحا ونورا أو مكن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك إلى الله تعالى
إسناد الفعل إلى المسبب وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة
ومصداق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي وقال وإخوانهم يمدونهم في الغي
وقيل أصله يمد لهم يعني يملي لهم في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا إلا طغيانا وعمها
فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا
وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو
والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الأمر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء
لا منار بها قال أعمى الهدى بالجاهلين العمه أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان فإن كان
أحد العوضين ناضا تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء وإلا تعين

تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد ثم استعير
للإعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني أو الأعيان ومنه أخذت بالجمة رأسا
أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا
ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعل الله
بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا إليها أو اختاروها واستحبوها
على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا وإسناده
إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها
سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال
والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف
فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به
إلى إدراك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للأصل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإنه
أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما
أكثر الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير
يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده
ولا يضرب إلا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة
أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى
ولله المثل الأعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا إن جعل مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين لأنه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة
ولأنه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لا تجمع أخواته ويستوي فيه الواحد
والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج
الذي استوقد نارا والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
واشتقاق النار من نار ينور نورا إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا فلما أضاءت ما حوله
أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث
لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على الظرف
أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور ذهب الله بنورهم

جواب

جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد
من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد
انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الإلباس وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى
إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك
عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان
بماله إذا أخذه وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى
اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى
نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها
ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد
فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته
جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها
تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمدي أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات بعضها فوق بعض ومفعول لا يبصرون من قبيل
المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى
فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الأولى
ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان
الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد
عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه
من أنوار الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس
نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا
مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم
جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت
بسوء عندهم أذنوا وقوله أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد وإطلاقها عليهم
على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام
على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام ويصعد حتى يظن
الجهول بأن له حاجة في السماء وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر عن صفير الصافر هذا إذا جعلت الضمير للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وإن جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى أنهم لما أوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الأجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وإلى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم أو كصيب من السماء عطف على الذي استوقد أي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأو في الأصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فإنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لأنه أريد نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء قال ومن بعد أرض بيننا وسماء أمد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق إن أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وإن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لأنه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا يجعلون أصابعهم في آذانهم الضمير لأصحاب الصيب وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعتهم الصاقعة

إما صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف أبصارهم استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن غيرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة والخطف الأخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فأجيب بذلك وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وإنما قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا لأنهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء إذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على أن تأثير الأسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته إن الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لأنه في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله إن الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل

لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء، وكذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى. واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور العبد مقدور لله تعالى لأنه شيء وكل شيء مقدور لله تعالى والظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فإنه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابده من طفئت ناره بعد إيقاده في ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين وإظهارهم الإيمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك بإضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلاكهم أو إفشاء حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم والعذاب الأليم بإطفاء نارهم والذهاب بنورها وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث إنه وإن كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد تطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لأنفسهم فإنه على ما يشاء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب

تنزيلا منزلة البعيد إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله به عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء عنها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فإن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وإنما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول لكل ما يتقدم الإنسان بالذات أو بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم إما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ من قبلكم على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني بين الأول وما أضيف إليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله تعالى إلى الله وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وهو ضعيف

إذ لم يثبت في اللغة مثله وفي الآية دليل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فإنها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجرة قبل العمل الذي جعل لكم الأرض فراشا صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الأفعال العامة يجيء على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب وبمعنى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول أو العقد أخرى ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الإحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في إخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما أو أبدع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشائها مدرجا من حال إلى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأولي الأبصار عبرا وسكونا إلى عظم قدرته ليس في إيجادها دفعة ومن الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فإن ما علاك سماء أو الفلك فإن المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه الظواهر أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا والثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به من ثمرات واكتنافها المنكرين له أعني ماء ورزقا كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفا وإنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لأنه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء أو لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا إن أريد به المرزوق ومفعوله إن أريد به المصدر كأنه قال رزقا إياكم فلا تجعلوا لله أندادا متعلق باعبدوا على أنه نهي معطوف عليه أو نفي منصوب بإضمار أن جوابا له أو بلعل على أن نصب تجعلوا نصب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلحاقا لها بالأشياء الستة لاشتراكها في أنها غير موجبة

أي فبسط ليستقر عليه

والمعنى

والمعنى إن تتقوا لا تجعلوا لله أندادا أو بالذي جعل إن استأنفت به على أنه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى أن من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي أن لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير أتيما تجعلون إلي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا إذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وأنتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أي وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوي وهو أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فإن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة الله تعالى والنهي عن الإشراك به والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضي وبيانه أنه رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه تعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون إليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الأمور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب تعالى عليها النهي عن الإشراك به ولعله سبحانه أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريق التمثيل فمثل البدن بالأرض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فإن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وإفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعارة والمعارضة وعرف ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله كما يدعيه وإنما قال مما نزلنا لأن نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه إزاحة للشبهة وإلزاما للحجة وأضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه

وقرئ عبادنا يريد محمدا عليه السلام وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت
واوها اصلية منقولة من سورة المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية
على انواع من العلم احتواء سورة المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر
والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء
والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا
والحافظ متى حفظها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها
فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة
وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ
الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى
فاتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه
ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ
في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه
لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده
الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون
الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة
او الناصر او الامام فكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور بالذات
او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى
دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتاب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه
من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك
دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا
للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله
الا الله تعالى او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله
فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة
وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة والذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى
من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت
والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم

قوله اي مجالس الناس وهو
جمع نادية [illegible]

انما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم
صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد
المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون
امر الرسول عليه السلام وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو
انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به
واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد
وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب
فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط
والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا
جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت
كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين
عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به
النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا
عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر
ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها
انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون
بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها
ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما
فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية
نزلت بعدما نزلت بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح
تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم
وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد
من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر

من وجوه كما قدمنا وفيهما من التهييج والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة ما لا يخفى والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم إنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني أنهما يتضمنان الإخبار عن الغيب على ما هو به فإنهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه عليه الصلاة والسلام لو شك في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله أعدت للكافرين دل على أن النار مخلوقة معدة لهم الآن

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطاً لاكتساب ما ينجي وتثبيطاً عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهي فيعطف عليه أو على فاتقوا لأنهم إذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر إعجازه وإذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وإنما أمر الرسول عليه السلام أو عالم كل عصر أو كل أحد يقدر على البشارة بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً لشأنهم وإيذاناً بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنؤوا بما أعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً والبشارة الخبر السار فإنه يظهر أثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الأول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعاً وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم أو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الأسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني وهي من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة أو الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الإيمان مرتباً للحكم عليهما إشعاراً بأن السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الأمرين والجمع بين الوصفين فإن الإيمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الإيمان إذ الأصل أن الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وأن لهم منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه إذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا أي نخلاً طوالاً ثم البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لأنه ستر في الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وجمعها وتنكيرها لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم إياها لأجل ما ترتب عليه من الإيمان والعمل الصالح لا لذاته فإنه لا يكافئ النعم

السابقة

[illegible]

السابقة فضلاً عن أن يقتضي ثواباً وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيده ههنا استغناء بها

تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري أو للعهد والمعهود هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو المجاز أو المجاري أنفسها وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أو أجناس أخر فأزيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقاً مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقاً مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقاً وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بياناً تقدم كما في قولك رأيت منك أسداً وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيراً إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك لا تعني العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة من قبل أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس إليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنساً لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة لأن طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روي أنه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك والأول أظهر لمحافظته على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة

وأتوا به متشابهاً اعتراض يقرر ذلك والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله عز وجل إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني إلى الرزق فإن قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم

دون المقدار

[illegible]

[illegible]

دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة
في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون
المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا
في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن
وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع
على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطّهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي
ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم
اهل الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات
وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع
ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات
المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله
ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا
واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما
لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل
الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل
اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة
متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم
واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات
والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم
بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات
بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها لما كانت
الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه
وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد

المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من
طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل
في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير
وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار
لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن
والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب
الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي
منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به
فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها
والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح
وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة
فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت
نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين
لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت
في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم واصله وقع شيء
على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها
عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني
كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو
الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها
فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع
على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف
في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين
واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الامثال قال بعده ما البعوضة
فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما وهب
ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع
كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب

والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا
عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه السلام
ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له
بها درجة ومحيت عنه خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم كالخرور وما زاد عليها في القلة
كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أما حرف يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى
الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا
إيلاءها حرف الشرط فأدخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين إحماد
لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب
والحق هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة
من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق أي محكم النسج وأما الذين كفروا فيقولون كان
من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا أراد الله بهذا
مثلا يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبرها
وأن يكون ماذا اسما واحدا بمعنى أي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والأحسن
في جوابه الرفع على الأول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والإرادة نزوع النفس وميلها
إلى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله
وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته
لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته وقيل
علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق
أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح
وهي أعم من الاختيار فإنه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
أو الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا أي إضلال
كثير وإهداء كثير ووضع الفعل موضع المصدر للإشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين
المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وبيان وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار
لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم
فإن المهديين قليلون بالنسبة إلى أهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل
أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال
قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا وقال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

ما يضل

وما يضل به إلا الفاسقين أي الخارجين عن حد الإيمان لقوله تعالى إن المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلاث الأولى التغابي وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا إياها والثانية الانهماك وهو
أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستصوبا إياها فإذا شارف
هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة
التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان ولقوله تعالى
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الإيمان عبارة عن مجموع التصديق
والإقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الأحكام وتخصيص الإضلال بهم مرتبا على صفة
الفسق يدل على أنه الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال وذلك لأن كفرهم
وعدولهم عن الحق وإصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل إلى حقارة الممثل
حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤوا به وقرئ يضل على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق
والنقض فسخ التركيب وأصله في طاقات الحبل واستعماله في إبطال العهد من حيث إن العهد
يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فإن أطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزا إلى ما هو من روادفه وهو أن العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه
الناس فإن فيه تنبيها على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر إلى إفادته والعهد الموثق ووضعه
لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع
إليها والتاريخ لأنه يحفظ وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده
الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم أو المأخوذ
بالرسل على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره
ولم يخالفوا حكمه وإليه أشار بقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود
الله ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا
فيه وعهد أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به
الوثاقة وهي الإحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ما وثقوه به من الالتزام
والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فإن ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى [illegible] كقطع الرحم والإعراض
عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات
المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة

بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به باسم المصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فلذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او الخطاب مع القبيلتين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية

لانها

كما قال عليه السلام [illegible]

لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه ءانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او هو في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهو

ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليهما بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها لذاتها وما بالذات
يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فلانه عالم بها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه
اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم
وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن الهاء
ابو عمرو والكسائي الهاء في نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان
امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا
لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا
تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف
الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث
اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التأويل المذكور
لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم
اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة
جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة
وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين
الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا
يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان
وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم
شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها
فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل
الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه
ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد
به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله تعالى في عمارة الارض

وسياسة

وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور
المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء عليهم السلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة
كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة
المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد
جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة
من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد
اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم
او على تأويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة قوله للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم
شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح
على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك
الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب
من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم
ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله ولا طعن
في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط
عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسفح
والشن والسن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع وكذلك في الجواهر المذابة
والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن
الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك
والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف
لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية
تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة
وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه
واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا
عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة

بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج ما في الكائنات من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف وإليه أشار تعالى إجمالا بقوله قال إني أعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس إذا طهر لأن مطهر الشيء مبعده عن الأقذار وبحمدك في موضع الحال أي متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم إسناد التسبيح إلى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الأسماء كلها إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روي عنه عليه السلام أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافا أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة والمراد في الآية إما الأول أو الثاني وهو مستلزم للأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء سيما إذا أريد بها الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه لغرض ما يلزم مدلوله من الأخبار وبهذا الاعتبار يعتري الإنشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم

ما

ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه تعالى وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بإضمار فعله كمعاذ الله وقد أجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت إليك وقال يونس عليه السلام سبحانك إني كنت من الظالمين إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وإن لم يجز مررت بأنت إذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم أي أعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله إني أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والأرض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم وقيل ما أظهروا من الطاعة وأسر منهم إبليس من المعصية والهمزة للإنكار دخلت على حرف الجحد فأفاد الإثبات والتقرير واعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأنه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وأن التعليم يصح إسناده إلى الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية فإن الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والأصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لتكرر قوله إنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والنقصان والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم والأعلم أفضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما أنبأهم بالأسماء وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم وإظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر وإلا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الأخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الأصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الأكم فيها سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فأسجدا يعني البعير إذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به إما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه أو سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها

ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم
قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى
لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى
اللغوي وهو التواضع لادم عليه السلام تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد
بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة
كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين
في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن
ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل من الملائكة
المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه
منهم ولا يرد على ذلك قوله الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس
ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم
فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم
ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا
راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم
وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة
لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن
يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله
والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح
ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال
خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر
المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة
والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال
تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص
والعلم عند الله ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر
والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه
يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة

المنسوبة

المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمة الله عليه وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون
لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها
على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم
انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه امتحانا
امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا
منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة
للعلة والعذر في التناول عن الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه
عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوموا حول ما حرم عليهم مخافة
ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او نقصوا حظهما
بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له
والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع
كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء
فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى
غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين
واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة
ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة
فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم
عند الله فاخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء لقوله تعالى قال
اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا
بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها
عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار
او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب

ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى جنتك قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وإنما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه واكتفى بذكر آدم لأن حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن إنه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف بها الباري تعالى أريد به الرجوع من العقوبة إلى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف المقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول وما مزيدة أكدت به إن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى إن يأتينكم مني هدى بإنزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وإنما جيء بحرف الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل أي فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور والآية في الأصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي لأنها تبين أيا من أي أو من أوى إليه وأصلها أية أو أوية كتمرة فأبدلت عينها على غير القياس أو أيية أو أوية كرمكة فأعلت أو آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام من وجوه الأول أن آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين والثالث أنه تعالى أسند إليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع

عن الندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الأول أنه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني أن النهي للتنزيه وإنما سمي ظالما وخاسرا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له وأما إسناد الغي والعصيان إليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى وإنما أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الأولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث أنه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل أو أدى فعله إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال إنه باطل بقوله تعالى ما نهيكما ربكما وقاسمهما الآيتان لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قال له إبليس فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الإشارة إلى النوع كما روي أنه عليه السلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتي حل لإناثها وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فإنها من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والأمر وحده لا شريك له ومن حيث إن الإخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الإنسان وأصوله وما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادرا على الإبداء خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد وما أنزل عليه فقال يا بني إسرائيل أي أولاد يعقوب والابن من البناء لأنه مبني أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ إسرائل بحذف الياء وإسرال بحذفهما وإسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور حسود بالطبع فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وإن نظر إلى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل أراد بها ما أنعم الله على آبائهم من الإنجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والأصل اذتكروا ونعمتي بإسكان الياء وإسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها وأوفوا بعهدي بالإيمان والطاعة أوف بعهدكم بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد ولعل الأول

مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا
هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث
يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي
في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف
بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر
الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة
اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في سورة المائدة ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله
ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا
في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء
الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية
متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا
الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة
للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت
فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح
من حيث ان كل واحد منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي
تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم
اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة
واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أوول من آل
فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ
الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان
قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون
بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية
الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك

والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف
على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه
في خلاله او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان
وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان
على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون
اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون
عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم
باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب
بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث
والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلاة الفذ
بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود
وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تهين الفقير
علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع
في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تعالى
وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام
ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله
وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة
التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما
تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم
لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك
الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج
توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية

بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين
حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها
الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا
من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على
الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد
ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف
ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر
فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم
مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد
وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني
فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى
وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به
على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا
لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه
اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال
اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع
العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما
ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو
ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه
والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء
ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر
وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات
والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم
تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي
عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم

اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر
ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا
لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف
وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم
من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء اي محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة
اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد
من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه
او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك
كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم
للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق
يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى
بان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى
نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل
فرعون ورآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه
الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع
الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة
محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها
من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي
ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى او مضيه
وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك
الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع

بين كونه كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات

وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم بريئاً من التفاوت ومميزاً بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه أو الإنشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا فاقتلوا أنفسكم تماماً لتوبتكم بالبخع أو قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة روي أن الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفاً والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث إنه طهرة من الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف إن جعلته خطاباً من الله لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب إنه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لأجل قولك أو لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عياناً وهي في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها نوع من الرؤية أو حال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فتكون حالاً والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاه التوراة وكلمه أو أنه نبي فأخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة وأنتم تنظرون ما أصابكم بنفسه أو أثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لأنه قد يكون عن إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على إرادة القول وما ظلمونا فيه اختصار

وأصله

---

وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لأنه لا يتخطاهم ضرره

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل أريحاء أمروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغداً واسعاً ونصبه على المصدر أو الحال من الواو وادخلوا الباب أي باب القرية أو القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجداً متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكراً على إخراجهم من التيه وقولوا حطة أي مسألتنا أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أي هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفاً وكانت الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثواباً جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاماً بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا فعله وأنه يفعله لا محالة

فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا فأنزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعاراً بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون عذاباً مقدراً من السماء بسبب فسقهم والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفاً

وإذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي أنه كان حجراً طورياً مكعباً حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً أو حجراً أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع العصا أو الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرة فأشار إليه جبريل بحمله أو للجنس وهذا أظهر في الحجة قيل لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجراً في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه بها إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً فأوحى الله إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعاً في ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً متعلق بمحذوف تقديره فإن ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر في فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل أناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل ما ينبت به ولا تعثوا في الأرض مفسدين لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده لأنه وإن غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي

يفسد ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حساً ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدتها أنها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الأمير واحد يريدون أنها لا تتغير ألوانه ولذلك أجمعوا أو ضرب واحد لأنهما معاً طعام أهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم واشتهوا ما ألفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك إياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فإن دعوته سبب الإجابة مما تنبت الأرض من الإسناد المجازي وإقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل بإعادة الجار والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال أي الله أو موسى أتستبدلون الذي هو أدنى أقرب منزلة وأدون قدراً وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ أدنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي اهبطوا مصراً انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط منه إذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم وإنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصرائيم فعرب فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة أحيطت بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين إما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم وباؤوا بغضب من الله رجعوا به أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به وأصل البوء المساواة ذلك إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر وإظلال الغمام وإنزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالإنجيل وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التوراة وقتلهم الأنبياء فإنهم قتلوا شعياء وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار إليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات وقتل النبيين فإن صغار الذنوب سبب يؤدي إلى ارتكاب كبارها كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كرر الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم

كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكاب المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وإنما جوزت الإشارة بالمفرد إلى شيئين فصاعداً على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع إن الذين آمنوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا عن عبادة العجل وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو باسم من أسسها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح وقيل هم من عبدة الملائكة وقيل هم عبدة الكواكب وهو إن كان عربياً فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً فلهم أجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه السلام والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة فكبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد عليه السلام يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لا أفاد إثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام

ليشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون

وهو

وهو صفة صفراء للملابسة بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما تبينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه

حيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون
على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب
ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي
لاماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع به
ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك
يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا
على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل
على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار
ومنها ما يتردى من اعلى الجبال انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره
والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها
اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك
وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل
دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه
كنعت محمد عليه السلام واية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم
فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذا
الحال فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا
الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا
بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم

في التوريه

في التورية من نعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية
ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى
الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل
عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم
فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم او لا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله
عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون
الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني
جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب
وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد
فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود
الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم
وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد
المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جب في جهنم فمعناه
ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر
لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله
اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل
قليل بالنسبة لما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم
مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر
الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة
قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا
او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله
عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان
الخلف في خبره تعالى محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين
كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع

بلى إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان
على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة أنها قد تقال
فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه
بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب أليم وأحاطت به خطيئته أي استولت عليه وشملت جملة
أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره
إن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر
وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب
ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي مستحسنا
إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى
ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته
على القلب والإدغام فيهما فأولئك أصحاب النار ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها
في الدنيا هم فيها خالدون دائمون أو لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود
صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون جرت عادته سبحانه على أن يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه
وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل
لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح
النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه وتعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا
عليه فيكون على إرادة القول وقيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل
إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال وحلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم
ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لأنهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق
بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين يتامى
جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه وقولوا للناس
حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا وقرئ
حسنى وهو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد وأقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا
منكم يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم وأنتم معرضون قوم عادتكم
الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض
بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا

فتح

أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح دماءكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحيوة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
فإنه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار
إليهم مجازا ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوا بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ
وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل
تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم
غيبا وقوله تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياركم إما حال والعامل فيها معنى الإشارة
أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر
وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو من
مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى
التاءين وقرئ بإظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم
روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق
حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى
يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد
والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ
حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير
وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم
عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن
أو مبهم يفسره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم بدل أو بيان أفتؤمنون
ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة القتال والإجلاء فما جزاء من يفعل ذلك
منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا كقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم
وأصل الخزي ذل يستحيا منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب
لأن عصيانهم أشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد أي أن الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل
عن أفعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في
رواية أبي بكر ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة
ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب أي التورية وقفينا من بعده بالرسل
أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه إذا اتبعه وقفاه به
إذا أتبعه إياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى
وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالعبرية إيشوع ومريم بمعنى الخادم

وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه
مفعل إذ لم يثبت فعيل وأيدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك
حاتم الجود ورجل صدق أراد به جبريل عليه السلام وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته
عن مس الشيطان أو لكرامته على الله ولذلك أضافها إلى نفسه أو لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام
الطوامث أو الإنجيل أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان
في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر إذا أحب
وهوى بالفتح هويا بالضم إذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم
ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم
عن الإيمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية أو للتفصيل
وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
في النفوس فإن الأمر فظيع أو مراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حولتم قتل محمد
لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة بأغطية خلقية
لا يصل إليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعنى أنها أوعية للعلم لا تسمع علما إلا وعته ولا تعي ما تقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره
بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لأن الله خذلهم بكفرهم كما قال
فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون
فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة
العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال
من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت
في التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل
يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس ويدخلون فيه
دخولا أوليا لأن الكلام فيهم بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن
واشتروا صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا
أن يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا
للفصل أن ينزل الله لأن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف من فضله
يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو
أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد عليه السلام بعد عيسى عليه السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين
عذاب مهين يراد به إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله

يعم الكتب المنزلة بأسرها قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي بالتوراة ويكفرون بما وراءه حال من الضمير
في قالوا ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفا ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه وإلى
المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الأضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن
مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم
تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة
لا تسوغه وإنما أسنده إليهم لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده
أنبئاء الله مهموزا في كل القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل أي إلها من بعده من بعد مجيء موسى أو ذهابه
إلى الطور وأنتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالإخلال بآيات الله أو اعتراض
بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لإبطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه
على أن طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها
وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي قلنا لهم خذوا
ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك وأشربوا
في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم
بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمية أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم
السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمه
وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاما عليهم إن كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم
الإيمان بالتوراة وتقديره إن كنتم مؤمنين بها لما أمركم بهذه القبائح ولا رخص لكم إيمانكم بها أو إن كنتم
مؤمنين بها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها لأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان
بها لا يأمر به فإذا لستم بمؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم
لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم أو المسلمين واللام
للعهد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص
إليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي
وقال عمار رضي الله عنه بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة
لا أفلح من ندم أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه أبدا بما قدمت
أيديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد
العاملة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة
والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر لأنهم لو تمنوا لنقل واشتهر فإن التمني ليس
من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي عليه السلام لو تمنوا
الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم

وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة من وجد بمعنى علم الجاري مجرى علم ومفعولاه هم وأحرص وتنكير حياة لأنه أراد بها فرداً من أفرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ الحياة باللام ومن الذين أشركوا محمول على المعنى فكأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر للمبالغة فإن حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود أحدهم على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الأولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف لو يعمر ألف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فأجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر الضمير لأحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدواً لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مراراً وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوماً فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن أربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم في رواية أبي بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون وأربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فإنه نزله البارز الأول لجبريل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره على قلبك فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به بإذن الله بأمره أو تيسيره حال من فاعل نزله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب الشرط فإنه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي لأنه نزل كتاباً مصدقاً للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته أنه نزل عليك

وقيل

وقيل محذوف مثل فليمت غيظاً أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائل فإن الله عدو للكافرين أراد بعداوة الله مخالفته عناداً أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيماً لشأنهم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع إذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل كميكعل وميكائل ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أي المتمردون من الكفرة والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك أوكلما عاهدوا عهداً الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا أو كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وإنما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون أو أن من لم ينبذ جهاراً فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لإعراضهم عنه رأساً بالإعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله يعني أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عناداً واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على أن جل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم بقوله بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمرداً وفسوقاً وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهراً ونبذوها خفية عالمين بالحال بغياً وعناداً وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الإنس أو منهما على ملك سليمان أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وأن ملك سليمان تم بهذا العلم وأنه تسخر به الإنس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبياً كان معصوماً عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر إغواء وإضلالاً والجملة حال

عن البصر والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان
وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون
وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية
او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز ولما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي
سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه
وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز
الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل
ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلدة من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف
بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية
ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له
انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه
والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه
من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري
على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود
ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل
ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة
من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه
ويعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل
الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم
فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله
واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم
فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة
كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا

الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله عليه السلام راعنا اي راقبنا وتان بنا فيما تلقننا
حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبا بالكلمة
العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعنا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة
ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا
من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا
ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا
الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا
ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول
وسبوه عليه السلام ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود
يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك
يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء
وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب
عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده
ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال
المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ
في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل
لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة
على المفعولية وقرا ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة
وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها
وننسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها
اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب قرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت
على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك
لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في عصر غيره واحتج
من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ كالمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير

والتفاوت في إنزاله وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم ألم تعلم الخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وأمته لقوله تعالى وما لكم وإنما أفرده لأنه أعلمهم ومبدأ علمهم أن الله له ملك السموات والأرض يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله أن الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وإنما هو الذي يملك أموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه مالك الأمور قادر على الأشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام أو منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال إلى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالإيمان وقرئ يبدل من أبدل ود كثير من أهل الكتاب يعني أحبارهم لو يردونكم أن يردوكم فإن لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ من بعد إيمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند أنفسهم يجوز أن يتعلق بود أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أي حسدا بالغا منبعثا من أصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بأمره الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة وإجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه منسوخ بآية السيف وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة واللجأ إلى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلاة أو صدقة وقرئ تقدموا من أقدم تجدوه عند الله أي ثوابه إن الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لأهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى لف بين قولي الفريقين كأنه قولهما وقالوا كونوا هودا أو نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك أمانيهم إشارة إلى الأماني المذكورة وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا وأن لا يدخل الجنة غيرهم أو إلى ما في الآية على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم والجملة اعتراض والأمنية أفعولة من التمني كالأضحوكة والأعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو وهو محسن في عمله فله أجره الذي وعد له على عمله

عند

عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء أي أمر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله عليه السلام وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الأصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فإن قيل لم وبخهم وقد صدقوا فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وإنما قصد به كل فريق إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله أو المشركين لما منعوا رسول الله عليه السلام أن يدخلوا المسجد الحرام عام الحديبية أن يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم أو التعطيل أولئك أي المانعون ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلا أن يجترئوا على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الأئمة فيه فجوزه أبو حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله أي جهته التي أمر بها فإن إمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو فثم ذاته أي عالم مطلع بما يفعل فيه إن الله واسع بإحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم ومن أظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له

عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى أن الأجرام الفلكية مع إمكانها
لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ لها ما يكون كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختياراً أو طبعاً
بل له ما في السموات والأرض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى أنه خالق ما في السموات
والأرض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأن من حق
الولد أن يجانس والده وإنما جاء بما الذي لغير أولي العلم وقال قانتون على تغليب أولي العلم
تحقيراً لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما فيهما ويجوز أن يراد كل من جعلوه
ولداً له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون إلزاماً بعد إقامة الحجة والآية مشعرة على فساد
ما قالوه من ثلاثة وجوه واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لأنه تعالى نفى الولد
بإثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والأرض مبدعهما ونظيره السميع في قوله
أمن ريحانة الداعي السميع أو بديع سماواته وأرضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الأشياء كلها فاعل
على الإطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والداً والإبداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة
وهو أليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان
غالباً وقرئ بديع مجروراً على البدل من الضمير في له ومنصوباً على المدح وإذا قضى أمراً أي أراد شيئاً
وأصل القضاء إتمام الشيء قولاً كقوله وقضى ربك أو فعلاً كقوله فقضاهن سبع سموات وأطلق
على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه فإنما يقول له كن فيكون من كان التامة
أي أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته
بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الإبداع وإيماء إلى حجة خامسة
وهو أن اتخاذ الولد يكون بأطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون
بنصب النون واعلم أن السبب في هذه الضلالة أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون
الأب على الله تعالى باعتبار أنه السبب الأول حتى قالوا إن الأب هو الرب الأصغر والله تعالى هو
الأب الأكبر ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً ولذلك
كفر قائله ومنع منه مطلقاً حسماً لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون أي جهلة المشركين
والمتجاهلون من أهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة أو يوحي إلينا بأنك
رسوله أو تأتينا آية حجة على صدقك والأول استكبار والثاني جحود لأن ما أتاهم آيات استهانة
وعناداً كذلك قال الذين من قبلهم من الأمم الماضية مثل قولهم فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد
وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي يطلبون اليقين أو يوقنون الحقائق لا يعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه إشارة إلى أنهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات أو لطلب مزيد يقين وإنما
قالوه عتواً وعناداً إنا أرسلناك بالحق ملتبساً مؤيداً به بشيراً ونذيراً فلا عليك إن أصروا وكابروا

ولا تسأل

ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على أنه
نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر
أن يخبر عنها أو السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في إقناط الرسول عليه السلام
عن إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله
عنهم ولذلك قال قل تعليماً للجواب إن هدى الله هو الهدى أي هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى
إلى الحق لا ما تدعون إليه ولئن اتبعت أهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان
أنبيائه من أمللت الكتاب إذا أمليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم أي من الوحي
أو الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم
الكتاب يريد به مؤمني أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه
والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب
أولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالإيمان يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني
فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن إضاعتها
والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وإيذاناً بأنه فذلكة
القضية والمقصود من القصة وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات كلفه بأوامر ونواه والابتلاء في الأصل
التكليف بالأمر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن
ترادفهما والضمير لإبراهيم وحسن لتقدمه لفظاً وإن تأخر رتبة لأن الشرط أحد التقدمين والكلمات
قد تطلق على المعاني فلذلك فسرها بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون
وقوله إن المسلمين إلى آخر الآيتين وقوله قد أفلح المؤمنون إلى قوله أولئك هم الوارثون كما فسرها
في قوله [illegible] بكلمات بالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين
وذبح الولد والنار والهجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات
التي بعدها وقرئ إبراهيم ربه على أنه دعا ربه بكلمات مثل أرني كيف تحيي الموتى واجعل هذا البلد
آمناً ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر إبراهام فأتمهن فأداهن كملاً وقام بهن حق القيام لقوله
وإبراهيم الذي وفى وفي القراءة الأخيرة الضمير لربه أي أعطاه جميع ما دعاه قال إني جاعلك
للناس إماماً استئناف إن أضمرت ناصب إذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فأجيب
بذلك أو بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده
والإسلام وإن نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له
مفعولان والإمام اسم من يؤتم به وإمامته عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته
مأموراً باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف أي وبعض ذريتي كما تقول وزيداً في جواب سأكرمك

والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت

حكاية

حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ورفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة

كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام. روي أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر. ووصى بها إبراهيم بنيه التوصية هو التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والأول أبلغ ويعقوب عطف على إبراهيم أي ووصى هو أيضا بها بنيه وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم يا بني على إضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لأنه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو إبراهيم كانوا أربعة إسمعيل وإسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون ودان ونفتولي وجودا وأوشير وبنيامين ويوسف إن الله اصطفى لكم الدين دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود هو النهي عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال إذا ماتوا والأمر بالثبات على الإسلام كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه وأن من حقه أن لا يحل بهم ونظيره في الأمر مت وأنت شهيد روي أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر إذ قال لبنيه بدل من إذ حضر ما تعبدون من بعدي أي شيء تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد إسمعيل من آبائه تغليبا للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ إله أبيك على أنه جمع بالواو والنون كما قال وفديننا بالأبينا أو مفرد وإبراهيم وحده عطف بيان إلها واحدا بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا تلك أمة قد خلت

يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما والأمة في الأصل المقصود وسمي بها الجماعة لأن الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا أو نصارى الضمير الغائب لأهل الكتاب وأو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الأمر قل بل ملة إبراهيم أي بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته أو بل نتبع ملة إبراهيم وقرئت بالرفع أي ملته ملتنا أو عكسه أو نحن ملته بمعنى نحن أهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا وما كان من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم فإنهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به وما أنزل إلينا القرآن قدم ذكره لأنه أول بالإضافة إلينا سبب للإيمان بغيره وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط الصحف وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت أحكامها فهي أيضا منزلة إليهم والأسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم وإسحق وما أوتي موسى وعيسى التوراة والإنجيل أفردهما بالذكر بحكم أبلغ لأن أمرهما بالإضافة إلى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما أوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين أحد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وأحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ أن يضاف إليه بين ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فأتوا بسورة من مثله إذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الإسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى إن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فإن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق أو مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فإن آمنوا بالله إيمانا مثل إيمانكم به أو المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به أو بالذي آمنتم به وإن تولوا فإنما هم في شقاق أي إن أعرضوا عن الإيمان أو عما تقولون لهم فما هم إلا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فإن كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناوأهم وهو السميع العليم إما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة أو وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ أو هدانا هدايته وأرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا

يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها
على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن
من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم
وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء
او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى
لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا
من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحلونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة
حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما
يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان
والطاعة دونكم ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل
ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية
على الانبياء قل أانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين
وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن
اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء
كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر
عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم قيل الخطاب فيما سبق لهم
وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني
اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم او استمهنوها
بالتقليد والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين
وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال
فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان
لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجيه

الى بيت

الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي
كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة
من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان
فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه
ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم
الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين
قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم
الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان
نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة
على اختصاصهم بكون الرسول عليه السلام شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة
الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس
الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ
والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد
عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان
لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت
على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية
الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء
والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسنده الى نفسه
لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة
او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول
متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون
ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او الردة او التولية او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله

الى حكمة الأحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان
وقيل ايمانكم على القبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم
فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب
وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر
ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته
واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت
مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل
لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه
وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة
فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه السلام قدم المدينة فصلى
نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر
بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول عليه السلام بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم
تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل
او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة
قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد
جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة
بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن
اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما

بان لك

بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه
تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور
الذنب عن الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله
وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم
يشهد للعقول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف
والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي
يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي
عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك
او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه
او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة
قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها
احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة
بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر لضعف العامل
وقرأ ابن عامر مولاها اى هو مولى تلك الجهة وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله
جميعا اى في اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله
الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا
من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة ان الله على
كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اى ومن اى مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه
ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي
كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه
وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى
لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا عليه السلام يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا

قد وليها فاستبقوا الخيرات
من امر القبلة وغيره مما ينال به
سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات صح

لها

والمشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته إلا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة لأنهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأساً كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بأن الظالم لا حجة له وقرئ ألا الذين ظلموا على أنه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فإن مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما أمرتكم ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف أي وأمرتكم لإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أو عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لأحفظكم عنهم ولأتم نعمتي عليكم أو لئلا يكون عليكم وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم متصل بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم أو بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد وأخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الأمر يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلاة التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين بالنصر وإجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء بل هم أحياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون فيصل إليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع أي بقليل من ذلك وإنما قلله بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الأموال والأنفس والثمرات عطف على شيء أو الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات الأولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم أقبضتم ثمرة قلبه

فيقولون

---

فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الخطاب للرسول عليه السلام أو لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصور ما خلق لأجله وأنه راجع إلى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما أبقى عليه أضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الأصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والإحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه وأولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله إن الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت أو اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعاً على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه أن يطوف بهما كان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والإجماع على أنه مشروع في الحج والعمرة وإنما الخلاف في وجوبه فعن أحمد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله تعالى فلا جناح فإنه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله أنه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيراً أي فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أو طواف أو تطوع بالسعي إن قلنا إنه سنة وخيراً نصب على أنه صفة مصدر محذوف أو بحذف الجار وإيصال الفعل إليه أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع وأصله يتطوع فأدغم مثل يطوف فإن الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه إن الذين يكتمون كأحبار اليهود ما أنزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التوراة أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون أي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين إلا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب عنه وأصلحوا ما أفسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما أحدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدي بهم أضرابهم فأولئك أتوب عليهم بالقبول والمغفرة وأنا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين استقر عليهم اللعن

ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهنا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لا يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو والسحاب فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرئ بالافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله تعالى وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم

اجتماع

اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا ان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشيء وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حالا مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة

اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتدوا به فى اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع
خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وقلب الواو همزة جعلت ضمة الطاء
كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهى المرة من الخطو انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا
فى قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا
لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف
الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم
القبائح والفحشاء ما جاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثانى
ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى
ظنه المستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بينا فى الكتب الاصولية
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم
كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله
من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم
ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اى لو كان اباؤهم
جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد
لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء
والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين
كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعى
الذين كفروا كمثل الذى ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة
لانهماكهم فى التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم
فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت فلا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم
معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع
الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت
على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام
لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمى رفع على الذم فهم لا يعقلون

بالفعل

بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس
كافة واباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا
ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته
لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عليه السلام
يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى
انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها
ما ابين من حى والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والدم ولحم الخنزير
انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به
لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال اهل الهلال
واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمى ذلك اهلالا ثم
قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر وقرأ
عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالى
ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول
احمد فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم
على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته
على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون فى بطونهم
الا النار اما فى الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعنى الدية او فى المآل اى لا ياكلون
يوم القيامة الا النار ومعنى فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا
ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة
والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فى الدنيا والعذاب بالمغفرة فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما
تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها
الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى
ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا
فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد
والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تاويلها او خلفوا خلاف
ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول
وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق بعيد لفى خلاف بعيد عن الحق

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته
فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون
وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا
بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر
من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن
وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما
قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى
الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى
يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما
قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة
والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر
وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل
يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق
وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او
ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله
وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث
عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة
وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن
والصابرين في البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر
الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس
وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك
هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها
دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني
بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك
وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل
الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد كان
في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا

[illegible]

لنقتلن

---

لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى
كما لا تدل على عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص
الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رحمهما الله قتل الحر
بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده
فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة
ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير والقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له
دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن
واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير
يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن فمن عفي
له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو
التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني
باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره
بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل
ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق
العفو وللشافعي في المسألة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف
من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى
النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا
للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب
اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا
قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث
جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس
من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون
سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور
الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول

فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه
في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون
احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا من الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص
عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول
الكاملة ما دام للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا
عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك
خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله
سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن
عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف
فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل
او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر
وكان هذا الحكم في بدو الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام
ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه
بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي
الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد
اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين
خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من موص اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص جنفا ميلا
عن الحق بالخطا في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج
الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم
وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه
النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون

المعاصي

المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال النبي عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام
لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب
صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية
او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام
لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا
عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم
لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر
فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا
على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر
باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه
من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه
على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى هذه
القراءات يحتمل معنى ثالثا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز
في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار
ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير
للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك
شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلك شهر رمضان او بدل
من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار
صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر
مصدر شهر اذا اشتهر فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف
والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للتعريف والتانيث وقوله عليه السلام
من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم

من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان
ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه
القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة
من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية
للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل بما فيه من الحكم
والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه
والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على
سفر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد ولعل تكريره لذلك او لئلا
يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم
ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر
الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص
لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او لافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون
ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى
بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير
عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر
ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل
لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم
روي ان اعرابيا قال لرسول الله عليه السلام اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات
والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف

التكبير

التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب
لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم
الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا
بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية
عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى
لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هاهنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة
الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل
والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم
مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه
دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى
ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء
الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول
ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر
وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت من الفجر فلعله كان قبل دخول رمضان
وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان
لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة
صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي
صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد

ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادة يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت يعرف فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان انه المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها قرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ولكن البر من اتقى قرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها وان المراد به التنبيه

ع

---

على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منكم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجأة من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل وحرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب

عليها

يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة واقتلوهم ان قاتلوهم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا
ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه
فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري
انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها
ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد
ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء
وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة
والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم
اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج
ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة
وما روى جابر رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن
ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج
والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال
انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله
لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو
عند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله
لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول
بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل
بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام
ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة

فاذا

فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله
اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه
وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره
على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب القضاء والمحل
يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية
كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل عن عمرته باستباحة محظورات الاحرام
الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل
التحلل وقال ابو حنيفة رحمه الله في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع
ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز صوم يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة
اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رضي الله عنه او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو
قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة
فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين
وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد
بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة
في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد
وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور
عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحمه الله اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده
فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن
مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله
في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر

وبعض عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا
كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد
فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية وسوق الهدي
عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب
المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفى الثلاثة على قصد النهي
للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها
ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع
والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكون رفث
ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا
ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به
ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال
والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم
على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم
جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح
بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات
دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول
كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية
والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب
الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث
اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث
انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم
فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت

او لان آدم وحوا التقيا فيها فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك
وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر
اذ الذكر غير واجب مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر
ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته
حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم
او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية
او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة
وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك
لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم
لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام
وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم عليه السلام من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة
شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله
غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات
الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون
بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل
فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر
ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف
اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا
من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا
اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله
الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والاشارة اليه ربنا
آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق
نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء

وعذابها امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة
وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها
اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو
جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى
كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله
في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه
ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال
ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل
ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اى الذي ذكر من التخيير او الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله
في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر
الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب
حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله
في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان
او بيعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه
من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف
ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة
والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالي رسول الله عليه السلام ويدعي الاسلام وقيل نزلت في المنافقين
كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم
واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع بشؤمه
القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم
الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه
جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل
معرب من جهنام ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد
الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد

لمحة

فمن تعجل فمن استعجل النفر
في يومين يوم القر والذي
بعده اى فمن نفر في ثاني
ايام التشريق
صح

او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل نزلت في صهيب
ابن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم
ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة
والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة
والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة
اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله
واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم
ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء
والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات
والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا
بالحق هل ينظرون ما يستفهم في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا الا ان يأتيهم الله اى يأتيهم
امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءها بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي
به لدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة
الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون
على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ
منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله ترجع الامور قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع
وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير
وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم
كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء
وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد
من اية واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اى اياته فانها سبب الهدى الذي
هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد
ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها

وكذلك في نعمته فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه
ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم
حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو
فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله
فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين
كبلال وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء
كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين
وهم في اسفل السافلين ولانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون
منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم
متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير
فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما
بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس
او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة
قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون
الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل
معهم الكتاب يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم
وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به
ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل
لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف
الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا
بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة
المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية كقولك
مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب

على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول
الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره
ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه
قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا
خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كتب
عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل
بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو
يفضي به الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله
يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله
بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو
بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة
الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عليه السلام العير والاسارى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة وهي اول
غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا
وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل
قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد
صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به
اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ
تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به

على وصلته مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء
في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد
وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر
عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع
مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام
عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله
حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته
على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي
والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه
وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر والذين هاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه
اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم
والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر
والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا رضي الله عنهما في نفر من الصحابة قالوا افتنا
يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك
سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء
الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى رسول الله عليه السلام فقال عمر رضي الله عنه
اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا
وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار
لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل
فيهما في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور

ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وتشجيع
الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ
منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت
على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسألونك
ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل
عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق
ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا
اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله
لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع
النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به
جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة
في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم
فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او
اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي
انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره
فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق
عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي
ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات
لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين
فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا
فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام
فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة
فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان

وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو
على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب
في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون
الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو اي
اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة
والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيقه
وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او
ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك
عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود
والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض
مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسالونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا
لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد
فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي المحيض مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه
فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن
حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطّهّرن اي يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل
وقال ابو حنيفة رحمه الله ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله
اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم
اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة
شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها
احول فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب
وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة
والنعيم الدائم امر الرسول عليه السلام ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق
لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة

فأتوا حرثكم

صح

حين

---

حين حلف ان لا يكلم ختنه بشر بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول
لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها
كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة
لان تبروا لاجل ايمانكم وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة
ولذلك ذم الحلاف بقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي
انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله
والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم
عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام
وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب
لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان
وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رحمه الله اللغو ان يحلف الرجل بناء
على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم
الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر
مبتدا خبره ما قبله او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف
الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق
ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا اي رجعوا
في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرره
ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع
لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رحمه الله الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر
والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق
عليه الحاكم والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات
والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة
للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل
فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن

الحلف به

تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النسآء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها
على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو
يطلق على الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين
كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد
في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النسآء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون
في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء
تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد او الحيض
استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك
ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه
ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن احق بردهن
الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير
اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل
والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به
او اقيم مقام المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك في زمان التربص
ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن
حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر
والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن
في غرض الزوج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام
ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي
اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قال ابو حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين
والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق
عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات
روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت النبي

فقالت

فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره
الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها اياها والخطاب
مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب
للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا
اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك
اقامة حدود الله واحكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل
في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة
الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز
من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك
قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة
وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها
فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل
على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ
الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة
باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان
تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع
مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد ذلك الطلاق
حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل واحد منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي
ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
ابن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة
ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة
في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها
والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رحمه الله مع الكراهة وقد
لعن رسول الله عليه السلام المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا

ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله
ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن
بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت
ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي ينتهي به
قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء
وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار
او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به
ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة
حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة
ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء
الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييد ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل
بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر
بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام
ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن عن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل
بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا
على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي
العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل
الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد
بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشبت بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن
او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة

مصدر

مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو
غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل واحد
او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول
على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم
اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع
والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له
ظئر او عجز الوالد عن الاستئجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن
اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد
ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن
فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع
حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له وهو
الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه
لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل
له وتقريب اليه اي لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر
على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر
والباء من صلته اي لا تضر الوالدة الولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا
على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد
بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي تمان المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين
من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده
فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة
وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن تراضيهما وتشاورهما قبل الحولين

والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما
فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به
لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت
المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول
الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد
ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة وقرى ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرى اوتيتم اى ما اتاكم اقدر
واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى
والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا
ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرى يتوفون بفتح الياء اى يستوفون
اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون
التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم
الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك
لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا
اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة
والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس
اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن
اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن
من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه
انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير
فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح
ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك
والكناية هى الدلالة على الشىء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة
والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها نهيا
انك جميلة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم
فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون

على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا
عبر بالسر عن الوطى لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا
وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف
لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة
المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر
جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى لا تعزموا عقد عقدة
النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب
اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبى عليه السلام يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم
فى جميع القران او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض
تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت
المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت
غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية نفى الوجوب فى الصورة الاولى
ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم
ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصارى طلق امراته
المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار
على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية
يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى
فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ
حمزة والكسائى وحفص وابن ذكوان قدره بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكدا اى حق ذلك
حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات

بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا تأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير عليه غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير ابن مطعم رضى الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال الخوف فاذكروا الله

صلوا

صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتى الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض الاحكام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعدا بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا فى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف والف كقاعد

وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم
الله موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة
بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا
ثم احياهم قيل مر حزقيل عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت
اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فناداهم
فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع
المؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم
لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يريد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت
غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله
والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم
بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع
بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن
المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المفاعلة للمبالغة
وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى
ايقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة
لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبصط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضته حكمته
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
الم تر الى الملا من بنى اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او شمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه
عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل
على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا نافع عسيتم بكسر السين
قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اى غرض لنا
فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد

فذلك

وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من اولاد الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى انه عليه السلام
لما دعا ربه ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى
يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به
وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن
فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك
فى اولاد يهوذا وكان فيهم من اسباطهما خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم
والجسم [illegible] لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه
رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم
وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم
خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله
فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه والله يؤتى ملكه من يشاء لانه مالك الملك على الاطلاق فله
ان يؤتيه من يشاء والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما
فى الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة ذرع
فى ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى فى اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى
مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس
بنى اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة
وذنبها وجناحان فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا
ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة
ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك
ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون والهما ابناؤهما
او انفسهما وال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بنى اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة
قيل رفعه الله بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعد موسى فى انبيائهم
يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت

فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشأموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه
قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه
فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف غرفة بيده
استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر
في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون
غرفة بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم
الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الف
روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته
ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل
الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه
او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير
في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر
بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام
ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء رجع
فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم
ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك
الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا
فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود
جالوت قيل كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم
فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في الطريق بثلاثة احجار
وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته
وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما

كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ولولا انه تعالى يدفع الناس بعضهم ببعض وينصر المؤمنين على الكفار ويكف بهم فسادهم
لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع تلك
آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام
الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب
وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل
اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو
موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا
ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ وكلم الله وكالم الله بالنصب
فان كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان
فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم
خصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل
اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة
ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا بتوفيقه وخذلانه فمنهم من آمن بالتزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر
لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من
يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدام
وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث
بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم
لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم
وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه

آخر نسخ اليوم الرابع

فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وإيذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود أو يصح أن يوجد الحي الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والإمكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالأمر إذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فإن من أخذه نعاس أو نوم كان مؤوف الحياة قاصرا عن الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الأرض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له السموات والأرض ومن فيهن من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا أن يعاوقه عنادا أو مناصبة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته إلا بما شاء أن يعلموا وعطفه على ما قبله لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والأرض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الأصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج حفظهما أي حفظه السموات والأرض فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول وهو العلي المتعالي عن الأنداد والأشباه العظيم المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الألوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته

موجد لغيره إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له عالم الأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح أن يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله لا إكراه في الدين إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء وقيل إخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين وهو إما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم أو خاص بأهل الكتاب لما روي أن أنصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله عليه السلام فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان أو الأصنام أو كل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الإمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم إذا كسرته والله سميع بالأقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم أو متولي أمرهم والمراد بهم من أراد إيمانه وثبت في علمه أنه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية إلى الكفر إلى النور إلى الهدى الموصل إلى الإيمان والجملة خبر بعد خبر أو حال من المستكن في الخبر أو من الموصول أو منهما أو استئناف مبين أو مقرر للولاية والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشياطين أو المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور إلى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة إلى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات أو من نور البينات إلى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام وإسناد الإخراج إلى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وإرادته به أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته أن آتاه الله الملك لأن آتاه أي أبطره إيتاء الملك وحمله

على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت او وقت
ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم
ظرف لحاج او بدل من ان اتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة
والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل
قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض
على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة
وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة
الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك
وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما
ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا
وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة
يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه
وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى
بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي
وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه
من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله
الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية
بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقفها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع النصب
على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام
او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ
ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي
قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم
قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت
واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا

او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير
والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك
لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية
من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع
الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما
فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء
قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله
اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه
او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ انا احيي واميت
قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب
والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم
السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سألت لازيد
بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير
طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى
ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي
هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل
المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع
كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا
تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال
ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت
قنوان الكرم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة من صره يصره
ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا

أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة
ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا
أو مشيا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط
سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر
حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه
بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر
سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدا
على فضل إبراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى
أراه ما أراده أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد أن أماته مائة عام واعلم
أن الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء والمنبت
على الحقيقة هو الله والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها
مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي
المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه
وتعبه ومن أجله تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به
من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما أنفقوا منا ولا أذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها
وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة
آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه والأذى أن يتطاول عليه
بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى لهم أجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه
معنى الشرط إيهاما بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا قول
معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل والإلحاح أو نيل مغفرة من الله بالرد
الجميل أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها أذى
خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن إنفاق بمن
وإيذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والأذى لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس
ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضا الله
ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب
على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر أي إنفاقا

رئاء فمثله كمثل المرائي في إنفاقه كمثل صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل مطر
عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون
بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس
أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير
والرشاد وفيه تعريض بأن الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن
من أن يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم
وتثبيتا بعض أنفسهم على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء
مبتدأ من أصل أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال
كمثل جنة بربوة أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون
أحسن منظرا وأزكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها
أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد
في قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله ونصبه على الحال أي مضاعفا فإن لم
يصبها وابل فطل أي فيصيبها أو فالذي يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها
لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع
بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من أحوالها ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل
والله بما تعملون بصير تحذير عن الرئاء وترغيب في الإخلاص أيود أحدكم أن تكون
له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر أن فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر أنواع الأشجار ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع وأصابه الكبر
أي كبر السن فإن الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب والواو للحال أو للعطف حملا على المعنى
فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم
على الكسب فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت عطف على أصابه أو تكون باعتبار
المعنى والإعصار ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود والمعنى
تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها كرياء وإيذاء في الحسرة
والأسف إذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته إليها ووجدها محبطة بحال من هذا شأنه
وأشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره إلى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه
إلى عالم الزور والتفت إلى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون أي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا أيها الذين آمنوا

انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض
اي من طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم
ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه اي من المال او مما اخرجنا
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاممو ولا تيمموا بضم التاء
منه تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث
والجملة حال منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته
الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا
اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم
حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع
في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء
ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه
اي يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا
والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان
العمل من يشاء مفعول اول اخره للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه
للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير
كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر
كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا
او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية
فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها
او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه
ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح
النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض
لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم
قرا ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة
على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء
وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار

ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد
والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله
يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم
وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم
فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه
قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجهه وطلب ثوابه
او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث وقيل نفي في معنى نهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد
للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود
وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد لا يسألون الناس
الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل
هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال
او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين
ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل
لانه اعظم منافع المال ولان الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع

معنى التفخيم ها هو التلفظ بما يكون
بين الواو والالف ولهذا
كتب بالواو والالف
ابن الحميد

مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه
وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام
المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي
لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم
ما اكلوه من الربا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه
استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا
اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى
سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر
هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته
النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالنهي عن الربوا
فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع
الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف
غير معتمد على ما قبله وامره الى الله تعالى يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته
ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه
وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار
مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله
وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما
لانافتهما على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون
على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم
على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان
لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية
ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم

وتنكير

---

وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله
كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما
قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة
وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة
او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى
منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقرأ نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافا
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا
بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر
الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت
فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى
كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها
في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عليه السلام بعدها احدا وعشرين يوما
وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
بدين اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة
ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد
وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس
ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل
من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليمها كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب
تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف
بالامر فيكون النهي عن الامتناع عنها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد

اى المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اى من الحق او مما املى عليه فان كان الذى عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدين من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابى حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة فى الحقيقة التذكر ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مدايناتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب فى ان لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انها الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا

ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم

هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب

[illegible]

على الاستيناف وتجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء
جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن إذ الراء لا يدغم إلا
في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الإحياء والمحاسبة آمن الرسول
بما أنزل إليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة إيمانه والاعتداد به
وأنه جازم في أمره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه
التنوين راجعا إلى الرسول والمؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين
وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون إفراد الرسول بالحكم
إما لتعظيمه أو لأن إيمانه عن مشاهدة وعيان وإيمانهم عن نظر واستدلال وقرأ
حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن أو الجنس والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع
في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب لا نفرق
بين أحد من رسله أي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على أن
الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل أتوه داخرين وأحد في معنى
الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه
بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا أجبنا وأطعنا
أمرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك أو نطلب غفرانك وإليك المصير المرجع
بعد الموت وهو إقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلا ما تسعه
قدرتها فضلا ورحمة أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر
عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل
على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لأن الاكتساب فيه اعتمال
والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير ربنا
لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ
من تفريط وقلة مبالاة أو بأنفسهما إذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فإن الذنوب
كالسموم فكما أن تناولها يؤدي إلى الهلاك وإن كان خطأ فتعاطي الذنوب
لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه
رحمة وفضلا فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد
ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا
إصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك إياه

أي نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى ٥

أي لها ما كسبت من نفعها ما كسبته من خير ٥ وعليها ما اكتسبت وضررها ما اكتسبته من شر ٥

من قبلنا أو مثل الذي حملته إياهم فيكون صفة لإصرا والمراد به ما كلف به بنو إسرائيل
من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة أو ما أصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة أو من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد
ههنا لتعدية الفعل إلى المفعول الثاني واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا
أنت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فإن من حق المولى أن ينصر
مواليه على الأعداء والمراد به عامة الكفرة روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه
الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه
عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه
وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة
التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط
القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

## سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم إنما فتح الميم
في المشهورة وكان حقها أن يوقف عليها لإلقاء حركة الهمزة عليها ليدل على أنها
في حكم الثابت لأنها أسقطت للتخفيف لا للدرج فإن الميم في حكم الوقف كقولهم
واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فإنه غير محذور
في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء
الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الأصل الحي القيوم روي
أنه عليه السلام قال إن اسم الله الأعظم في ثلث سور في البقرة الله لا إله إلا هو الحي
القيوم وفي آل عمران الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه
للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل أو بالصدق
في أخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه من الكتب وأنزل التوراة والإنجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام
واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل تعسف لأنهما أعجميان
ويؤيد ذلك أنه قرئ الأنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العرب من قبل
من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم إن قلنا إنا متعبدون بشرع من قبلنا
وإلا فالمراد به قومهما وأنزل الفرقان يريد به جنس الكتب الإلهية فإنها فارقة

بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كأنه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً واظهاراً لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيماً للامر وزجراً عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كلياً كان او جزئياً ايماناً او كفراً فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقياً من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حياً وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان رباً فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ واما قوله كتاباً متشابهاً فمعناه انه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان الغاير ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل

ما تشابه منه فيتعلقون

[illegible]

ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب عن قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين ويحتمل الاستئناف اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقاً للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لاجل سؤاله وفي الآية دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك

[illegible]

هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون
متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك
او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو
مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف
على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد
او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد
العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف الكفرة قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود
فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت ولقد صدق الله وعده بقتل
قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل
النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به
من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره
وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش
او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم اي يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين
وكانوا قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون
المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويتيقنوا بالنصر الذي
وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده
قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله ويريكم
ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال
من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء
نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم
العدة على الكثير الشاكي السلاح وكونه واقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوعه
منهم على ما اخبر به الرسول عليه السلام لعبرة لاولي الابصار لعظة
لذوي البصائر والعقول وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى

شهوتها

---

شهواتها كقوله اني احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال
والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية
اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل
الشيطان فانه لا اشتغل له بمعرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل
ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه
للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او
المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم
ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب
اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب
خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع
جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء ورضوان من الله وقرأ عاصم في رواية ابي بكر في
جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله من اتبع رضوانه
سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب
المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد
نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله تعالى
ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا
آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوبا او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف
في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب
فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس
وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما
بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة
الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها

وتخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق
والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمتهجدين قيل إنهم كانوا يصلون إلى السحر
ثم يستغفرون ويدعون شهد الله أنه لا إله إلا هو بين وحدانيته بنصب
الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالإقرار وأولو
العلم بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة
الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله
وإنما جاز إفراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى
ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أو من هو والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد قائما
أو أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا من الضمير وقرئ القائم
بالقسط على البدل من هو أو الخبر المحذوف لا إله إلا هو كرره للتأكيد ومزيد
الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد وقد روي
في فضلها أنه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى
إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة
وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله إن الدين عند الله الإسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد
والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلوات الله عليه وقرأ الكسائي بالفتح
على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه وبدل
الاشتمال إن فسر بالشريعة وقرئ أنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما أو إجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أخرى
لتضمنه معناهما وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام فقال قوم إنه حق وقال قوم
إنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى
اختلفوا في أمر عيسى إلا من بعد ما جاءهم العلم أي من بعد ما علموا حقيقة الأمر
أو تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة
لا لشبهة وخفاء في الأمر ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب وعيد
لمن كفر منهم فإن حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج فقل أسلمت
وجهي لله أخلصت نفسي وجملتي له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم

الذي

الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات والرسل وإنما عبر بالوجه عن النفس
لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف
على التاء وحسن للفصل أو مفعول معه وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين
الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما أسلمت لما وضحت لكم الحجة
أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل أنتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة
والمعاندة فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها
من الضلال وإن تولوا فإنما عليك البلاغ أي فلم يضروك إذ ما عليك
إلا أن تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد إن الذين يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب أليم هم أهل الكتاب الذين في عصره قتل
أولوهم الأنبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين
ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين
ومنع سيبويه إدخال الفاء في خبر إن كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح
والفرق أنه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم
العذاب ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب أي التوراة أو جنس الكتب
السماوية ومن للتبعيض أو للبيان وتنكير نصيبا يحتمل التعظيم والتحقير
يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله
القرآن أو التوراة لما روي أنه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على أي دين أنت فقال على دين إبراهيم عليه السلام فقالا له
إن إبراهيم كان يهوديا فقال هلموا إلى التوراة فإنها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت
وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف
فيما بينهم وفيه دليل على أن الأدلة السمعية حجة في الأصول ثم يتولى فريق
منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الإعراض والجملة حال من فريق وإنما ساغ لتخصصه بالصفة
ذلك إشارة إلى التولي والإعراض بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما
معدودات بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد
الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن النار
لن تمسهم إلا أياما قلائل أو أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم أو أنه تعالى
وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم فكيف إذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب

لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت
كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن
لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي
بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس
قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا
الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله
يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان
عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء تعطي منه ما تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه
وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء
وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق
والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي
بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا
او لمراعات الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام
لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون
فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء واخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم
فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض
الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء اخبرني جبريل
ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم
انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله
انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك
ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة
على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما

في الاخر

في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء
الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل
اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة
ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولاية الله في شيء يصح
ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم
امرا يجب اتقاؤه او اتقاء وتعدية الفعل بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا
وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت
المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا
وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخط الله
بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح
وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية
الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض
فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا
عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه كانه قال ويحذركم
نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية
تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا
وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب
بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو
اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على
ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا
يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد
اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه
لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عقابه قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها
اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه
او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة
على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته
واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده
انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول
فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين
بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه
غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابرهيم
اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه السلام وآل عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه
مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعازر بن ابي ايود بن يوزن بن زربابل بن سالتان
ابن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن ميشك بن حازقيا بن احاز بن يوثام
ابن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن ايبا بن رحبعم بن سليمان بن داود
ابن ايشى بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذ بن رام بن حصروم
ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم
ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به وقيل نصبه

او سميع عليم ٥
باضمار

[illegible]

---

باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان
معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة
من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا
يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير
او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه
على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها
قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز
انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد
او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت
وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم
ويعقوب وضعت على انها من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا
وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس
الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها
من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان
يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل
على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها
ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها
فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر
مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر
او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فأبوا
الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا

[illegible]

قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدراً على تقدير مضاف
اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتعجل اي فاخذها في اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً مجاز عن تربيتها بما يصلحها
في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا
زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي
جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعاً
كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه
ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس وجد عندها رزقاً جواب كلما روي انه كان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء
وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثدياً قط فكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلاً به
وهو يحتمل ان يكون من كلامهما وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها
اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها
وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها انى لك
هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله
الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين
وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا
زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعمل هنا وثم وحيث للزمان
لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية
طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه
على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن
على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة
اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة
والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائماً في الصلاة
ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال من الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى
اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ
حمزة والكسائي يبشرك يحيى اسم اعجمي وان جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف

مصدقاً بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيداً
يسود قومه ويفوقهم وكان فائقاً للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصوراً
مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبياً من الصالحين ناشئاً منهم او كائناً
من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاداً من حيث
العادة او استعظاماً او تعجباً او استفهاماً عن كيفية حدوثه وقد بلغني
الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان
وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد
قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل
وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر
والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل
هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك
والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله
بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة
ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص
المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة كانه قال آيتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزاً اشارة بنحو يد او
راس واصله التحريك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رمزاً بفتحتين جمع رامز كخدم ورمزاً كرسل جمع رموز على انه حال
منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا واذكر ربك كثيراً في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض
وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب
وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى
وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاهاً كرامة لها ومن انكر
الكرامة زعم ان ذلك معجزة زكريا او ارهاصاً لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع
على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالاً وقيل الهموها
فالاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها
برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها
وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها

تماضر فنسا اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك
واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة
في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه
على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع
الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا
من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم لمنكريه فان طريق معرفة
الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون
الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف
دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم وما كنت
لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت
الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة
في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله
بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه
مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه
جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة وذلك تكلف لا طائل تحته وابن مريم
لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه
اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة
المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته
وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء
ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة
وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة
او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه
وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم

قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد عادي او استفهام
عن انه يكون بتزوج قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل
حكى لها قول الله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر
ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف
اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او
جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم
بآية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم
وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على
هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله
وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع
الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء
واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي
لا تشكون فيها ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم
لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية
عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم
مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله باني قد جئتكم بآية او معطوف
على معنى مصدقا كقولك جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم
اي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت
وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم بآية اخرى الهمنيها ربكم وهو قوله
ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر
او جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر
انه تكرير لقد جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول
لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم

بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم إليه ثم
شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال إن الله ربي وربكم إشارة إلى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه إشارة إلى استكمال القوة العملية
فإنه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين
أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم
فلما أحس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من أنصاري إلى الله
ملتجئا إلى الله أو ذاهبا أو ضاما إليه ويجوز أن يتعلق الجار بأنصاري متضمنا معنى الإضافة
أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى بنصري وقيل إلى هاهنا بمعنى مع أو في أو اللام قال
الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن
ونظافتهن سمي به أصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها نحن
أنصار الله أي أنصار دينه آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة
حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين أي مع الشاهدين بوحدانيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون
لأتباعهم أو مع أمة محمد عليه السلام فإنهم شهداء على الناس ومكروا أي الذين أحس عيسى
منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى
وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره
إلى مضرة لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين
أقواهم مكرا وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب إذ قال الله ظرف
لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى إني متوفيك أي مستوفي
أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصما إياك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت
مالي أو متوفيك نائما إذ روي أنه رفع نائما أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج
إلى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى
ورافعك إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
أو قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يعلونهم بالحجة أو السيف
في غالب الأمر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى وإلى الآن لم يسمع غلبة اليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم إلي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب
المخاطبين على الغائبين فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين فأما الذين
كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم تفسير الحكم وتفصيله والله لا يحب
الظالمين تقرير لذلك ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره

نتلوه

نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز أن يكون الخبر ونتلوه حالا
على أن العامل معنى الإشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه يريد به القرآن
وقيل اللوح إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم إن شأنه الغريب كشأن آدم عليه السلام
خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو أنه خلق بلا أب
كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب إفحاما للخصم
وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن أي أنشأه
بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز أن يكون
ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف
أي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أي الحق المذكور من الله فلا تكن
من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات
أو لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
أي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع أبناءنا
وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي يدع كل منا ومنكم
نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحمل عليها وإنما قدمهم
على النفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل أي نتباهل
بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك
من قولهم بهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين
عطف فيه بيان روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا
قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد
جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فإن أبيتم
إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا
محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول إذا أنا
دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله
أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل
من أتى بهم من أهل بيته إن هذا أي ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق
بجملتها خبر إن أو هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى حق دون ما ذكروه
وما بعده خبر واللام دخلته لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل المبتدأ

وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى افساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبههم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر

في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله آانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلاة والسلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما

ما لا شياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم
الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل
او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير ءان يؤتى على الاستفهام للتقريع
وهو متعلق بمحذوف اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام
الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه
حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك
كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير
النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده
بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن من
ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم
وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا
تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه
اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع
من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان
بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم
او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته
والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط على غيره
واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله

ويكثر

ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها
نزلت في احبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف
لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي
في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك
وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها
والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف
المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم
وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا
لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب
ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نأمر
بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل
يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال
لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ
تدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم
ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان
اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة
والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر
باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون

على المستأذنين فيحتمل الحال أيأمركم بالكفر إنكار والضمير فيه للبشر وقيل لله
بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون
لأن يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل إنه على ظاهره
وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق
من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وقيل إضافة الميثاق إلى
النبيين إضافة إلى الفاعل والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم
وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما لأنهم
كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام
في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن
جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أي لأجل
إيتائي إياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه
أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين
آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث
استثقالا قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي سمي به لأنه يؤصر
أي يشد وقرئ بالضم وهو إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به قالوا
أقررنا قال فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وأنا معكم من الشاهدين وأنا أيضا على إقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم
فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة فأولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للإنكار أو على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وفي
رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله أسلم
من في السماوات والأرض طوعا وكرها أي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين
بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق والإشراف
على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون
أن يمتنعوا عما قضي عليهم وإليه ترجعون وقرئ بالياء على أن الضمير لمن قل آمنا بالله
وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط
وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم أمر للرسول عليه الصلاة والسلام
بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط
تبليغه إليهم وأيضا المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب إليهم أو بأن يتكلم عن نفسه

على طريقة الملوك إجلالا له والنزول كما يعدى بإلى الرسل يعدى بعلى لأنه من فوق وإنما
قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لأنه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين أحد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون أو مخلصون في عبادته ومن يبتغ
غير الإسلام دينا أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع وواقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به
على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغايره
لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين أيضا للأعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لأن يهديهم الله
فإن الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي
وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في إيمانهم
من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن أو حال بإضمار قد من كفروا وهو على
الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان
فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل
الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم
والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فإن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه
ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم يجر ذكرهما
لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك
أي من بعد الارتداد وأصلحوا ما أفسدوا ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى دخلوا في الصلاح
فإن الله غفور لقبول توبته رحيم يتفضل عليه قيل إنها نزلت في الحارث بن سويد حين
ندم على ردته فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس
بالآية فرجع إلى المدينة فتاب إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام
والقرآن أو كفروا بمحمد عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالإصرار
والعناد والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض العهد أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا
كفرا بقولهم نتربص بمحمد عليه السلام ريب المنون أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره
لن تقبل توبتهم لأنهم لا يتوبون أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم
توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وإبرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة
أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه

واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع
على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل
يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله
والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها
رسول الله عليه السلام اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام
ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب
افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل
على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره
ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد
اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه
كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان
ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي
ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل
التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا
وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى
الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى
الرسول عليه السلام موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها

[illegible]

ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل
على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول
التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمتهم الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله
تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم
حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية
التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات
احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه
انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط
والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه
اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة
وقيل اول من بناه ابرهيم عليه السلام ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش
وقيل هو اول بيت بناه ادم عليه السلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم عليه السلام
وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة فلما اهبط ادم
امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات
وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير
والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى
للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور
عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم
ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى
مقام ابرهيم مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض
من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها
الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء
وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب
هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت
فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى
على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم

وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي
من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له
ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع
اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن
اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب
في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى
الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج
تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله
في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير
للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع
مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة
على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر
النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي
انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة
على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب
دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل
فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي
العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب
العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا
يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم
في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه

تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها
سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد
على ما تعملون ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت
في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس
اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم
ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم
للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد
من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول
بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء
بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم
رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان
الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه
في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام
بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد النهي عن طاعة
اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة
والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام
اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات
نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي

واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين
استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب عن الردى كما ان التمسك بالحبل
للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا
مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب
او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق
ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام
المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف
بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله
وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام
وكنتم على شفا حفرة من النار اي مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت
في تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له
شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية
اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب
على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو
فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس
تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك
هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره
الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم
البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص
بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد

واصاب

واصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد
للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار
كفروا بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر
في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم
او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب
المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى
لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد
ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستئناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم
فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك
بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل
الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه
المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعده كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى
ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله
او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم
وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق
ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه
قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به
واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي
كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب
ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون

في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم
الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا
ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع
باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال
كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا
عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه
الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل
والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم
عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين
بذمة الله وكتابه واتباع سبيل المومنين وباؤا بغضب من الله رجعوا مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر
فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات
وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه
لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا
يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب
عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء
في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان
نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم
يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة
في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه
الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت
في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون
في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب
متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات

ممن

ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير
فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية
الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة
والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم
بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز
عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار
ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون اي ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة
والمنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع
اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد
للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث
كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو
من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز
ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم
المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها
او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به
العقوبة وقرئ ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف
الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار وقال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم
من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي
بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون لكم في الفساد والالو
التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا الوك نصحا
على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر
والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم
لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة
المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت
على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء
تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم

بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك
أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء
بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبراً وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله
وهو حال من لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم
قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفاً
وتحسراً حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور
فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن الله
عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً وأن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم
ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم
إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة
والمس مستعار للإصابة وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكاليف
وتتقوا موالاتهم أو ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئاً بفضل الله وحفظه
الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر
يكون قليل الانفعال جريئاً على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مدّ وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره إن الله بما تعملون يعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علماً فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما
في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه وإذ غدوت أي واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة
عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام
مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم عليم
بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث
من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد دعا عبد الله
ابن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا
إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا
قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين
وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي
فأولتها خيراً ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع

حصينة

---

حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم
بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس
لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال
لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا إذ همت متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من إذ غدوت
طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحي العسكر
أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل ووعد لهم
النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا
وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم
فقال ابن أبي لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا
مع رسوله والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما أي عاصمهما عن اتباع
تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر
ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمي به وأنتم أذلة حال من الضمير وإنما قال أذلة
ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله
في الثبات لعلكم تشكرون بما أنعم به عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم ينعم الله
عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول للمؤمنين
ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط
الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول لم تنزل الملائكة
ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين إنكار أن لا يكفيهم
ذلك وإنما جيء بلن إشعاراً بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم يوم بدر أولاً بألف من الملائكة ثم صاروا
ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو
للتدريج بلى إيجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثاً عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون
من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر إذا غلت
فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى
إن يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال إتيانهم بلا تراخ

وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام
لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم
بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم
الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر
العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب
في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة
ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر اذ كان اللام فيه للعهد
والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن
يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال
ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او
يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم
ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة
عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون
او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى
منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم
فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله لا لك يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل
منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال
المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه
لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة
وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له

وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها
السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او في الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه
من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه عن امضائه مع القدرة من كظمت
القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو
يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله
يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل
الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او
حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب
الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به
وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون
ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون
كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير
جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه
فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا
على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله

ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك اي
المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم
المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال
ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا راى مثلهم في سالف السنن فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم
قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث
على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم
يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم
وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم
في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم
منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون
بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح
ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها
والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل
كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول
وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء
اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة
كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر
ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله
الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله
ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم
او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين
على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه
ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به

وهو

---

وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم منكم ناسا بالشهادة يريد شهداء احد
او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله
لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه
تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء
للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم
ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على ان الجهاد فرض على
الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ
يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال
ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها
من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا
وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه
من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي
فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ
لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على
تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه
بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل
الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي
بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب
الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي فقال قد قتلت محمدا
وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو
الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم
فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي

لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل النبي عم ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الإسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله إلا بمشيئته أو بإذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالإحجام عن القتال والإقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الأجل كتابا مصدر مؤكد إذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له أي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فإن المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمه فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين أصله أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفا كما أبدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء أتقياء أو عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل وإسناده إلى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الأول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الأصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم وما ضعفوا عن العدو أو في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف من إشباع الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم عند الإرجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين

وكونهم

وكونهم ربانيين إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضما لها وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب إلى الإجابة وإنما جعل قولهم خبرا لأن أن قالوا أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ إلى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن إشعارا بفضله وأنه المعتد به عنده يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل إن تستكينوا لأبي سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فإنه يستجر إلى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الأصل في كل القرآن بما أشركوا بالله بسبب إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا أي آلهة ليس على إشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين أي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده أي وعده إياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم إذ تحسونهم بإذنه تقتلونهم من حسه إذا أبطل حسه حتى إذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الأمر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب إذا محذوف

وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة
وهم الذين ثبتوا محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال
فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم
تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المومنين يتفضل عليهم
بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد
لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله
انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل
والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم
اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا
فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم
من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم
للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم
يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم
من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم
من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة
غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فاخذه
والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه
متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار
وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس
وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المومنون حقا وطائفة
هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم
وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال
او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص
بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله عليه السلام وهو بدل من يظنون
هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصرة والظفر نصيب قط
وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا

باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء
قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب
كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون
اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار
والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون
او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام
وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان
راي ابن ابي وغيره ما قتلنا ها هنا لما غلبنا او لما قتل من قتل منا في هذه المعركة
قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة
بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب
لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز
لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم
وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل
ذلك لتمرين المومنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد
انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة لمخالفة النبي
فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك
بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة
والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى
اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال
الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك

حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة مثلها في ليكون
لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك إشارة إلى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة
والسفر فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله
بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء على أنه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم أي متم
في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى
أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل الله
فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو
لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم أو قتلتم على أي وجه اتفق هلاككم
لإلى الله تحشرون لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا إلى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع
وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وما مزيدة
للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه
على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ولو كنت
فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك
لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله وشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه
استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للأمة
فإذا عزمت فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه وقرئ فإذا عزمت
على التكلم أي فإذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه
أحدا إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح إن ينصركم الله
كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم
يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى إذا
جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به
النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه

بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي أن يغل وما صح
لنبي أن يخون في المغانم فإن النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه خفية والمراد به إما براءة الرسول
عما اتهم به إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله عليه السلام أخذها أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم
الغنائم وإما المبالغة في النهي للرسول على ما روي أنه بعث طلائع فغنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون
تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب أن يغل على البناء للمفعول والمعنى
وما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب إلى الغلول ومن يغلل يأت بما غل
يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث أو بما احتمل من وباله
وإثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله
أن يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة
فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه به أولى
وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع
رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة
الأولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم
من التفاوت في الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله
على المؤمنين أنعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة
عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على أنه خبر محذوف مثل منه أو بعثه
إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وقرئ
من أنفسهم أي من أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم
يتلو عليهم آياته أي القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم
من دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن
والسنة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى إن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر أولما أصابتكم
مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة

الجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف
الى اصابتكم اي احين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم من اين هذا
اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم
من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار
الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم فما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او
تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف
على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قسم
الامر عليهم وخيرهم بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن
ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء الانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم
هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا
للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون
لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب
وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم
او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده
لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من
جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود
ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه
فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال
يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر
والخطاب لرسول الله عليه السلام او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير

او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جاز حذفه
عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء بل هم احياء
وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد
لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة
الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل
المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه
وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الاية
وما روى ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش
ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا
به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه
وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان
لقوله الا خوف عليهم ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة
من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف
على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم
مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي
ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال
لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله عليه السلام مع جماعة
حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوبهم فذهبوا

فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الناس الركب الذي استقبلهم من عبد قيس
او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسهم كما يقال فلان
يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل
لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول
او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى
انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم
واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان
يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من الايمان وكذا ان لم تجعل
فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله
محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد
بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه
فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه
وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو
مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل
عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين
واظهار الجراة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر
حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه
ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة

الى قوله

الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام
والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا
اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل
المفعول والمصدر وقرأ نافع لا يحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث وقع ما خلا
قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتحها وضم الزاء والباقون كذلك في الكل
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل
على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر
لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا
يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول عليه السلام
او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام
فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين
فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة
وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف
بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة
وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين
كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي
خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم
ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا

عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم
علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعنه عليه السلام عرضت
علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن
يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق
فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو
القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن
بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول
او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون
عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله
الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما
مما يتوارث فما لهولاء يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء
خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام
كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير
حين سال القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت
عنقه فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى
انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق

و

اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر
بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس
اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول
ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق
وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل
والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف
من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت
ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس
لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته
للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء
الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله
عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله
النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء
بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله
اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار
القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل
قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق
وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم
عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور
على الحكمة من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع
والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل
الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر وهشام
وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس
ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب
مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ
التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة

من رياض الجنان وحفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد منها والزحزحة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها
الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم
بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء
الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة
امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم
عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو
امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه
قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا
قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارونه لانفسهم
وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب الخطاب للرسول عليه السلام ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن
محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن يفرحون بما اتوا

انفسهم

[illegible]

---

انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء
مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا
فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في
التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون
الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المخلصة
الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما
ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها
او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات
كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلوة والسلام من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب
طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهو حجة الشافعي في ان المريض يصلي
مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق
السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام
لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال
اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل
واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على
انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى
ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون
مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه
على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية سبحانك
تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار
للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم

[illegible]

خلقت فاستعملت لا لأدمي حملهم على الاستعاذة ربنا إنك من تدخل النار فقد
أخزيته فقد أخزيته غاية الإخزاء ونظيره قوله فقد فاز أو أهنته
أدرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه
وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع وما للظالمين من أنصار أراد بهم المدخلين
ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم تسبب لإدخالهم النار وانقطاع
النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصر دفع
بقهر ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع
لدلالة صفته عليه وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي
وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن
والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
أن آمنوا بربكم فآمنا أي بأن آمنوا فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فإنها
ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فإنها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر
وتوفنا مع الأبرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على أنهم محبون
لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والأبرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهر
امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من إخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين
لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز أن يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة بأن تعصمنا عما يقتضيه إنك لا تخلف الميعاد بإثابة المؤمن وإجابة
الداعي عن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في
الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه أمر
فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم إلى طلبتهم وهو
أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام أني لا أضيع عمل عامل منكم بأني لا أضيع
وقرئ بالكسر على إرادة القول من ذكر أو أنثى بيان عامل بعضكم من بعض لأن الذكر من الأنثى
والأنثى من الذكر أو لأنهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاجتماع
والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد
للعمال روي أن أم سلمة قالت يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الآية تفصيل لأعمال العمال وما أعد لهم
من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان
والعشائر للدين وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله
وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب

الترتيب

الثاني أفضل أو لأن المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير
وابن عامر قتلوا للتكثير لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري
من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله أي أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضلا منه
فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عليه السلام والمراد أمته أو تثبيته
على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين أو لكل أحد والنهي في المعنى
للمخاطب وإنما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى
لا تنظر إلى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم
في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد
هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك التقلب
متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا
في جنب الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم
جهنم وبئس المهاد أي ما مهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد
للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار
بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات
والعامل فيها الظرف وقيل إنه مصدر مؤكد والتقدير أنزلوها نزلا
وما عند الله لكثرته ودوامه خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام
وأصحابه وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا
إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل
بينه وبين إن بالظرف وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من أحبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الأجر ووعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم
مرتين إن الله سريع الحساب لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء
واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الأجر الموعود سريع
الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا أيها الذين آمنوا اصبروا

على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر
على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر
بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو
وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة
وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان
وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او واتقوا القبائح لعلكم تفلحون
بنيل المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة
النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات
المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

## سورة النساء مدنية مائة وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد
وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعها او على محذوف تقديره من نفس واحدة
خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها
اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه
القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي
توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله
وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ
تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا
فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا
تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع
على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه
سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم

رقيبا

---

رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم
وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى
مجرى الاسماء كفارس وصاحب قيل في جمعه يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى
كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود
الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع
اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم رشد ولذلك
امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا
ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما
بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله
من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال
من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها
وقيل لا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس
بتبدل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي
لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذلك حرام وهو فيما زاد
على قدر اجره لقوله فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا
وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي وان خفتم
ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن
اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع
عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم
الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي
انه لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء
واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا
فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن
ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم
ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين
وثلاث ثلاث واربع اربع غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير

[illegible]

منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح
ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة
درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين الاعداد
دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم
الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة
وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد
من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن
واختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان
اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر
عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد
بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الاولاد بالاضافة
الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء
صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال
جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية
يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها
بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها
في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى
او يجري مجرى اسم الاشارة كقوله [illegible] كانه في الجلد توليع البهق اي
كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى
فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة
وعداه بعن لتضمنه معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما
المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء
ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه

اليها

---

اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم
اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم
وهو الملائم للايات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله
الله تعا من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء
استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول
بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة
وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا
فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره
احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح
الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد
وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح
حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا
لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه
واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح
كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم
منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير
عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمن معنى الشرط والجملة
غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس
منهم الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين
وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة
دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا
فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة
سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في
مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل
من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا
التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا

على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم
بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره
يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب
مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم
ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب
على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم
مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم
وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس
ابن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم
ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث
اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى
نزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم
وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى
ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم
تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل
امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم
ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة
من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى
وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم

الضياع

الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية
بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم
ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية
ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار
ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم
نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا اي نار
وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي
النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم
في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص
الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف
كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم
فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر
فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت
واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان
التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى
لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى
ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد
رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين
امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التفصيل

على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً السدس مما ترك إن كان له للميت ولد ذكراً أو أنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصوبة فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك وإنما لم يذكر حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثاً وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث معهما أحد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فإنه يفضي إلى تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فإن كان له إخوة فلأمه السدس بإطلاقه يدل على أن الإخوة يردونها من الثلث إلى السدس وإن كانوا لا يرثون مع الأب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم والجمهور على أن المراد بالإخوة عدد ممن له إخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الإخوة أو الأخوات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الأم من الثلث ما دون الثلاثة ولا الأخوات الخلص أخذاً بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة اتباعاً للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها أو دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين وإنما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً أي لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمان بعض روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه فيرفع بشفاعته أو من مورثيكم منهم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضاء وصيته أو من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لأنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم إن الله كان عليماً بالمصالح والرتب حكيماً فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فلكم الربع مما تركن أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين فرض للرجل بحق الزوج

فإن كان لهن ولد
صح

ضعف

ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان رجل أي الميت يورث أي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لأنها كالة بالإضافة إليها ثم وصف بها الموروث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي أو امرأة عطف على رجل وله أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أخ أو أخت أي من الأم ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين وللإخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر ههنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والأنثى في القسمة لأن الإدلاء بمحض الأنوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالإجماع من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده أن قرئ غير مضار وصية بالإضافة أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصيته بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين وتوحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون

وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك
خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا وإلا لوجب إبراز الضمير لأنهما جريتا
على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها يقال
أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها إذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال
المؤمنين تشهد عليهن فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت واجعلوها سجنا
عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في أوائل الإسلام فنسخ بالحد ويحتمل أن يكون
المراد به التوصية بإمساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى
بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية
والزاني أو يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح
المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير
واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الألف والباقون بالتخفيف من غير تمكين
فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا
عنهما فاقطعوا عنهما الإيذاء أو أعرضوا عنهما بالإغماض والستر إن الله كان
توابا رحيما علة الأمر بالإعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية سابقة على الأولى
نزولا وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات
وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة على الله أي قبول
التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته للذين يعملون
السوء بجهالة متلبسين بها سفها فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك
قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان
قريب أي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى إذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه السلام
إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لأن أمد الحياة قريب لقوله تعالى
قل متاع الدنيا قليل أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر
عليهم الرجوع ومن للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل
أن ينزل بهم سلطان الموت أو [illegible] فأولئك يتوب الله عليهم
وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله إنما التوبة على الله وكان الله
عليما فيعلم بإخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت
من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد

وسياقيها

في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين
يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار أولئك أعتدنا لهم عذابا
أليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان أن العذاب أعده لهم لا يعجزه عذابهم
متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فأبدلت
الدال الأولى تاء يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها
كان الرجل إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها
ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها
وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها بصداقها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث فتتزوجوهن كارهات
لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه
وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن
من التزوج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل
الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا
منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الأزواج ونهاهم
عن العضل إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم
التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره ولا تعضلوهن
للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة إلا أن يأتين
بفاحشة وعاشروهن بالمعروف بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول
فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي فلا تفارقوهن
لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه
وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير وعسى في الأصل علة الجزاء
فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج أخرى
وآتيتم إحداهن إحدى الزوجات جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس قنطارا
مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا أي من القنطار أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا
استفهام إنكار وتوبيخ أي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب
على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لأن الأخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بهت التي تحته
حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن

هن

والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل
ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض إنكار
لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر
وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً عهداً وثيقاً وهو حق الصحبة والممازجة أو ما أوثق الله
عليهم في شأنهن بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه
النبي عليه السلام بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من
لأنه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر من النساء
بيان ما نكح على الوجهين إلا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه
قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من اللفظ
للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم
أن تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فإنه لا مؤاخذة
عليه لا أنه مقرر إنه كان فاحشة ومقتاً علة للنهي أي إن نكاحهن كان
فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم ممقوتاً عند ذوي المروءات
ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه مقيتاً وساء سبيلاً سبيل من يراه
ويفعله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات
الأخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد
منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله حرمت عليكم الميتة
ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك
وإن علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت وأخواتكم
الأخوات من الأوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد
ذكراً ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريباً أو بعيداً وبنات الأخ
وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أماً والمراضعة أختاً وأمرها
على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه
من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح فإن حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب
وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
ذكر أولاً محرمات النسب ثم الرضاعة لأن لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات
المصاهرة فإن تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب

[illegible]

ولد

---

ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى
مفعول وإنما لحقه التاء لأنه صار اسماً ومن نسائكم متعلق بربائبكم
واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم
ولا يجوز تعليقها بالأمهات أيضاً لأن من إذا علقتها بالربائب كانت
ابتدائية فإن علقتها بالأمهات لم يجز ذلك بل وجب أن تكون بياناً لنسائكم
والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الأدباء اللهم إلا إذا جعلتها
للاتصال كقوله فإني لست منك ولست مني على معنى أن أمهات النساء
وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال
في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها
ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن علي
تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لأن
عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى أن الربائب
إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم أو بصدده قوي الشبه بينها وبين
أولادكم وصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة وإليه ذهب جمهور العلماء
وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطاً والأمهات والربائب متناولان القريبة
والبعيدة وقوله دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر
ما ليس بزنا كالوطء بشبهة أو ملك يمين وعند أبي حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة
ونحوه كالدخول فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد إشعار
دفعاً للقياس وحلائل أبنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها
مع الزوج الذين من أصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد وأن تجمعوا
بين الأختين في موضع الرفع عطفاً على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة
على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك
اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان
هذه الآية وقوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
وقول علي رضي الله عنه أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام
ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام إلا ما قد سلف استثناء على لازم
أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله تعالى إن الله كان غفوراً رحيماً
والمحصنات من النساء ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو الأزواج
وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن لأنهن أحصن فروجهن إلا ما ملكت
أيمانكم يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال
للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد رضي الله عنه أصبنا سبايا

[illegible]

اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فان الغرض منه مجرده فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخ كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنه ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة

الكتابية

الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم عليه السلام ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة زنى فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باقبح القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الخلق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة

لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد أن يتوب عليكم كرره للتأكيد
والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فإن اتباع الشهوات الائتمار لها
وأما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل
اليهود فإنهم يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت أن تميلوا عن الحق
ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالإضافة إلى ميل
من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله أن يخفف عنكم فلذلك شرع لكم
الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة
وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه
الثلاث وإن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم
مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا أيها الذين
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار
إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع أي ولكن كون تجارة عن تراض غير
منهي عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة
عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لأنها
أغلب وأرفق لذوي المروءات ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم أي إلا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة
ولا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند أو بإلقاء النفس إلى التهلكة
ويؤيده ما روي أن عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام
أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يذلها ويرديها فإنه القتل
الحقيقي للنفس وقيل المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس
واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب
قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة
كما أشار إليه بقوله إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم
أو معناه أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه
ومن يفعل ذلك إشارة إلى القتل أو ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما إفراطا
في التجاوز عن الحق وإتيانا بما لا يستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير
وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله إياها وقرئ
بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه

إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ
كبير على إرادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف
في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه
وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام أنها سبع الإشراك بالله وقتل النفس
التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع وقيل
أراد ههنا أنواع الشرك لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر
الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الأمران
فمن عن له أمران منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر ولعل هذا مما يتفاوت
باعتبار الأشخاص والأحوال ألا ترى أنه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي
لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما
الجنة وما وعد من الثواب أو إدخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو أيضا
يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الأمور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد
والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وأنه تشه لحصول الشيء له من غير
طلب وهو مذموم لأن تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك أي لكل من الرجال
والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل بالعمل
لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الإيمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث
وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف
من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله
أي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل
على أن المنهي هو الحسد أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه إليكم
إن الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان فيفضل عن علم وتبيان
روي أن أم سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وإنما
لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والأقربون أي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل
مع الفصل بالعامل أو ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنه

في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي
وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم
جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل
والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي
الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا
صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره
فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف
على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرا
الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم
الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال
على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق
وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد
نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق
بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت
فقال عليه الصلاة والسلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن
في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء
امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر
على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله
لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله
بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى
بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي
تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح

ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا
كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه
يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه
يتعالى ويتكبر عن ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا
بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل
كقوله نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام
متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح
للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل
الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر
ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق
الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا
الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين
اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا
او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب
القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل
الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة
فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق
الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه
صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف
وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه

وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين
او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس
بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي الحديد بالبخل
بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه
فهو كافر لنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية
نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر وقيل الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم
في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث
انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم
على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد
ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم
الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
اى وما الذي عليهم او اى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ
على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر
لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة
وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا
تضمن المنافع وانما قدم الايمان هاهنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره
الى التخصيص هاهنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء
الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة
حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون
من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة
يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما
بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد

لنعمة الله ومن كان كافرا

---

في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر
مزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى اذا جئنا من كل امة بشهيد
يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون
المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا
تشهد على صدق هؤلاء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم
وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى يود
الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت
ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا
هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم
تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم
انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر
تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اى لا تقوموا
اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب
فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة
مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد
النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح
وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى
كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة
في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر
والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل
متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلوة
جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له
تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل

على أن التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد
إلا إذا كان فيه الماء أو الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية
تنبيه على أن المصلي ينبغي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيره
وإن كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فإن الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنعه
عن الوصول إليه أو على سفر لا تجدونه فيه أو جاء أحد منكم من الغائط فأحدث
بخروج الخارج عن أحد السبيلين وأصل الغائط المطمئن من الأرض أو لامستم
النساء أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على أن اللمس ينقض
الوضوء وقيل أو جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم
واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا
من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم أن المترخص بالتيمم
إما محدث أو جنب والحال المقتضية له غالبا إما مرض أو سفر والجنب
لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من أسبابه
ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب
وبيان العذر مجملا وكأنه قيل وإن كنتم جنبا مرضى أو على سفر أو محدثين
جئتم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم أي فتعمدوا شيئا من وجه الأرض طاهرا ولذلك قالت الحنفية
لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح أجزأه وقال أصحابنا لا بد أن يعلق باليد شيء
من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي من بعضه وجعل
من لابتداء الغاية تعسف إذ لا يفهم من نحو ذلك إلا التبعيض واليد اسم للعضو
إلى المنكب وما روي أنه عليه السلام تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه والقياس
على الوضوء دليل على أن المراد ههنا وأيديكم إلى المرافق إن الله كان عفوا غفورا
فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم ألم تر إلى الذين أوتوا من رؤية البصر أي
ألم تنظر إليهم أو القلب وعدي بإلى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب
حظا يسيرا من علم التوراة لأن المراد أحبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم
بإنكار نبوة محمد عليه السلام وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة
ويريدون أن تضلوا السبيل أيها المؤمنون سبيل الحق والله أعلم بأعدائكم وقد أخبركم
بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي أمركم وكفى
بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل
كفى توكيدا للاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي من الذين هادوا بيان

للذين

للذين أوتوا نصيبا فإنه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض أو بيان لأعدائكم
أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم أو خبر محذوف صفته
يحرفون الكلم عن مواضعه أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها أو يؤولونه
على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام
جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع غير مسمع
أي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم أو موت أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه
أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه
فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان إذا سبه
وإنما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك ليا بألسنتهم
فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه
لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو فتلا
وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب تحقيرا ونفاقا
وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع
وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم وأقوم لكان
ذلك خيرا لهم وأعدل وإنما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة
أن عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى
بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وهو الإيمان
ببعض الآيات والرسل ويجوز أن يراد بالقلة العدم كقوله قليلا ما تشكرون أو إلا قليلا
أو إلا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها من قبل أن نمحو
تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى
ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل الطمس إزالة الأعلام الماثلة وقد يطلق
بمعنى الطلسمة إذا لم يزل الصورة ومطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه
من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار
أو نردها إلى حيث جاءت منه وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب
قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها بأن نعمي الأبصار
عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية
إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب
السبت ونلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لأصحاب الوجوه
أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه إن أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى

يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة
في الدنيا قال إنه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطاً بعدم إيمانهم فقد آمن منهم
طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيد أو ما حكم به وقضاه مفعولاً نافذاً
أو كائناً فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به
لأنه بت الحكم على خلود عذابه ولأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو
بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً لمن يشاء
تفضلاً عليه وإحساناً وعلق المعتزلة بالفعلين على معنى إن الله لا يغفر الشرك
لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد
بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه وآيات الوعد ينقض
مذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح
بعدها فالآية كما هي حجة عليهم هي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب
شرك وأن صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين
سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
وقيل ناس من يهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله عليه السلام فقالوا هل على هؤلاء
ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم
بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده
المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً ولا يظلمون بالذم أو العقاب
على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلاً أدنى ظلم أو أصغره وهو الخيط الذي في شق
النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم
أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا أو بالافتراء إثماً مبيناً
لا يخفى كونه مأثماً من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام
أرضى عند الله مما يدعوا إليه محمد وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف
في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن
مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا والجبت في الأصل
اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي

لا خير

---

لا خير فيه

فقلب سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون
للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً
أقوم ديناً وأرشد طريقاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيراً يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة
ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود
من أن الملك سيصير إليهم فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً أي لو كان لهم نصيب
من الملك فإذاً لا يؤتون أحداً ما يوازي نقيراً وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم
إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيباً من الملك
على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئاً وإذاً إذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك
مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال ولذلك قرئ فإذاً لا يؤتوا على النصب
أم يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله وأصحابه أو العرب أو الناس
جميعاً لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم
وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما
تلازماً وتجاذباً على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز
وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد وأبناء
عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكاً عظيماً فلا يبعد أن يؤتيه الله
مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم
ومنهم من صد عنه أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن به
ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك
وكفى بجهنم سعيراً ناراً مسعورة يعذبون بها أي إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد
كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً
كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها بأن يعاد
ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطاً أو بأن يزال عنه
أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب أي ليدوم لهم
ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لآلة إدراكها فلا محذور إن الله كان عزيزاً لا يمتنع عليه ما يريد حكيماً
يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر
المؤمنين ووعدهم لأن الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها أزواج
مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً فيناناً لا جوب فيه ودائماً لا تنسخه الشمس

وهو اشارة الى النعيم التام والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده
كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان
بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها
وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي يده واخذه
وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر
عليا بان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف
والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء
الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص
بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم
امراء المسلمين في عهد الرسول عليه السلام وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب
طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع بقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر
منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات
فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف فيه
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه
انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر
بطاعة الله وطاعة رسوله عليه السلام فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة
مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد
خير لكم واحسن تاويلا عاقبة واحسن تاويلا من تاويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم

يهوديا

يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم
الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك
فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
واخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي
لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا القول كعب بن الاشرف وفي معناه
من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان
او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال
وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام
على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم مصدر الذي هو الصد والفرق
بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال
فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤوك حين
يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض
يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا
ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني
عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم
لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم
عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر
انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق
الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة
لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم

بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام
كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع
كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان
كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى
الطاغوت جاءوك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على
ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له
ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه
قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة
لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات
كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما
حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا
تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية
او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين
استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل
التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا
الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة
المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين
ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم
والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر
بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم
واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم
ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها
والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب
ان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف

حقك

---

حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال
مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا
جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح
عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد
عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون
بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين
صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية
والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها
ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم
في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته
ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين
درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما
ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء
او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم
بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما
ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن
اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه
يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا
روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت
ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة
كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم
او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره
ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه
او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به

كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا إلى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع
ثبة من ثبت على فلان تثبيتة إذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضاً
على ثبين جبراً لما حذف من عجزه أو انفروا جميعاً مجتمعين كوكبة واحدة
والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات
كلها كيفما أمكن قبل الفوات وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا
وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط
ابن أبي ناساً يوم أحد من بطأ منقولاً من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى
للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه
صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله
ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال أي المبطئ قد أنعم الله علي
إذ لم أكن معهم شهيداً حاضراً فيصيبني ما أصابهم ولئن أصابكم فضل من الله
كفتح وغنيمة ليقولن أكده تنبيهاً على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام إعادة
للضمير على معنى من كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً للتنبيه على ضعف عقيدتهم
وأن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وإنما يريد أن يكون معكم
لمجرد المال أو حال من الضمير في ليقولن أو داخل في المقول أي يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريباً وحسداً كأن لم يكن بينكم
وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها
لفظاً ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ
المودة والمنادى في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على
الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فأنا أفوز
في ذلك الوقت أو العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة أي الذين يبيعونها بها والمعنى إن بطأ هؤلاء عن القتال
فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشترونها
ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً وعد له الأجر
العظيم غلب أو غلب ترغيباً في القتال وتكذيباً لقولهم قد أنعم الله علي
إذ لم أكن معهم شهيداً وإنما قال فيقتل أو يغلب تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي

الجز

أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون
قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الأسر وصونهم
عن العدو أو على سبيل بحذف المضاف أي وفي خلاص المستضعفين ويجوز
نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين
من أيدي الكفار أعظمها وأخصها من الرجال والنساء والولدان بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة
مستذلين ممتحنين وإنما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيهاً على تناهي ظلم
المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والإماء
وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا
من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً فاستجاب الله دعاءهم بأن يسر
لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه
صلوات الله عليه فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند إليه
فإن اسم الفاعل أو المفعول إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر
ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به
إلى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم
إلى الشيطان فقاتلوا أولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين أمر
أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله إن كيد الشيطان
كان ضعيفاً أي إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه ألم تر إلى الذين
قيل لهم كفوا أيديكم عن القتال وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واشتغلوا بما أمرتم به
فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس يخشون الكفار أن يقتلوهم
كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه وإذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته
يخشون خبره كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل
يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله أو أشد خشية عطف عليه
إن جعلته حالاً وإن جعلته مصدراً فلا لأن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أي وكخشية الله أو كخشية أشد
خشية منه على الفرض اللهم إلا أن يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده

على معنى يخشون الناس مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة
الكف عن القتال حذراً عن الموت ويحتمل أنهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في أنفسهم فحكى الله عنهم
قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون
أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
ولا يظلمون لتقدم الغيبة أينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كقوله
ومن يفعل الحسنات الله يشكرها أو على أنه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون
ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور أو حصون مرتفعة والبروج في الأصل بيوت
على أطراف القصر من تبرجت المرأة إذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفاً لها بوصف فاعلها
كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه وإن تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة
على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية أي إن تصبهم نعمة
كخصب نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية كقحط أضافوها إليك وقالوا إن هي إلا
بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها
قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب إرادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا
أن الكل من عند الله أو حديثا ما كبهائم لا أفهام لهم أو حادثاً من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا أن الباسط والقابض هو الله ما أصابك يا إنسان من حسنة من نعمة
فمن الله تفضلاً منه فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله
وقيل ولا أنت قال ولا أنا وما أصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لأنها
السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فإن الكل
منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة إحسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما
قالت عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع
شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة
وأرسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل والتعميم إن علق بها
أي رسولا للناس جميعاً كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس ويجوز نصبه على
المصدر كقوله ولا خارجاً من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب
المعجزات من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه عليه السلام في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي أنه
عليه الصلاة والسلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال
المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى

فنزلت

فنزلت ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ أعمالهم وتحاسبهم
عليها إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون إذا أمرتهم
بأمر طاعة أي أمرنا طاعة أو منا طاعة فأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فإذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول
أي زورت خلافا فيما قلت لها أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة
والتبييت إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو البيت
المبني لأنه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما
في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة أو في جملة ما يوحى إليك
لنطلعك على أسرارهم فأعرض عنهم قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل
على الله في الأمور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم
لك منهم أفلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل
التدبر النظر في أدبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان من كلام البشر كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه
فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره
المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض
على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا
للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
الأحوال في الحكم والمصالح وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف مما يوجب
الأمن أو الخوف أذاعوا به أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم
خبر عن سرايا رسول الله أو أخبرهم الرسول بما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف
من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم وكانت إذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو
لتضمن الإذاعة معنى التحدث ولو ردوه أي ذلك الخبر إلى الرسول وإلى
أولي الأمر منهم إلى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالأمور أو الأمراء
لعلمه لعلم على أي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها
فتعود وبالاً على المسلمين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم
وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول
وأولي الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط إخراج النبط
وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال إلا
قليلا إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق وعصمه

وعصمة عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعاً
قليلاً على الندور فقاتل في سبيل الله إن تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف
إلا نفسك إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن
لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود روي أنه عليه الصلاة والسلام دعا الناس
في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد وقرئ
لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل أي لا نكلفك إلا فعل نفسك
لا أنا لا نكلف أحداً إلا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال إذ ما عليك
في شأنهم إلا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني قريشاً وقد فعل بأن ألقى
في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله أشد بأساً من قريش وأشد تنكيلاً تعذيباً منهم وهو تقريع
وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه
ضراً أو جلب إليه نفعاً ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة
والسلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرماً يكن له كفل منها نصيب من وزرها
مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتاً مقتدراً من أقات على الشيء
إذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتاً
أو شهيداً حافظاً واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه
وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الجمهور على أنه في السلام ويدل
ذلك على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله
المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلاً قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال
آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي
فضلاً فرددت عليك مثله وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع
فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها
وأو للترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي تمامها
وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع
وثباتها والتحية في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة ثم استعمل
للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية
وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي إن الله كان على كل شيء حسيباً

يحاسبكم

يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر [illegible] والخبر
ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي الله والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو مفضين
إليه أو في يوم القيامة ولا إله إلا هو اعتراض والقيامة والقيام كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور أو للحساب لا ريب فيه في اليوم أو الجمع فهو حال من اليوم
أو صفة للمصدر ومن أصدق من الله حديثاً إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه
فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال فما لكم
في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فئتين أي فرقتين
ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناساً منهم استأذنوا رسول الله في الخروج
إلى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين
يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى
الوطن أو قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها
لكم أو عاملها ما لكم كقولك ما لك قائماً وفي المنافقين حال من فئتين
أي متفرقين فيهم أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد
من فئتين والله أركسهم بما كسبوا ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار
وأصل الركس رد الشيء مقلوباً أتريدون أن تهدوا من أضل الله أن تجعلوه
من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً إلى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال
وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم أولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هي
لله ورسوله لا لأغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه فإن تولوا عن الإيمان
الظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر
الكفرة ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً أي جانبوهم رأساً ولا تقبلوا منهم
ولاية ولا نصرة إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء
من قوله فخذوهم واقتلوهم أي إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الأسلميون فإنه عليه الصلاة والسلام
وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه
وعلى أن من لجأ إليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة أو جاؤوكم عطف
على الصلة أي أو الذين جاؤوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم
وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين أو أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين
أو على صفة قوم وكأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال

لكم

وعليكم كلا ولا ظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة
او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ
حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله
لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم
ولم يكفوا عليكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم
السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم
في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان
وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا
كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها
وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم
فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم
وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح
وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضة ونصبه
على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا
يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان
نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر
والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح
غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه
او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطا بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية
نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق
وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة
اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من كل شيء
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار واللؤم في العبيد
عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية
مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك
ابن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث
امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن

في ٢٢/١١ سنة ١٢٩١

ففي ماله

---

ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه
وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق
بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه
او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن
المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله
الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
اي وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب
الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم
فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين
فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة من الله نصب على المفعول له اي شرع ذلك
توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال
بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله
حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب
الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على
انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا اليه
ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود
المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم
يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين
هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام
ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له
الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد
وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت
فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول
ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم

من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها

تقدمت

تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو

ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد
الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا
يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة
في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب
على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب
[illegible] جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ
التنعيم فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه
دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها
اعتمرت مع رسول الله عليه السلام وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت
وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة
والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الاية بانهم
الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان
فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر
تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا
من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه
ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت
ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لم يعتبر في قوله فان خفتم ان لا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه
في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم
وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه
من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى
علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره

فلتقم

فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون بهم
وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما
وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاخرى يدل عليه فاذا سجدوا
يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي
ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي
مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن نخل وان اريد به ان يصلي
بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر
قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى
فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم
كما صلى رسول الله عليه السلام بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله
يصلي بالاولى ركعة ثم يذهبون فتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي
ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية
بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم
صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي
فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة
وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل
عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون
الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر
بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم
بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله
فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد
الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة
فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها

في شيء من الأحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلوة وأنها واجبة
الأداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للأمر بالإتيان بها كيف
ما أمكن وقال أبو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا
في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون إلزام لهم وتقريع على التواني
فيه بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله
بسبب إظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي أن تكونوا
أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا
لأن تكونوا تألمون ويكون قوله فإنهم يألمون علة للنهي عن الوهن لأجله والآية
نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بأعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس روي أن طعمة بن أبيرق من بني ظفر
سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه
وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها
وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها
فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بما أراك الله بما عرفك
وأوحى به إليك وليس من الرؤية بمعنى العلم وإلا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن
للخائنين أي لأجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به
إن الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم
يخونونها فإن وبال خيانتهم يعود إليها أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وأمثاله أو له ولقومه فإنهم شاركوه في الإثم حيث
شهدوا على براءته وخاصموا عنه إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما مبالغا في الخيانة
مصرا عليها روي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب
حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون
منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو أحق بأن يستحيى ويخاف منه
وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه إذ
يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب
وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها أنتم هؤلاء مبتدأ
وخبر جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا أو صلة عند
من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم

عن عذاب

عن عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره أو يظلم نفسه بما يختص به
ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث
لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه
فلا يتعداه وباله لقوله وإن أسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله
حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة أو ما لا عمد فيه أو إثما كبيرة أو ما كان
عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان أو فقد احتمل
بهتانا وإثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى
بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك
ورحمته بإعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول وجعله للنظم أو له
وللأمة فإن عصمته عصمة لهم وإطلاعه على الأحوال لطف لهم لهمت
طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال
والجملة جواب لولا وليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه
وما يضلون إلا أنفسهم لأنه ما أزلك عن الحق وعاد وباله عليهم
وما يضرونك من شيء فإن الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا
منك على ظاهر الأمر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر
أي شيئا من الضرر وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الأمور أو من أمور الدين والأحكام وكان فضل الله
عليك عظيما إذ لا فضل أعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم
من متناجيهم لقوله وإذ هم نجوى أو من تناجيهم فقوله إلا من أمر بصدقة
أو معروف على حذف مضاف أي إلا نجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى
ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع
ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع
وسائر ما فسر به أو إصلاح بين الناس أو إصلاح ذات البين ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما بنى الكلام على الأمر
ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان
الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث
إنه وصلة إليه وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضاة الله لأن الأعمال
بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا
ووصف الأجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من أغراض الدنيا
وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق

الملهوف المظلوم

فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق
بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل نوله
ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله
جهنم وندخله فيها وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية
تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع
غير سبيل المؤمنين وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني
باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لأن المشاقة
محرم ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه في مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك
بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي
جرأة وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب فما ترى حالي
عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق
فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وإنما ذكر
في الآية الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم
كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى إن يدعون من دونه إلا إناثا
يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فإن لكل حي صنما يعبدونه ويسمونه
أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال وما ذكر فإن يسمن فأنثى
شديد الأزم ليس له ضروس فإنه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فإذا كبر
يسمى حلمة أو لأنها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت
الإناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون ما يسمونه
إناثا لأنه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا
على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
وهو جمع أنثى كرباب وربى وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث
كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد
وأسد وأثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وإن يدعون وإن يعبدون
بعبادتها إلا شيطانا مريدا لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها
وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير وأصل
التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها

لعنه

لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف عليه أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط
عداوته للناس وقد برهن سبحانه أولا على أن الشرك ضلال في الغاية
على سبيل التعليل بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك
ينافي الألوهية غاية المنافاة فإن الإله سبحانه ينبغي أن يكون فاعلا غير منفعل
ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهو أفظع الضلال لثلاثة أوجه
الأول أنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة
من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيبا
قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم
الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن
آذان الأنعام يشقونها لتحريم ما أحله الله تعالى وهي عبارة عما كانت العرب
تفعل بالبحائر والسوائب وإشارة إلى تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق
كاملا بالفعل أو بالقوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة أو صفة
ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط
والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام واستعمال
الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى
وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم
للحاجة والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله بإيثار ما يدعوه إليه على ما أمره الله به ومجاوزته
عن مواهبه فقد خسر خسرانا مبينا إذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه
من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم
الشيطان إلا غرورا وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
إما بالخواطر الفاسدة وإما بلسان أوليائه أولئك مأواهم جهنم
ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص إذا عدل وعنها
حال منه وليس صلة له لأنه اسم مكان وإن جعل مصدرا فلا يعمل فيما
قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا أي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره
ويجوز أن ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لأنه بمعنى نعد

وعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من ثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم اذا كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انها لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين

حسن

يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشر روي ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون

مالهن

وكانوا يعضلونهن طمعاً في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضاً عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلاً فالوجه نصبهما عطفاً على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليماً وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخائل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزاً تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها او اعراضاً بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحاً اي يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئاً تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحاً على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيراً عليماً به وبالغرض فيجازيكم عليه اقام كونه عالماً باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام من كان له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا

ما كنتم

ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفوراً رحيماً يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلاً منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعاً حكيماً مقتدراً متقناً في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنياً عن الخلق وعبادتهم حميداً في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثاً للدلالة على كونه غنياً حميداً فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميداً وكفى بالله وكيلاً راجع الى قوله يغن الله كلاً من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت باخرين ويوجد قوماً آخرين مكانكم او خلقاً آخر مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديراً بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضاً تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله عليه السلام يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصاً لله لم تخطه الغنيمة وله في الآخرة ما هو في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعاً بصيراً عارفاً بالاغراض فيجازي كلاً بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم

ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سوآء
كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا
فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله
اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما
صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع
الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه
انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق
من العدول او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي وان تلووا
باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرا حمزة
وابن عامر وان تلوا بمعنى وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها
الذين امنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي
ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي
نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه
وامنوا به بقلوبكم كما امنتم بالسنتكم او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب
والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني
الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر
بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود
الى طريقه ان الذين امنوا يعني اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا
العجل ثم امنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على
الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام
مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر
مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين

وضع

---

ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين في محل الرفع او النصب على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون
عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه
وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه
بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ
نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة والمعنى انه انكم
اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة
في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار
ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير
في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم
لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك
او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين
ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني
القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره فان
كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم
وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم
اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ فجاءت على الاصل للدلالة
على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم
وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا
وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال
فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو
ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيها في اول سورة البقرة واذا قاموا

[illegible]

[illegible]

الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بالفتح
وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل
كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه
ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو
اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل
المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم
مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم
غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد
وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل
بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة
وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين
او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الحق والصواب ونظيره قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع
المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا
يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة
التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر
استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها
فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر وهو
اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق
واعتصموا بالله وثقوا به او تمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي
عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي

الى مرضه

الى المرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم
الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف
المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما
بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر
من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه
فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا
لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه اي تفعلوه
سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو
عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم
على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله
ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء
ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا
بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما
يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق
الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا
حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين
على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك
سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة
على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء
على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت
في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة
كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما كانت التوراة
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه

فقد سألوا موسى أكبر منه وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم
لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم في التعنت والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك
وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا أرنا الله
جهرة عيانا أي أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة
نار من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل
في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفوها
أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم
بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين
أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى
والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل
أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن
كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على
أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا
على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا فبما نقضهم ميثاقهم أي فخالفوا ونقضوا
ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل
المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض
وما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون
لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل
في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن أو بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف أوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا إليه بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إيمانا قليلا لا عبرة
لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على قوله
فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون
تكرير ذكر الكفر إيذانا بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها إلى الزنا وقولهم إنا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم رسول الله أي بزعمه ويحتمل أنهم قالوه استهزاء ونظيره
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وأن يكون استئنافا من الله بمدحه
أو وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
روي أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم قردة وخنازير فاجتمعت

[illegible]

[illegible]

[illegible] ومنبها للتوفيق للتوبة [illegible] ويتذكر بالمواعظ ح

٤

على قتله فأخبره الله بأن يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب
وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج
ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة
وإنما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات
القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند إلى الجار والمجرور
كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول أو في الأمر على قول من قال
لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو إلى ضمير المقتول لدلالة
إنا قتلنا على أن ثم مقتولا وإن الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى عليه السلام فإنه
لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذبا فقتلناه
حقا وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه إن الله يرفعني إلى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك
كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك أكده بقوله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن استثناء منقطع أي
لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه
النفس جزما كان أو غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه
بقولهم إنا قتلنا المسيح أو متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك
تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته
علما إذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله إليه رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه وكان الله
عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى عليه السلام وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن
به قبل موته أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت
صفة لأحد ويعود إليه الضمير الثاني والأول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى
أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين تزهق روحه
ولا ينفعه إيمانه ويؤيد ذلك أن قرئ إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لأن أحدا
في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطر
إليه ولم ينفعهم إيمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى إذا نزل من السماء آمن به
أهل الملل جميعا روي أنه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد
من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام وتقع
الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مر

بالخيرات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى
بأنهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا أي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه
كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم
وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة وأعتدنا للكافرين
منهم عذابا أليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام
وأصحابه والمؤمنون أي منهم أو من المهاجرين والأنصار يؤمنون بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على المدح إن جعل يؤمنون
الخبر لأولئك أو عطف على ما أنزل إليك والمراد بهم الأنبياء أي يؤمنون بالكتب
والأنبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون أو الضمير في يؤمنون أو على أنه مبتدأ
والخبر أولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفع لأحد الوجوه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع
الشرائع لأنه المقصود بالآية أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما على جمعهم بين
الإيمان الصحيح والعمل الصالح إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء وأوحينا إلى إبرهيم وإسمعيل
وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان خصهم
بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فإن إبرهيم أول أولي العزم منهم وعيسى
آخرهم والباقون أشرف الأنبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ
حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه أوحينا
إليك كأرسلنا أو فسره قد قصصناهم عليك من قبل أي من قبل هذه السورة
أو اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي
خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل
ما أعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا
أو على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا
فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس
ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها
واللام متعلقة بأرسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس

أو على

ظفر

ثعلبة بن سعية

---

أو على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة
وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي
بنوع من الوحي والإعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكأنه
لما تعنتوا عليه بسؤال الكتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا
إليك قال إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته
ويقرره بما أنزل إليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي أنه لما نزل
إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك فنزلت أنزله بعلمه أنزله ملتبسا بعلمه
الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد
للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس
في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الأولين حال عن الفاعل وعلى الثالث
حال عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون أيضا بنبوتك
وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني
عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان
إلى العلم بأمثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح
لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا
أي وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره إن الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا
بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه
إن الذين كفروا وظلموا محمدا عليه السلام بإنكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه
صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك والآية تدل على أن الكفار مخاطبون
بالفروع إذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا لجري حكمه السابق
ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال
مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا أيها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل
إلى العلم بها ووعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة
والوعد بالإجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم أي إيمانا خيرا لكم أو ائتوا
أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الإيمان خيرا لكم ومنعه البصريون
لأن كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط
وجوابه وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض يعني وإن تكفروا
فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم ونبه على غناه بقوله

لله ما في السموات والأرض وهو يعلم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله
عليماً بأحوالهم حكيماً فيما دبر لهم يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بأنه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه
حتى اتخذوه إلهاً وقيل للنصارى خاصة فإنه أوفق لقوله ولا تقولوا على الله إلا
الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه
لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل سمي روحاً لأنه كان يحيي الموتى
أو القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله أو الله
ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس ويريدون
بالأب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيراً لكم نصبه
كما سبق إنما الله إله واحد أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه أن يكون له
ولد أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يماثله ويتطرق إليه
الفناء له ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء من ذلك
فيتخذه ولداً وكفى بالله وكيلاً تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون
وكيلاً لأبيه والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن
يخلفه ويعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع إذا نحيته
بأصبعك كيلا يرى أثره عليك أن يكون عبداً لله من أن يكون عبداً له فإن
عبوديته شرف يتباهى به فإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي
أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا فقال
ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال
إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف
على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله واحتج به
من زعم فضل الملائكة على الأنبياء وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع
المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة
من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم
اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون
التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد التكبير
فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش
أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم

فضل

فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف
وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم إليه جميعاً فيجازيهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً تفصيل للمجازاة العامة
المدلول عليها من فحوى الكلام فكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعاً يوم يحشر العباد
للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم
والحسرة يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً
عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد
النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله أو القرآن
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره
بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل إحسان زائد عليه
ويهديهم إليه إلى الله وقيل إلى الموعود صراطاً مستقيماً هو الإسلام والطاعة
في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك أي في الكلالة حذف لدلالة
الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إني كلالة فكيف أصنع بمالي فنزلت وهي آخر ما نزلت في الأحكام
قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في أول السورة إن امرؤ هلك
ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره
الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله
يحتمل الحال والعطف والمراد من الأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه
جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره فإن الأخت
وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف
وهو يرثها أي المرء يرث أختاً إن كان الأمر بالعكس إن لم يكن لها ولد ذكراً
كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت
لا تحجب الأخ والآية كما لا تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لا تدل على عدم سقوطهم به
فقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم
في الكلالة إن فسرت بالميت فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الإخبار عنها باثنتين
التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا
إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين أصله وإن كانوا إخوة

والاخوات تغليبا للمذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي
من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق
والصواب كراهة ان تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي عليه السلام من قرا سورة
النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر
كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

كما فضل نبيه

## سورة المائدة مدنية مائة وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق
قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه
الكرب واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال والمراد
بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على العباد والزمها اياهم من التكاليف
وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب
الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات
اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة
من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هي المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب
واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم
كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال
من الضمير في لكم وقيل من فاعل اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد
يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي وحرم
جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم
ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه
التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي
ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف
الهدي او القلائد نفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي
ونظيره ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي

من لحى

من نعل او لحاء شجر او غيرها ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت
الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى
عنهم والجملة حال من المستكن في امين وليست صفة لانه عامل والمختار ان
اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه
على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم
اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا
لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة
وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة
هاهنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء
على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم
واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنان قوم شدة بغضهم
وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل
عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت
بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم
عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى
عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى
الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا
المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي
والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم
الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي
الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء
ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به
كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق
والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته
والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى
فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم
الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص
بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على

النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها
بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا
بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا
فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي
والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج
الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد
الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا
لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء
على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر او الى
تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به
من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا
عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر
والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية
والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت
لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله
لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب
عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول
اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية
لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في امثاله والمسؤول
ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم
قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه
حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح

عطف

عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية
ان جعلت شرطا وجوابه فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع
يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية
او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها
الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم
ان تطلبوه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه
ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه
لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه
واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير
لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا
اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن
والمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم
في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير
ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر او
العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن
اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين
مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة
من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل المسبب عنها للايجاز

عند

والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل
عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له
وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثاً والاجماع
على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال
عمر رضي الله عنه صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عمداً فعلته فقيل مطلق
اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب
وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة
من آخر القرآن نزولاً فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
امروا الماء عليه ولا حاجة الى الدلك خلافاً لمالك وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم
قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق
ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد
يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقاً واما دخولها في الحكم او خروجها
فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي
متناولة لها فحكم بدخولها احتياطاً وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية
تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام
الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطاً
وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل
وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب
فاوجب الشافعي رحمه الله اقل ما يقع عليه الاسم اخذاً باليقين وابو حنيفة رحمه الله
مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك
مسح الكل اخذاً بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص
ويعقوب عطفاً على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول
اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير
في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة
والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه
ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلاً يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة
وان كنتم جنباً فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم

من الغائط

من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام
في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد
الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقاً عليكم ولكن يريد ليطهركم
لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف
واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى
لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد
المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم
نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون
نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل
اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح
وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما
حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود
عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم
المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا
يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة
العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه
ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات
اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على الا تعدلوا [illegible] حتى [illegible] والمعنى لا يحملنكم
شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل
كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم اعدلوا
هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين
انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان
هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المسلمين واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل
ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل
والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم

فانه استئناف تبيينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب
من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال
الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معاً فلما صلوا ندموا
ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم
بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي
انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربع يستقرضهم لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج
وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه
فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه
الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله
فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده
اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منع ايديها ان تمد اليكم
ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال
الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيباً شاهداً من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلاً يكفل عليهم
بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا
بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال لهم اني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم
الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث
النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراماً عظيمة
وبأساً شديداً فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط
يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم
بالنصر لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم
اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضاً حسناً
بالانفاق في سبيل الخير وقرضاً يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم

جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به
الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالاً لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم
قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي
اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشاً
وهو ايضاً من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف
للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة
اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالاً من مفعول
لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظاً وتركوا نصيباً وافياً
مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التوراة
وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه
اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة
خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة
اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلاً منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل
الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا
او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلاً عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي
واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين
قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم
سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا
فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى
يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية
او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء
والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب
لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب
كنعت محمد وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى باحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم

فلا يؤاخذون بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن
لانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز
وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله ووحد الضمير
لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع
رضاه بالايمان منه سبل السلام طرق السلامة من العذاب
او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق
هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا الله واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله
شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح
مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل
عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله
على كل شيء قدير ازاح ما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر
على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما
فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل
لاشياع ابن الزبير الخبيبون ومقربون عنده قرب الاولاد من والديهم وقد
سبق تجويز لفظ الابن في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح
ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق الله يغفر لمن يشاء وهم
من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر به والمعنى انه يعاملكم معاملة
سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما
كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه
والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين
وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم

على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع
من الوحي او يبين حال من الضمير في يبين ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
اي لا تعتذروا ما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على ارسال
نبي كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام
كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء
ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية
امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا احوج
ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل
من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل كانوا
مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
سماهم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ونحوها مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت
دار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها
تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا
ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله
فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب
على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تاتي مقاومتهم
والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون لا طاقة لنا بهم
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل
كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل
والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له قراءة
يخافون بضم الياء اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين

يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم العدو انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت
وصفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب اي باب قريتهم اي باغتوهم
وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها
ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما
من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به مصدقين لوعده
قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا
فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله
شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق
يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق
عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين
فيدخل فيه الرجلان ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير
في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم
عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم
قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها
بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما
محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله
لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح
اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر
اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع
وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون
فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة
اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح
الى الرواح فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور
يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي
يحملونه والاكثر على ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما

وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسى
بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة
غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم
على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم
قابيل وهابيل بان اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توامة الاخر
فسخط منه قابيل لان توامته كانت اجمل فقال لهما ادم قربا
قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار
فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير
في اتل او من نبا اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين
اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف مضاف اي
اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله
من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل
مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا
وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح عنده وهابيل صاحب
ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه
سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده
قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك
قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اوتيت من قبل نفسك
بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي
ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود
محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل
اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله لان الدفع لم يبح
بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري
عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى

انما استسلم له ارادة ان يحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك
ببسطه يده اليه ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معناه باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما
في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد
معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان
لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون
له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب
العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته
من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل
او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام فطاوعته وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين
دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة
اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع اذ كان
اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه
لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي
يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم
والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى
اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس
المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين
المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير
في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذ الغراب
واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود
جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال
بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك
مائة سنة لا يضحك وعدم ظفره بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا

اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من
ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا
بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها
كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة
الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء
في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا
الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل
او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا
والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض
لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم
ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعدما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل
بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير
منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة
بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم
محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هاهنا قطع الطريق وقيل
المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا
اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا
فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي من غير صلب
قصاصا ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا
المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن
حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد
بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي
بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير
بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة
ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله
غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه

اى الاخافة

وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد
وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه
العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول
الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف
الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب
يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه اذ التقدير لو ثبت ان لهم
ما في الارض جميعا وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه
مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله
بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم
العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود
وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم
عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين منها
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي
حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط
اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت اخذ مال الغير خفية وانما توجب
القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام
القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه
وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان
ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى
كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام
العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ
لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله
منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم
فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتقصي عن التبعات
والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته
فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثر لان فيه حق المسروق
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد

يعذب

---

يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة
اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به
القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء
متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على
من الذين قالوا سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون
واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما
يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك
فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا المجلس
وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز
ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي سماعون
ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير
المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبرا لمحذوف
اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا
المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا
محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم
وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته
ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين
فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له
من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم
في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الاخرة عذاب عظيم

وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله ومن الذين وإلا
فللفريقين سماعون للكذب كرره للتأكيد أكالون للسحت أي الحرام كالرشى
من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على المصدر
وإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضي
لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي رحمه الله والأصح وجوبه إذا كان المترافعان
أو أحدهما ذميا لأنا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست
في أهل الذمة وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب مطلقا وإن تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك من الناس وإن حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي أمر الله به إن الله يحب المقسطين فيحفظهم
ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
من لا يؤمنون به والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم
وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به
ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية
إن رفعتها بالظرف وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها
لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد
ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على
يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم لإعراضهم
عنه أولا وعما يوافقه ثانيا أو بك وبه إنا أنزلنا التورية فيها هدى
يهدي إلى الحق ونور يكشف ما استبهم من الأحكام يحكم بها النبيون
يعني أنبياء بني إسرائيل أو موسى ومن بعده إذ قلنا شرع من قبلنا شرع لنا
ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين أسلموا صفة أجريت
على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وأنهم
بمعزل عن دين الأنبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بأنزل أو بيحكم
أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على أن النبيين أنبياؤهم والربانيون
والأحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون
بما استحفظوا من كتاب الله بسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع إلى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء
لا يتركون أن يغيروا أو شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا
الناس واخشون نهي للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها

خشية

خشية ظالم أو مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا بأحكامي
التي أنزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به
منكرا له فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره
ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لإنكاره
وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة
من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت إلى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها
أو لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود
والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية
أن النفس بالنفس أي تقتل بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن
بالأذن والسن بالسن رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن
وما في خبرها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين
بالعين فإن الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول أو مستأنفة ومعناها
وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوعة بالأنف والأذن مصلومة
بالأذن والسن مقلوعة بالسن أو على أن المرفوع منها معطوف على المستكن
في قوله بالنفس وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالظرف والجار
والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص أي ذات قصاص وقرأه
الكسائي أيضا بالرفع ووافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه
إجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص
أي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به من ذنوبه وقيل
للجاني فيسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته
التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله
من القصاص وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم أي
وأتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير
للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي إليه الفعل بالباء مصدقا
لما بين يديه من التورية وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى
ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه
وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا
على محذوف أو تعليقا به وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه عليه
في قراءة حمزة وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم
وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرتك بأن قم أي وأمرنا
بأن ليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون عن حكمه أو عن الإيمان

ان كان مستنبطا منه ولا يدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان
اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا
بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام
التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا
لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد
والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والبيان والثبات وقرئ على بنية المفعول
اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله او الحفاظ في كل عصر
فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
من الحق بانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف
او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق
الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا
في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار
من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله
اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع
المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل
فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق
والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم
بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق
اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك اي يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل منهم بدل الاشتمال
اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك
وروي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود
كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم

ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم
المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب
التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير
ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس
لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون
الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية
التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله
ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ
برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة
في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غيره
وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب
شهيهم وقرا ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان
كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم
هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم
اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي
بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم
منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد
في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تراءى ناراهما او لان الموالين لهم
كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم
بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة ويعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة
من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة
بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا
واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني
رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان ياتي بالفتح
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل

والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون
على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم
وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر
مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب
قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى
ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم
عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح
تقول المؤمنون فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين
وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا
لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان
اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله
يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ
كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأ بالفك على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك
في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل
وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن
واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله من غدها
واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول
وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى الرسول من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال
الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن
وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة
مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم

ابن زيد وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وصار
الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام
اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم
فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية
الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس والراجع
الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى
والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته
والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل
لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو
او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم
او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه
وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال
من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم
الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم
يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين
خائفين ملامة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له
والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال
وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ثم للرسول
والمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة الذين
آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم
راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوص بيؤتون
اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة
اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته
فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي
المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع
على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ
الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا
على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله

هم الغالبون اى فانهم الغالبون ولكن وضع المظهر موضع المضمر تنبيهاً
على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هولاء فهم حزب الله وحزب الله هم
الغالبون وتنويهاً بذكرهم وتعظيماً لشانهم وتشريفاً لهم بهذا الاسم وتعريضاً
لمن يوالى غير هولاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر
حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت فى رفاعة بن زيد
وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزواً ولعباً
ايماء على العلة وتنبيهاً على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير
بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جر
وهم ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق
على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصب عطفه على الذين اتخذوا
على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق راساً سواء من كان ذا دين تبع فيه
الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا
الله بترك المناهى ان كنتم مومنين لان الايمان حقاً يقتضى ذلك
وقيل ان كنتم مومنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزواً ولعباً اى اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان
مشروع للصلوة روى ان نصرانياً بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمداً رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرارة فى البيت فاحترق هو واهله
ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يودى الى الجهل بالحق والهزء به
والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون
يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بالفتح وهو لغة
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا الايمان بالكتب المنزلة
كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين
وهو المخالفة اى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه
او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اى وما تنقمون
منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون او على علة محذوفة والتقدير
هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل يدل عليه
هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى
وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حبكم الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية

خطاب ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله
وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم
ديناً شراً من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة
عند الله جزاء ثابتاً عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت
ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز
عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر
على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك من لعنه الله
وخبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط
عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل
كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير
وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبوداً فيكون الراجع محذوفاً اى فيهم او بينهم
ومن قرا وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبد
الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت
العجل وقيل الكهنة وكل من اطاع فى معصية الله اولئك اى الملعونون
شر مكاناً جعل مكانهم شراً ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكاناً منصرفاً
واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح
اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقاً لا بالاضافة الى المومنين
فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت فى يهود نافقوا
رسول الله او فى المنافقين عامة وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان
من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت
لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالاً افادت ايضاً لما فيها من التوقع
ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال
والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيراً منهم
اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب
لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل
الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام
خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئاً عملوه لولا ينهاهم الربانيون

والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فإن
لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض
لبئس ما كانوا يصنعون أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث إن الصنع
عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري إجادة ولذلك ذم به خواصهم
ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها
ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم وقالت اليهود يد الله
مغلولة أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ولا قصد فيها إلى إثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك
كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجاز
المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه إنه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين
قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل
والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى في الدنيا
ومسحوبين إلى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الأصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة
في الرد ونفي البخل عنه وإثباتاً لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله
أن يعطيه بيديه وتنبيهاً على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للإكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه
يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق
في ذات يد ولا يجوز جعله حالاً من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولأنها
مضاف إليها ولا من اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية
نزلت في فنحاص بن عازورا فإنه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط
عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمداً صلوات الله عليه وأشرك فيه الآخرون
لأنهم رضوا بقوله وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً
وكفراً أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغياناً وكفراً بما يسمعون من القرآن
كما يزداد المريض مرضاً من تناول الغذاء الصالح للأصحاء وألقينا بينهم
العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم
كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله كلما أرادوا حرب الرسول وإثارة
شر عليه ردهم الله بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا
حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر
ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس
ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أو صفة ناراً ويسعون

في الأرض فساداً أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم إلا شراً ولو أن أهل الكتاب
آمنوا بمحمد وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم
سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم جنات النعيم
ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وأن الإسلام يجب ما قبله وإن جل وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم
ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل بإذاعة ما فيهما والقيام بأحكامهما
وما أنزل إليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث إنهم
مكلفون بالإيمان بها كالمنزل إليهم أو القرآن لأكلوا من فوقهم ومن تحت
أرجلهم لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض
أو يكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار
فيجتنونها من رأس الشجرة ويلتقطون ما تساقط على الأرض بين بذلك
أن ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا
ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم أمة مقتصدة عادلة
غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون أي بئس ما يعملونه وفيه معنى
التعجب أي ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط
في العداوة يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك جميع ما أنزل
إليك غير مراقب أحداً ولا خائف مكروهاً وإن لم تفعل وإن لم تبلغ
جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فما أديت شيئاً منها لأن كتمان بعضها
يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلوة فإن غرض الدعوة ينتقض به
أو فكأنك ما بلغت شيئاً منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعاً من حيث إن كتمان
البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الأعداء وإزاحة
لمعاذيره إن الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فأوحى
الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن أنس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة
أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب
تبليغ كل ما أنزل الله ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد
وقصد بإنزاله إطلاعهم عليه فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء أي دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئا لأنه باطل
حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ومن إقامتها الإيمان بمحمد
والإذعان لحكمه فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان بمن صدقته المعجزة
ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها
وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على
القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم
فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم إن الذين
آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في خبر إن
والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون
كذلك كقوله فإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة
ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور
ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان
والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى معطوفا
ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وأنت
بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل إن واسمها فإنه
مشروط بالفراغ من الخبر إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن
معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل
ولأنه يوجب كون الصابئين هودا وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز
بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع
بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر إن أو خبر المبتدأ
كما مر والراجع محذوف أي من آمن منهم أو النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه
وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون
بحذفها من صبا بإبدال الهمزة ألفا أو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الشهوات
ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم
رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم
بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أي رسول منهم وقيل الجواب
محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وإنما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك ديدنهم

ماضيا

ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا ألا تكون فتنة أي وحسب
بنو إسرائيل أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو
وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على أن أن هي المخففة من المثقلة
وأصله أنه لا تكون وإدخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة
العلم لتمكنه في قلوبهم وأن أو أن بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا
عن الدين أو الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا
العجل ثم تاب الله عليهم أي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة أخرى
وقرئ بالضم فيهما على أن الله عماهم وصمهم أي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل
واللغة الفاشية أعمي وأصم كثير منهم بدل من الضمير أو فاعل والواو علامة
الجمع كقولهم أكلوني البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أي العمي والصم كثير منهم
وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لأن تقديم الخبر في مثله
ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق أعمالهم لقد كفر الذين قالوا
إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم أي إني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم إنه من يشرك
بالله في عبادته أو فيما يختص به من الصفات والأفعال فقد حرم الله عليه
الجنة يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها دار الموحدين
ومأواه النار فإنها المعدة للمشركين وما للظالمين من أنصار أي وما لهم
أحد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلموا
بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى وأن يكون
من كلام الله نبه به على أنهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا إليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون
بالأقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من إله
إلا إله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ
جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وإن لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب أليم أي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر أو ليمسن الذين
كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه
بقوله أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه أي ألا يتوبون بالانتهاء عن تلك
العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول

بعد هذا التقريع والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا
وفي هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها
فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى
وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء
كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولاً
اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الربوبية لان كثيراً من الناس
يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا
من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال
هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون
كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا
للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضراً ولا نفعاً يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه
من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به
من الصحة والسعة وانما قال ما نظراً الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي
القدرة عنه رأساً وتنبيهاً على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل
المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز
اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها
ان خيراً فخير وان شراً فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق
اي غلواً باطلاً فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا
انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم
قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام
في شريعتهم واضلوا كثيراً ممن شايعهم على بدعتهم وضلالهم وضلوا
عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه
لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله
في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
لعنهم داود فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم

واعتدائهم

واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لا ينهى بعضهم
بعضاً عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا
فعله وتهيئوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى
كثيراً منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضاً
لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئاً قدموه
ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة
الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئاً ذلك لانه كسبهم السخط
والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين
فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك
ولكن كثيراً منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة
شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد
وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار
بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل
على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة
وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط
البكاء كأنها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء
والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك
او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين

والدخول فيه مع اخلافهم جوابا لمن قال لهم لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل
ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته
فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي
ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا
اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين
اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي
واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب فقراه ثم دعا جعفر
ابن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر
ان يقرا عليهم القرآن فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقرآن وقيل نزلت
في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرا عليهم سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد
الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب
والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب
ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء
عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم
فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد
بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما
وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم
والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم
وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي وكلوا ما حل لكم
وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه

لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا
وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى
الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء
بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله
وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله
وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية
والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف
للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر
عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي
تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث
وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين فراى
غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما
من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف
وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة
او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي
العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو
لغة كقدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون
بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره
او طعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله
الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث
مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد واحدا منها فصيام ثلاثة ايام
فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام
متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترد سنة
ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم
بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت

خير

أو بأن تكفروها إذا حنثتم كذلك أي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم أو نعمته الواجب شكرها فإن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب أي الأصنام التي نصبت للعبادة والأزلام سبق تفسيرها في أول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وأفرده لأنه خبر للخمر وخبر المعطوف محذوف أو لمضاف محذوف كأنه قال إنما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لأنه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه اعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدر الجملة بإنما وقرنهما بالأصنام والأزلام وسماهما رجساً وجعلهما من عمل الشيطان تنبيهاً على أن الاشتغال بهما شر بحت أو غالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سبباً يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وإنما خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهاً على أنهما المقصودان بالبيان وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالإفراد للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان من حيث إنها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف فقال فهل أنتم منتهون إيذاناً بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيما أمرا به واحذروا ما نهيا عنه أو مخالفتهما فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين أي فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول بتوليكم فإنما عليه البلاغ وقد أدى وإنما ضررتم به أنفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات أي اتقوا المحرم وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها وروي أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل

أن يكون هذا التكرار باعتبار الأوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى والإيمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة إشارة إلى ما قاله في تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب والشبهات تحرزاً عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه أن من فعل ذلك صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم وطعناً برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب أليم فالوعيد لاحق به فإن من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل إليه وأحرص عليه يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم أي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه لأنه الغالب فيه عرفاً ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في أن هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني أو لا فيكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمداً ذاكراً لإحرامه عالماً بأنه حرام عليه قتل ما يقتله والأكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فإن إتلاف العامد والمخطئ واحد في إيجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب

بمعنى فعليه أو فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء
للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم
وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام
مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ
فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على معنى فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء
يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل والمماثل باعتبار الخلقة والهيئة
عند مالك والشافعي وبالقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث
صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان
يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام
والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل
ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته بغيره
غير مقيد له وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على
ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون
لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه
بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة
ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف
طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ
نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة
والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي
من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او
ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل
مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار
كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق
متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق وبال امره
ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة
امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف
من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد

كما

كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه
احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله
في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك
وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه
وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض
وللسيارة ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر
اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام
لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما
اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه
تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت
الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس
انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخا
ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما
يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل
كالشبع اعل عينه لما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام
والهدي سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو والقلائد
الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما
ذكر من حفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها
دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص
ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن
انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي
الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص
والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال
ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة
والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر
ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر

وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي
انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنهم
وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها
صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم
وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع
السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع
كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه
جمع لشيء على ان اصله شيّء كهيّن او شيء كصديق فخفف وقيل
افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله
عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه
لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله
عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم
لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه
مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال
في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها
قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء
بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان
لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها
حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة
خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر
واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى
وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل الله ما شرع ووضع ولذلك تعدى
الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله

الكذب

الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون ان الحلال من الحرام
والمبيح من المحرم ولعله اشارة الى ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم
حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به او الآمر ولكنهم يقلدون كبارهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه
اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت
عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم
ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد
وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك
نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم
الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما
قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون
يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له
سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده
ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه
على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم
اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم
اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين
الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون
فيها او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف
المضاف ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنين
او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا
فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم
فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة للآخرين والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم

اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر
كما في السفر فمن غيركم أو استيناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لأنه وقت اجتماع الناس
وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلوة كانت فيقسمان
بالله إن ارتبتم إن ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وإن ارتبتم
اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم
أو بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشتري ولا نكتم
شهادة الله أي الشهادة التي أمرنا الله بإقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة
ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه
وروي عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن إنا إذا لمن الآثمين أي إن كتمنا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها
فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف
فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين
جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الأوليان
الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي هما الأوليان
أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان
وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الأولين على التثنية وانتصابه على
المدح والأولان وإعرابه إعراب الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
أحق من شهادتهما أصدق منها وأولى بأن تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق إنا إذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين
أنفسهم إن اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي
أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما
احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع
نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فإن اطلع
على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم
منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما
لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوى
إذ روي أن تميم الداري وعدي بن بدي خرجا إلى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما

فلما

فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه
ولم يخبرهما به وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه
وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب
أهله الصحيفة وطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلى رسول الله فنزلت
يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله بعد صلوة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فأتاهم بنو سهم في ذلك فقالا
قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما
إلى رسول الله فنزلت فإن عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك
أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد أدنى أن يأتوا بالشهادة على
وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها أو يخافوا أن ترد
أيمان بعد أيمانهم أن ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور
الخيانة واليمين الكاذبة وإنما جمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود واتقوا الله
واسمعوا ما توصون به سمع إجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين أي فإن لم تتقوا
ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يهديهم
إلى حجة أو إلى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل
بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف
المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب بإضمار اذكر فيقول
أي للرسل ماذا أجبتم أي إجابة أجبتم على أن ماذا في موضع المصدر
أو بأي شيء أجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن
سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا أي لا علم لنا
بما كنت تعلمه إنك أنت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا
لنا وما لا نعلمه مما أضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الأمر
إلى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا إلى جنب علمك أو لا علم
لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وقرئ علام نصب على الاختصاص
أو النداء إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه تعالى
يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما أظهر عليهم
من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم
آلهة أو نصب بإضمار اذكر إذ أيدتك ظرف لنعمتي أو حال منه
وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام أو بالكلام الذي يحيي

الذي أو النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس
في المهد وكهلا أي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة
على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم
وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل أن اكتهل وإذ علمتك الكتاب والحكمة
والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها
فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني
سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل
الإفراد والجمع كالباقر وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين
هموا بقتله إذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا
منهم إن هذا إلا سحر مبين ما هذا الذي جئت به إلا سحر وقرأ حمزة
والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه السلام وإذ أوحيت
إلى الحواريين أمرتهم على ألسنة رسلي أن آمنوا بي وبرسولي يجوز
أن يكون أن مصدرية وأن يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون
مخلصون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر أو ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم هل يستطيع
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام
معرفة وقيل المعنى هل يطيع ربك أي هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع
كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك أي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام
من ماد الماء يميد إذا تحرك أو من ماده إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم
إليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من أمثال هذا السؤال
إن كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادعاء الإيمان
قالوا نريد أن نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال وهو
أن يتمتعوا بالأكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة إلى علم
الاستدلال بكمال قدرته ونعلم أن قد صدقتنا في ادعاء النبوة أو أن الله
يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين إذا استشهدتنا أو من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى أن لهم غرضا
صحيحا في ذلك وأنهم لا ينفكون عنه أراد أن يلزمهم الحجة بكمالها اللهم
ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا
نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ
تكن على جواب الأمر لأولنا وآخرنا بدل من لنا بإعادة العامل أي عيدا

دقر

أو فيأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة
أو الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفتها أي آية كائنة منك
على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة أو الشكر عليها وأنت
خير الرازقين خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض
قال الله إني منزلها عليكم إجابة إلى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه
عذابا أي تعذيبا ويجوز أن يجعل مفعولا به على السعة لا أعذبه الضمير
للمصدر أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر أحدا من العالمين
من عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فإنهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين
وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال
اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير
الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند
رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما خلا الكراث
وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه
بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا
يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي
بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية
ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين
يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون
حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير
إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله إلى عيسى
أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب
الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلثون رجلا وقيل لما وعد نزولها بهذه
الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد هذا مثل
ضربه الله [illegible] الحواريين وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق
المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل
الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى
إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا

عن السؤال والجواب فيسأل لا لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى بأنه الأسهل
ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإن السائل إذا انكشف له ما هو أعلى مرتبة
لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً وإذ قال الله يا عيسى
ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد به
توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني
ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة
غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو
القصور فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما
زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله فكأنه قيل اتخذوني وأمي
إلهين متوصلين بنا إلى الله قال سبحانك أي أنزهك تنزيهاً من أن يكون
لك شريك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي أن أقول
قولاً لا يحق لي أن أقوله إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم
ما في نفسك تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم
ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد
بالنفس الذات إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه
ومفهومه ما قلت لهم إلا ما أمرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه أن اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به أو بدل منه
وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقاً ليلزم منه بقاء
الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني ولا يجوز
إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون أن
مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم
والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكأنه قيل
ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله وكنت عليهم شهيداً
ما دمت فيهم أي رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهداً
لأحوالهم من كفر وإيمان فلما توفيتني بالرفع إلى السماء لقوله إني متوفيك
ورافعك والتوفي أخذ الشيء وافياً والموت نوع قال الله الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت أنت الرقيب عليهم
المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالإرشاد إلى الأدلة
والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وأنت على كل شيء شهيد
مطلع عليه مراقب له إن تعذبهم فإنهم عبادك أي إن تعذبهم فإنك
تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه

على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك وإن تغفر لهم
فإنك أنت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي
على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن
المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل
وعدم الغفران للشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
وموضع
ليمنع الترديد والتعليق بإن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقرأ نافع بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر
وقع خبراً والمعنى هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى عليه السلام واقع
يوم ينفع وقيل إنه خبر ولكن بني على الفتح لإضافته إلى الفعل وليس بصحيح
لأن المضاف إليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فإن النافع
ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع
لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب
النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأمه وإنما لم يقل ومن فيهن تغليباً
للعقلاء وقال وما فيهن إتباعاً لهم غير أولي العقل في غاية القصور عن معنى
الربوبية والنزول عن رتبة العبودية وإهانة بهم وتنبيهاً على المجانسة
المنافية للألوهية ولأن ما يطلق متناولاً للأجناس كلها فهو أولى بإرادة
العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع عشر درجات بعدد كل يهودي يتنفس في الدنيا

## سورة الأنعام مكية خمس وستون ومائة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض أخبر
بأنه حقيق بالحمد ونبه على أنه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد
ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الأرض
وهي مثلهن لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها
لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور أنشأهما
والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد أن الخلق فيه معنى التقدير
والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيهاً
على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية وأفرد النور للقصد إلى الجنس
وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها أو لأن المراد بالظلمة
الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها
لتقدم الإعدام على الملكات ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج

بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
ويكفرون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم ونعمتهم
لهم حصا ثم هم يجحدونها ولا يشكرونها او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه
احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم
بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة
اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون
والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم
من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل
البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل
مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت
والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم
والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة
خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه
ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه
بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم
تمترون استبعاد لامترائهم بعدما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم
الى آجالهم فان من قدر على المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء
كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصل المري وهو استخراج اللبن
من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره وفي السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى
هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي
لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه
والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه
فيهما يعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته
لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله
اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح
وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للتبعيض اي ما يظهر لهم قط دليل من الادلة او معجزة من المعجزات او آية القرآن

الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم
لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه
على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات
فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم
انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون
عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام
وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان
والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون
وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت
واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها
من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول
المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب
او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم
قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك
بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم
فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا
انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده
بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل
عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان
لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث
عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم
ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول

فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون
لو شاء ربك لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول
ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية
لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبياء
بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا
اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم
وقرئ لبسنا بلام ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به
حين اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير
ثمة لاجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه اباحة السير
للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض
خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين
للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة
التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك
الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال
على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم
واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم
على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض
فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم
وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء
والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله
ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه
شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ

قل

انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة
والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وجره على الصفة لله فانه
بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو
يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف
كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية
وبناؤهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم
تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول
من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي
ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه
الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره
والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه
وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية
كمرض وفقر فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك
بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته
فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير
بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزل حين قالت قريش
يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل
موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة
ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به بر
اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين
او لانذركم ايها الموجود ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن

تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم يبلغه ائنكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد
بما تشهدون قل انما هو اله واحد واننى برى
مما تشركون يعنى الاصنام الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعنى رسول الله
بحليته المذكورة فى التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة
بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القران
والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا
منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه الضمير للشان
لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب
بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى الهتكم التى
جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم
تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة
التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم
فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته
وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص
وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها
الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم بالتاء والنصب والله ربنا ما كنا
مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة
والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه
ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على
انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل
بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
وقرا حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها
بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم

وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشىء ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول
البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم
حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك
يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه
وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق
الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز
ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك حال وقوله يقول
تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر
واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول
والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه
فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون الا انفسهم
وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جوابه محذوف اى ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون
عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرى
وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا
للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود تركتنى
او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة
ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراءها مجرى الفاء
وقرى ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى
انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك
ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا
من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا
او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس
للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه
حق تعريفه قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم

حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه
من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية
الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء
الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم
لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء
قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحياة
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها
والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم
اصار الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة
الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا
حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص
منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال
المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اي
الامرين خير وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب
المخاطبين به او لتغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال
نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك
في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده
كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين
الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك
عندنا لصادق بل نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل
من قبلك تسلية لرسول الله وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك
ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي على
عن تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء
بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبإ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق

اعراضهم

اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض او سلما في السماء فتاتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية
وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين
بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه
لو قدر ان ياتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان
حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه
لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر
فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين
يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى
الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان
ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما
اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها
عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة
عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض
تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز
السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة
احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية
وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ
فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان
ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا
او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى
بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم
يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ
للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها والذين كذبوا

بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم
قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث
أي خابطون في ظلمات الكفر أو في ظلمات الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
ويجوز أن يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله إضلاله
يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف
خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا
ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل
وللزم في الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم
تنفعكم إذ تدعونها إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم أو أتتكم الساعة وهولها
ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم إن كنتم صادقين أن الأصنام آلهة
وجوابه محذوف أي فادعوه بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع
وتقديم المفعول لإفادة التخصيص فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى
كشفه إن شاء أن يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون
آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف العذاب
دون غيره أو تنسونه من شدة الأمر وهوله ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك
أي قبلك ومن زائدة فأخذناهم أي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم بالبأساء
بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم
يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه
نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع
وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم
فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم أبواب
كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة
والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي أنه عليه السلام قال
مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه
يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا أعجبوا بما أوتوا من النعم
ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة
فإذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم
بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا إذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على إهلاكهم فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم

عقايدهم

---

عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم
أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم
به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات
نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
من جهة التنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة
أو جهرة بعد تقدمها أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أو نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك
ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء
المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين المؤمنين بالجنة
ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن وأصلح
ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول
إليهم واستغنى بتعريفه عن توصيفه بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته أو خزائن رزقه ولا أعلم الغيب
ما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا أقول لكم إني ملك
أي من جنس الملائكة أو أقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى
الألوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال
والمهتدي أو الجاهل والعالم أو مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي
المستقيم كالنبوة أفلا تتفكرون فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل
أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى إلي الذين يخافون
أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا
مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف هو الحشر على هذه الحالة
لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما أمره
بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية
لقريش روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب
وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا
فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت قال نعم وروي عمر رضه
قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا
بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل

صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اي
يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب
النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم
عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي
كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل
الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم
بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي
ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي هؤلاء من انعم الله عليهم
بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين
والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن
معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
ومن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم
او يبلغ سلام الله ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم
ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد
ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما
جاؤوا الى النبي عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا
فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا
بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان
ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده من بعد العمل
او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل

الواضح

الواضح نفصل الايات ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم
والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل فتعامل كلا منهم
بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص
عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل
فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق
وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات
في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله
او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة
الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم
وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء
من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه
على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي
تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها
من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به
حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني
العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقض الحق اي القضاء الحق ويدبره
من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء
الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع
وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي
اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى
الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح
الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفتاح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ
مفاتيح والمعنى ان المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو
فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر
والبحر عطف للاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة
الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب

ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول
بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح
وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي
يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي للنوم لما بينهما من المشاركة في
زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث
ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون الاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم
يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار
ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم في
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم
وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس
الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه
وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون
بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة
ونقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل
الذي لا يحكم الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره
فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب
عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة
للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم
ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى
واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول يقولون لئن انجيتنا
وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم
تشركون تعودون الى الشرك في عبادته فكأنه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال

بينكم

---

بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك بالعذاب او بالقران
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل
الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ
خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القران
واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر
ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم
الظالمين فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين
من قبائح اعمالهم واوزارهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح
ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز
عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد
الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير
للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما
لا يعود عليهم بنفع عاجلا او اجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب
او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذي
جعل ميعادا لعبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم ويحتمل ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا
ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم
وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى ههنا

الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند إلى منها لا إلى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى به أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا أي أسلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم قل أندعوا أنعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على أعقابنا ونرجع إلى الشرك بعد إذ هدانا الله فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن إلى المهامه استفعال من هوى يهوي هويا إذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذي استهوته أو على المصدر أي ردا مثل رد الذي استهوته في الأرض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له أصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه إلى الهدى أي يهدوه الطريق المستقيم أو إلى الصراط المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وحده وما عداه ضلال وأمرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على إن هدى الله واللام لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وأن أقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم أي للإسلام ولإقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا روي أن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت وعلى هذا كان أمر الرسول بهذا القول إجابة عن الصديق رضي الله عنه وتعظيما لشأنه وإظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي إليه تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر أي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى أنه الخالق للسموات والأرضين وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو على الهاء في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على المعنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الأموات وإحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة أي هو عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر هو عطف بيان لأبيه وفي كتب التواريخ أن اسمه تارح فقيل هما علمان له كإسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الأزر أو الوزر والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل

كعابر

كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال أتتخذ أصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه أنه قرئ أأزرا تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على أنه علم إني أراك وقومك في ضلال مبين عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري إبراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والأرض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين أي ليستدل وليكون أو وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال إبراهيم وكذلك نري اعتراض فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد أو على وجه النظر والاستدلال وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه فلما أفل أي غاب قال لا أحب الآفلين فضلا عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشادا لقومه وتنبيها لهم على أن القمر أيضا لتغير حاله لا يصلح للألوهية وأن من اتخذه إلها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث هذا أكبر كبره استدلالا وإظهارا لشبهة الخصم فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها ثم لما تبرأ عنها توجه إلى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولأنه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه خاصموه في التوحيد قال أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به أي لا أخاف معبوداتكم في وقت لأنها لا تضر بنفسها ولا تنفع إلا أن يشاء ربي شيئا أن يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم إياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كأنه

علما أي أحاط به علما فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها
أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم
ولا يتعلق به ضر ولا تخافون أنكم أشركتم بالله وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف
لأنه إشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع
ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل بإشراكه كتابا أو لم ينصب عليه دليلا فأي
الفريقين الموحدون أو المشركون وإنما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه
إن كنتم تعلمون ما أحق أن يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن
وهم مهتدون استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هاهنا
الشرك لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه
فقال عليه السلام ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله
إن الشرك لظلم عظيم وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم
ويخلط بهذا التصديق الإشراك به وقيل المعصية وتلك إشارة إلى ما احتج به
إبرهيم على قومه من قوله أتحاجوني إلى حجتنا آتيناها إبرهيم أرشدناه إليها
أو علمناها إياه على قومه متعلق بحجتنا إن جعلته خبر تلك وبمحذوف إن جعلته بدله
أي آتيناها إبرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ
الكوفيون ويعقوب بالتنوين إن ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا أي كلا منهما ونوحا
هدينا من قبل أي من قبل إبرهيم عد هداه نعمة على إبرهيم من حيث إنه أبوه وشرف
الوالد يتعدى إلى الولد ومن ذريته الضمير لإبرهيم إذ الكلام فيه وقيل لنوح
لأنه أقرب ولأن يونس ولوطا ليسا من ذرية إبرهيم فلو كان لإبرهيم اختص البيان
بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف
على نوحا داود وسليمن وأيوب بن أموص من أسباط عيص بن إسحق ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين أي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا إبرهيم
برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى وهو ابن مريم
وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت وإلياس قيل هو إدريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الأولى وقيل هو من أسباط هرون أخي موسى
كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي
وإسمعيل واليسع هو اليسع بن أخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين
علم أعجمي أدخل عليه اللام كما أدخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا بأحناء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هارن أخي إبرهيم
وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم

لعل كلام من

يلوم
لاحنا ٢٢
السامر الكاهر

واخوانهم

---

واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم
وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا
او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله
اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم ما كانوا
يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب
يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة
فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما
ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب
النبي عليه السلام او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد
الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم
ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى
مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد
بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع
وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا
اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلي
من النبيين ان هو اي التبليغ او القرآن
او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الانبياء وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته
او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون
هم اليهود وقالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم
والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء
ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا الله وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم
للتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء
بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك
بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم
ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه السلام
ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا

[illegible]

اعلم منكم ونظيره إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله أي أنزله الله أو الله أنزله أمره بأن يجيب عنهم
اشعارا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون
على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة
يلعبون حال من هم الأول والظرف صلة ذرهم أو يلعبون حال من المفعول أو فاعل
يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل بالأول وهذا كتاب أنزلناه مبارك كثير
الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة أو الكتب التي قبله ولتنذر أم
القرى عطف على ما دل عليه مباركا أي للبركات ولتنذر أو علة لمحذوف أي ولتنذر أهل
أم القرى أنزلناه وإنما سميت مكة بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم
القرى شأنا وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها مكان أول بيت وضع
للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء لينذر الكتاب ومن حولها أهل الشرق
والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالنبي عليه السلام والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص
الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم
أنه بعثه نبيا كمسيلمة والأسود العنسي أو اختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحي
ومتابعيه أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب
لرسول الله عليه السلام فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله أحسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت
فشك عبد الله فقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان
كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى إذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة
الظرف أي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء إذا غشيه
والملائكة باسطوا أيديهم بقبض أرواحهم كالمتقاضي المتسلط أو بالعذاب
أخرجوا أنفسكم أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا
عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا اليوم يريدون به وقت الإماتة
أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون أي الهوان المتضمن
لشدة وإهانة فإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق
كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون
فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا فرادى للحساب والجزاء منفردين عن الأموال

والأولاد

---

والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا وعن الأعوان والأوثان التي زعمتم أنها شفعاء لكم
وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث
وفردى كسكرى كما خلقناكم أول مرة بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها
في الانفراد وحال ثانية إن جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهين
ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئا كخلقنا لكم
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
أنهم فيكم شركاء أي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للفصل والوصل
وقيل هو الظرف أسند إليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له
قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله
عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل
وضاع ما كنتم تزعمون أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء إن الله فالق الحب
والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي
من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف
ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على
فالق الحب فإن قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله أي ذلكم المحيي المميت هو
الذي يحق له العبادة فأنى تؤفكون تصرفون عنه إلى غيره فالق الإصباح شاق عمود
الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يلي الإصباح
في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل
سكنا يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا اطمأن إليه
استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به
فإنه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه
فإن فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة
المختلفة وعلى هذا يجوز أن يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له
قراءتهما بالجر والأحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئتا بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف أي مجعولان حسبانا أي على أدوار مختلفة يحسب بهما الأوقات
ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب
وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك
التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرهما والأنفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم

خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد
لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام
فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع
في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان
بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار
منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء
ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المختلفة بماء واحد
كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء
خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما خرج من الحبة المتشعب نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها
قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه
والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ
بضمها كذئب وذؤبان وبفتحها على انها اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع
دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها
عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات
كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او ومن الكرم جنات
ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا
عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه
غير متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك
وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب
وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال
نضجه كيف يعود او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل
مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو
لغة فيه ويانعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم
وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد ونقلها

من حال

من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته
مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ
من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم
وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين
لانهم اطاعوهم كما اطاعوا الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله
خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا
جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال من شركاء
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له
اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ
نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا له بنين وبنات فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله
بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال
من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا
او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف
كقولهم ثبت الغدر اي ثابت فيه بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول
وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات
والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها
وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد
ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول
ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل
المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف
بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض
خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات

متولي امورکم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد
يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف
لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاماً في الاوقات فلعله مخصوص
ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي
لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك
ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعاراً من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة
وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها به فمن ابصر
اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله
وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل
الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة
والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات
وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست
ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست
ودارست اليهود محمداً وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي
عفون ودرس اي درس محمد عليه السلام ودارسات اي قديمات او ذات درس
كعيشة راضية ولنبينه واللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف
والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوماً او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال من ربك بمعنى منفرداً في الالوهية
واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله منسوخاً بآية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم
حفيظاً رقيباً وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدواً تجاوزاً عن الحق الى الباطل
بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدواً يقال عدا فلان عدواً وعدواً

وعداء

---

وعداء وعدواناً روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون
سبهم سبباً لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة
وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر
باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً وتخذيلاً ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم
مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم
على الرسول في طلب الايات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس
شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الاية
المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب
مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت
لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم
ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعاً في ايمانهم
فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم فيكون انكاراً لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم
لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن او غيره من الايات فيؤمنون بها
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا نقلب
افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به
اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين
لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء
للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلاً كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا
او تأتي بالله والملائكة قبيلاً وقبلاً جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا
وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى
مقابلة كقبلاً وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل
وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر
الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال
مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم

يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعاً في إيمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً أي كما جعلنا لك عدواً جعلنا لكل نبي سبقك عدواً وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه شياطين الإنس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدواً أو أول مفعولي جعلنا وعدواً مفعوله الثاني ولكل نبي متعلق به أو حال منه يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض زخرف القول الأباطيل المموهة من زخرفه إذا زينه غروراً مفعول له أو مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ما فعلوه أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضاً دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غروراً إن جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدواً والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر وضعفه ظاهر والصغي الميل والضمير في إليه لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكماً على إرادة القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغي وحكماً حال منه ويحتمل عكسه وحكماً أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلاً مبيناً فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول خطاب للأمة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده صدقاً في الأخبار والمواعيد وعدلاً في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول

لا مبدل

لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضماناً لها من الله بالحفظ كقوله وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك ما تكلم به أو القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع أكثر من في الأرض أي تطع أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو أتباع الهوى وقيل الأرض أرض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر إلا بما فيه ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه وتحليل الميتة وتحريم البحاير أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي أعلم بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به لأن أفعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي أعلم المضلين من قوله من يضلل الله أو من أضللته إذا وجدته ضالاً والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه إن كنتم بآياته مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله واجتناب ما حرمه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم فصل على البناء للفاعل إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال حال الضرورة وإن كثيراً ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا

مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهره يحرم متروك التسمية عمداً ونسياناً وإليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله تعالى وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال ما حرم إنكم لمشركون فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتاً على الأصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين إيمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافاً إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكابر مجرميها وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله روي أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور

يقذفه

يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان وقرأ ابن كثير ضيقاً بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجاً بالكسر أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفاً بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبواً عن الحق وتباعداً في الهرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن أو إلى الإسلام أو إلى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيماً لا عوج فيه أو عادلاً مطرداً وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقاً أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون أن القادر هو الله وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله أضافها إلى نفسه تعظيماً لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه أو ذخيرة لهم لهم لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى إيصاله إليهم ويوم يحشرهم جميعاً نصب بإضمار اذكر أو نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الأمير من الجنود وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم عهم بالإنس اعترافهم بأنهم يقدرون على إجارتهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم أو ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم إن جعل مصدراً ومعنى الإضافة

[illegible] إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير
وقيل إلا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبدا إلا ما أمهلكم إن ربك
حكيم في أفعاله عليم بأعمال الثقلين وأحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
نكل بعضهم إلى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم
في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن
والإنس ألم يأتكم رسل منكم الرسل من الإنس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن
رسل الرسل إليهم لقوله تعالى ولوا إلى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على أنفسنا بالجرم والعصيان
وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم
أنهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإنهم اغتروا بالحياة الدنيا
واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة
على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك إشارة إلى إرسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أن لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة
أي الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم
فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك ولكل
من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من أعمالهم أو من جزائها أو من أجلها وما ربك
بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء
على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم
بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ما سبق ذكره من الإرسال
ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله إن يشأ يذهبكم ما به
إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم إنما توعدون
من البعث وأحواله لآت لكائن لا محالة وما أنتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن
أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة
وقرأ أبو بكر مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم
وعداوتكم إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة
الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه وتسجيل

بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى عنه
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إن جعل من استفهامية بمعنى
أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع والفعل
معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي تكون له
العاقبة وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه على وثوق
المنذر بأنه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي
إنه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة
وجعلوا أي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والأنعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم روي أنهم كانوا يعينون شيئا
من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئا منها
لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما عينوا لله
أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم
وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه
جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الأزكى له وفي قوله بزعمهم
تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في موضعيه
وهو لغة فيه وقد جاء بالكسر أيضا كالود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك
ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل أولادهم
بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين
وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء
بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود
من الضرورات كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة وقرئ بالبناء
للمفعول وجر أولاد ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام
أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة
إن كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء
التزيين أو الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم أو ما يفترونه
من الإفك وقالوا هذه إشارة إلى ما جعل لآلهتهم أنعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى
مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ حجر بالضم وحرج
أي ضيق لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء
بزعمهم من غير حجة وأنعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي

والانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام
عليها وقيل لا يحج على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوا تقول
على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له
والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله
وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى
فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في يكن
بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة بنصب كغيرهم والتاء فيه للمبالغة كما في
رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب
على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي
في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها
المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير
على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه
لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم
اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب
الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر
قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله
من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات من الكروم
معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري
والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل منه في الهيئة و
الكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه
لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا
حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها
كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد
وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده

سيجزيهم

يريد

يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة
والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به
حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية
وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا
في التصدق لقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم
ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل
الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره
وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش
عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية
ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل
دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس
كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز
كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر الضان وذكر
المعز حرم ام الانثيين انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين او ما تحمله اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم
بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا
كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة
واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء
بل كنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم
لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القران او فيما اوحي الي
مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما
على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة

تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على أن كان هي التامة
وقوله أو دماً مسفوحاً عطف على أن مع ما في حيزه أي إلا وجود ميتة أو دماً مسفوحاً
أي مصبوباً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال أو لحم خنزير فإنه رجس فإن الخنزير
أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات أو خبيث مخبث أو فسقاً عطف على لحم خنزير
وما بينهما اعتراض للتعليل أهل لغير الله به صفة له موضحة وإنما سمي ما ذبح
على اسم الصنم فسقاً لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقاً مفعولاً له من أهل وهو
عطف على يكون والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر
فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر
الضرورة فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد
فيما أوحي إليه إلى تلك الغاية محرماً غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر
فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء غيرها إلا
مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له أصبع
كالإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفراً مجازاً
ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب
وشحوم الكلى والإضافة لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما
أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع
أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو أو ما اختلط
بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص ذلك جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الأخبار أو الوعد والوعيد فإن كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل ولا يرد
بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد
على المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم
مع الدلالة على أنه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا إخبار عن مستقبل
ووقوع مخبره يدل على إعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا
نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة
ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل هذا التكذيب لك
في أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا
على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه

[illegible]
[illegible]
عظم الذنب

تتبعون

ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون
على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه
قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة
والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها
تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف
عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم
اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام
فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعدياً
كما في الآية ولازماً كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم
ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك
قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم
فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى
لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقاً بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان
وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلاً قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو
لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية
ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعولاً لاتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم
عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان
ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او البدل من ما او من عائده المحذوف
على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم
ان تشركوا شيئاً يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احساناً اي واحسنوا بهما احساناً
وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما
غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه
ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله
ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد
ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلاً وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون
ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده

حتى يصير بالغاً وهو جمع شدة كنعمة وانعم وشد كصر واصر وقيل مفرد كآنك
واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفساً الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير عليكم فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم
من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به
وان هذا صراطي مستقيماً الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات
التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف
وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير اللام على انه علة
لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وهذا صراطي وهذا صراط ربك
ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة
واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم
وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به
لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم
وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم قديماً وحديثاً
وقرئ بالرفع ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماماً للكرامة والنعمة
على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او على الذي
احسن تبليغه وهو موسى وتماماً على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع
اي زيادة على علمه اتماماً له وقرئ بالرفع انه خبر مبتدأ محذوف اي على الذي هو احسن
ما يكون عليه الكتب وتفصيلاً لكل شيء وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج اليه في الدين
وهو عطف على تماماً ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن
انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فيه لان الباقي
المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا انه كنا فهي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها
وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها

دنا

او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون
اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم
لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت
او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او يأتي ربك
اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله
او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء
ابن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا
قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفاً بالمشرق وخسفاً
بالمغرب بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج
ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفساً ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عياناً والايمان
برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت
من قبل صفة نفساً او كسبت في ايمانها خيراً عطف على آمنت والمعنى انه
لا ينفع الايمان حينئذ نفساً غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة
في ايمانها خيراً وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلة تخصيص
هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى
لا ينفع نفساً ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت في ايمانها خيراً
قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة
فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم
بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث
وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا
وكانوا شيعاً فرقاً كل فرقة تشيع اماماً لست منهم في شيء اي من السؤال
عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم
وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلاً من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الصفة
وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب

وكذا قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها
قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني
هداني ربي إلى صراط مستقيم بالوحي والإرشاد إلى ما نصبه من الحجج دينا بدل
من محل إلى صراط إذ المعنى هداني صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة
والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على أنه
مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لإعلال فعله كالقيام ملة إبراهيم
عطف بيان لدينا حنيفا حال من إبراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل إن صلاتي
ونسكي عبادتي كلها أو قرباني أو حجي ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حياتي
وأموت عليه من الإيمان والطاعة أو طاعات الحياة أو الخيرات المضافة إلى الممات
كالوصية والتدبير أو الحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع محياي بإسكان الياء
إجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا أشرك
فيها غيره وبذلك القول أو الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام
كل نبي متقدم على إسلام أمته قل أغير الله أبغي ربا فأشركه في عبادتي وهو
جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة
للإنكار والدليل له أي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب
كل نفس إلا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك ولا تزر
وازرة وزر أخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم إلى ربكم
مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق
من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الأرض يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله
في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام أو خلفاء الأمم السالفة على أن الخطاب
للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم
من الجاه والمال إن ربك سريع العقاب لأن ما هو آت قريب أو لأنه سريع
إذا أراده وإنه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه ووصف ذاته
بالمغفرة وضم إليه الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها
على أنه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الأنعام جملة
واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام
صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

## سورة الأعراف مكية مائتان وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف
أي هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة أو القرآن أنزل إليك صفته فلا يكن في صدرك
حرج منه أي شك فإن الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب
فيه أو تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم لا أرينك ههنا
والفاء تحتمل العطف والجواب وكأنه قيل إذا أنزل إليك لتنذر به فلا يحرج صدرك
لتنذر به متعلق بأنزل أو بلا يكن لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار
وكذا إذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب
بإضمار فعلها أي لتنذر وتذكر ذكرى فإنها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل
تنذر والرفع عطفا على كتاب أو خبرا لمحذوف اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم يعم القرآن
والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه
أولياء يضلونكم من الجن والإنس وقيل الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا
من دون دين الله أولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون أي تذكرا أو زمانا
قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة
وإن جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد مع النبي عليه السلام
وكم من قرية وكثير من القرى أهلكناها أردنا إهلاك أهلها أو أهلكناها بالخذلان
فجاءها فجاء أهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال أو هم قائلون
عطف عليه أي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح
وفي التعبير [illegible] تعليلهم فإنهم عن الغفلة وتخصيص هذين الوقتين لأنهما وقت
دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع فما كان دعواهم دعاؤهم واستغاثتهم
أو ما كانوا يدعونه من دينهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين
إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وتحسرهم عليه فلنسألن الذين أرسل إليهم
عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما أجيبوا به والمراد من هذا
السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام أو الأول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن
عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب أو على الرسل والمرسل
إليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم وما كنا غائبين
عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم والوزن أي القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها
بالجزاء والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه
الخلائق إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم
وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه

وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما روي انه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن جناح بعوضة
يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي
فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات
وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي
فطرت عليها واقترافها ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل
التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه
تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل
خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا
آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتاخير الاخبار
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد
اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه
ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه
قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور
قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله
مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد
للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح
العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط
في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل
كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي [illegible] وباعتبار
الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار
الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بالسجود لما بين لهم انه اعلم منهم
وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك
فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه

فاخرج

فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله
رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة
فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله
لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى
او هو وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم
للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي
طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا
بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام
تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع
مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من
بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون
التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم
وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين
بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست
عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
قال اخرج منها مذؤما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسئول وكمكول في مكيل
من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام لتوطئة القسم وجوابه
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام على انه
خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة
وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس

الشيطان أي فعل الوسوسة لأجلهما وهي في الأصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام
للعاقبة أو للغرض على أنه أراد أيضا بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما
بالسوأة وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما
ولا أحدهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في أويصل
تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو
وبقلبها واوا وإدغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا
إلا كراهة أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة
واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء وجوابه أنه كان من المعلوم أن الحقائق
لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما
إني لكما لمن الناصحين أي أقسم لهما على ذلك وإنما أخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل
أقسما له بالقبول وقيل أقسما عليه بالله إنه لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة نبه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى
رتبة سافلة فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل بغرور بما غرهما به
من القسم فإنهما ظنا أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا أو ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما أي فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة
كانت السنبلة أو الكرم وغيرهما وأن اللباس كان نورا أو حلة أو ظفرا وطفقا
يخصفان أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل
كان ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان
من خصف ويخصفان وأصله يختصفان وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما
الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ
على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا
أنفسنا أضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج عن الجنة وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على أن الصغائر معاقب عليها إن لم تغفر
وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا إنما قالا
ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم
من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له
تبعا ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال

أي متعادين ولكم في الأرض مستقر استقرار أو موضع استقرار ومتاع وتمتع إلى حين
إلى انقضاء آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد أنزلنا
عليكم لباسا أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله وأنزل لكم من الأنعام
وقوله وأنزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان إبداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله
فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم عليه السلام تقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة
أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم وريشا
ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل إذا تمول وقرئ رياشا
وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الإيمان وقيل السمت
الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير أو خير وذلك صفته
كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب
عطفا على لباسا ذلك أي إنزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم
يذكرون فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم كما أخرج أبويكم من الجنة كما محن أبويكم
بأن أخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع
إليه للتسبب إنه يراكم هو وقبيله تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا
إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بإرسالهم
عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة
الحكاية وإذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء
على الله فأعرض عن الأول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن عادته
جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل
بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه
العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع
التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار يتضمن
النهي عن الافتراء على الله قل أمر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن طرفي
الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها
أو أقيموها نحو القبلة عند كل سجود في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أي مسجد

حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء
تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم
حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى
بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر
المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر
يا بنى آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة
ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة
فى الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لا يأكلون
الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت
ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله
وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير
والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل
والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا
بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل
الآيات لقوم يعلمون كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم
ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم
او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه
برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم
والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة
فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

اى لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة
الهول يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى شرط ذكر بحرف الشك
للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد
معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال
الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل
الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون
ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا
جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اى الآلهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت
باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه
قال ادخلوا اى قال الله تعالى لهم يوم القيامة او احد من الملائكة فى امم قد خلت
من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من الجن والانس
يعنى كفار الامم الماضية من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت
امة فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها
جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم
الاتباع لاولاهم لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا
سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما
الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم
بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل
عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم
علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف
وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل

ونصب الأبواب بالتاء على أن الفعل للأبواب وبالياء على أن الفعل له ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير
فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه
وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالنصب والجمل كالقفل والجمل كالحبل
وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط
وهو الخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش أغطية والتنوين فيه للبدل
عن الإعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على إلغاء المحذوف وكذلك
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم
الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه أعظم الإجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته
سبحانه وتعالى في أن يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا إلا وسعها اعتراض
بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم
وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل
أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون
أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الأنهار زيادة في لذتهم وسرورهم
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبينة للأولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فاهتدينا بإرشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا
بأن ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا أن تلكم الجنة
إذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادى له بالذات أورثتموها بما كنتم
تعملون أي أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة
أو خبر والجنة صفة تلكم وأن في المواقع الخمسة هي المخففة أو المفسرة لأن المناداة
والتأذين من القول ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا إنما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب
النار وتحسيرا لهم وإنما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لأن ما ساءهم من الموعود
لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة قالوا نعم
وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم
بين الفريقين أن لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة

والكسائي

والكسائي أن لعنة بالتشديد والنصب وقرئ إن بالكسر على إرادة القول أو إجراء أذن
مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع
أو منصوب ويبغونها عوجا زيغا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والأعيان
ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب أي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور أو بين الجنة
والنار ليمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى وعلى الأعراف وعلى أعراف
الحجاب أي أعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف
الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فإنه يكون لظهوره أعرف من غيره رجال
طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله
فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء وخيار المؤمنين
وعلمائهم أو ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من أهل الجنة والنار
بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام إبله
إذا أرسلها في المرعى معلمة أو من وسم على القلب كالجاه من الوجه وإنما
يعرفون ذلك بالإلهام أو تعليم الملائكة ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم
أي إذا نظروا إليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو
على الوجه الأول ومن الأصحاب على الوجوه الباقية وإذا صرفت أبصارهم
تلقاء أصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين أي
في النار ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء
الكفرة قالوا ما أغنى عنكم جمعكم كثرتكم أو جمعكم المال وما كنتم تستكبرون
عن الحق أو على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين أقسمتم
لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون أي فالتفتوا إلى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا
وهو أوفق للوجوه الأخيرة أو فقيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا أصحاب
النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله أو بعض الملائكة
هؤلاء الذين أقسمتم وقرئ أدخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا
علينا من الماء أي صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله
من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة أو من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء
باردا قالوا إن الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذ

دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسين قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد وهل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما بشيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره

بقضائه

بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة بشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير

اليه

المعدنية والنباتية والحيوانية

وقرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وبشرى بين يدي
رحمته قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى إذا أقلت حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء
يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لأن السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه أي
السحاب وأفرد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لأجله أو لإحيائه أو لسقيه
وقرئ ميت فأنزلنا به الماء بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك فأخرجنا
ويحتمل فيه عود الضمير إلى الماء وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في
وإذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل أنواعها كذلك نخرج الموتى
الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة
النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس
إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون أن من قدر
على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته
وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة
والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج إلا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكدا
مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف كذلك نصرف
الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها
والآية مثل لمن يتدبر الآيات وينتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر بها
لقد أرسلنا نوحا إلى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد
لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك
بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعث بعده وهو ابن خمسين سنة أو أربعين فقال يا قوم
اعبدوا الله أي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالجر نعتا
أو بدلا وقرئ بالنصب على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا وهو
وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال
الملأ من قومه أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك في ضلال
زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء من الضلال بالغ
في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين
استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى
في الغاية لأني رسول من الله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما
لا تعلمون صفات لرسولا أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا

دون

---

وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله
كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وأعلم
من الله يحتمل أن يعلم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته
بالوحي أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف
أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة
على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال
البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين
لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى
وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وأن المتقي
ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فأنجيناه والذين معه
وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول
أو الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان إنهم كانوا قوما عمين
عمي القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ
لدلالته على الثبات وإلى عاد أخاهم عطف على نوحا إلى قومه هودا عطف بيان
لأخاهم والمراد الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله بن رباح
بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد
بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله
وأرغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون
ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم أفلا تتقون
عذاب الله وكانوا أقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا
من قومه إذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد إنا لنراك في سفاهة متمكنا
في خفة عقل راسخا فيها حيث تركت دين قومك وإنا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم
ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي إجابة
الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة
وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين
تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين وقرأ أبو عمرو أبلغكم في الموضعين في هذه السورة
وفي الأحقاف مخففا واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم
أو في الأرض بأن جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج

الشحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم
الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه ومعنى المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم
او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه
بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب
وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى
الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان
استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وان اللغات توقيفية
اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال لانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها
سلطانا وضعفها ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد
نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة
منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين
تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجى وبين من هلك هو الايمان
روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا
عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله
الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنق ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان
اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم
باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيا ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل
مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم
ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد
اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما

ماكنت

ماكنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه
مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود
والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة
اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل
الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر
ابن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف
لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية
واضافة الناقة الى الله لتعظيمها او لانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب
معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها
قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر
وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى
تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من الايمان من قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير
لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه
عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال
الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به
موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند
الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا

عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا
بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها
الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا
في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية
فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا
فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم
جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج لنا من هذه
ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت
ذلك لتؤمنن به فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب منها انعامهم الى ظهره
فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار
فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فاذا انفجرت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم
كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم
ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ
بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية
ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة

للانكار

---

للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم
لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ
في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له
او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء
الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن الحال التي
ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار
عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم
عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي
ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن
معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون [illegible]
فانجيناه واهله اي من آمن به او اهل بيته الا امراته استثناء من اهله فانها
كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوطا بن هاران
ابن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر عليهم الحجارة
فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم
شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم وشعيب بن ميكيل بن يشجر
بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن
انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه
الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده
في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال
كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال
والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها
الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل

ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء
منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك
عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله
يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظمه عنه
وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول
ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال
وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله
بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر
وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا
الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله
قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا
في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دل عليه قد افترينا وهو بمعنى
المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه
من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم
ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل
انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود
فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته
وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء
علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا

بالحق

---

بالحق احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا
حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت
خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم
دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فأخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فأصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين
صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه
كرر الموصول واستأنف الجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال
فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم
او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار
وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء
والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عَددا وعُددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه
اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا
لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
بنزول العقاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا
في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد
ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
أفأمن اهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما
اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا
او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا او أمن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أوْ بالسكون
على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس

اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا
مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى
يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع
على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى
ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي
الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا
ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين
ومن للتبعيض اي نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا
من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا
مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة
واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم
في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس
والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم
نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج
او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت
زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا
ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم
بآياتنا المعجزات الى فرعون وملئه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان
الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون
لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
ابن مصعب بن ريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين اليك حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق

خ ولا يلين

لعله

لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه
وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق
والمعنى انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن
حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت
جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت
من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه
بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر
ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع
يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت
في جبلتها روي انه عليه السلام كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه
او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور
في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا بقوله تعالى قال الملأ حوله ان هذا
لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل
قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانهم
ارقبهما اشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو
وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير
او ارجه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية
قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقرأ حمزة وعاصم وحفص
بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما
قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة
فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة
لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس

[illegible]

ناء

[illegible]

ويؤيده اتفاقهم في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا
وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا
من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده
نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم
في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل القوا كرما وتسامحا
او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس
بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا
شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها
بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف
ما يأفكون ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون
ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم
ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره
وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي
السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم
الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون
بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم
انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين
على الاصل وقرأ حفص امنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وامنتم يبدل
في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرأ في طه
على الخبر بهمزة والف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير
الفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان اذن لكم ان هذا
لمكر مكرتموه ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل الخروج

بن

للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون
عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق
طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن
ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله
ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة
فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم
استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا
وما تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب
ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل
انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو
كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى
ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر
او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى
فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما
كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون
وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا
قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين
وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له
وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس
قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد
ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه

فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد
منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الأمطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم إذا قحطوا ونقص من الثمرات
لكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا أو لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا جاءتهم الحسنة
من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لأجلنا ونحن مستحقوها وإن تصبهم سيئة
جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا إلا بشؤمهم
وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها إلا بالتبع ألا إنما طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عنده
وهو حكمه ومشيئته أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقت
إليهم ما يسوؤهم وقرئ إنما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن أكثرهم لا يعلمون
أن ما يصيبهم من الله أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة
للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف
وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء أو النصب بفعل يفسره تأتنا به أي أي شيء تحضرنا تأتنا
به من آية بيان لمهما وإنما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها
أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لمهما ذكره قبل
التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم
وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر وسيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون
والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها
والضفادع والدم روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج
من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيها إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم
ولم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم
أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا ونبت لهم من الكلأ
والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم
ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء
وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فأكل ما أبقاه وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها
ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع

بحيث

بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب
إلى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف
آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله
ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنتين منها
شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل إن موسى عليه السلام لبث فيهم
بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الإيمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل أو الطاعون الذي
أرسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده
عندك وهو النبوة أو بالذي عهد إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك بآياتك
وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا إليه بما عهد عندك
أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق
ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه
أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم ينكثون
جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم
فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
لجته بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم
بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة
المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم مشارق الأرض ومغاربها
يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها
التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل
ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله
ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفي النحل يعرشون

وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه
بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام
تسلية لرسول الله عليه السلام عما رآه منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم
ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه
فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل
كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم
وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا
نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل
المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعدما راوا من الآيات الكبرى ان هؤلاء
اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه
ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان
والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين
الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي
لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم
معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه
على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا
بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا
صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف
لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء
او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا
ابو عمرو ويعقوب وعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك
فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم
ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلاثين بالصوم
والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك
ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه

بميقاتنا

بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما تكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه ليس من جنس كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون
لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد
في الرائي ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله
جهرة خطا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما جهل
بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع
سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل
الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا
فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز
ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه
جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة
والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها وقرئ
دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى
فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال
بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا اول من آمن بانك
لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي على الموجودين
في زمانك وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب
شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي
وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة
فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له
في الالواح من كل شيء مما يحتاج اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء
بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف
في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او من زبرجد او ياقوت
احمر او صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى عليه السلام فقطعها بيده او شققها
باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على

أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو
بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز
أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقاً لا بالإضافة وهو المأمور به كقولهم
الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر
خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم
في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم
ويؤيده قوله وأورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والأنفس الذين
يتكبرون في الأرض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل
سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم
بغير الحق صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله
وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً
ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم
وعدم تدبرهم الآيات ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك
الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة
أو ما وعد الله في الآخرة من الثواب حبطت أعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون
إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه
للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها
إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالإتباع كدلي ويعقوب على الإفراد عجلاً جسداً
بدناً ذا لحم ودم أو جسداً من ذهب خالياً من الروح ونصبه على البدل له خوار
صوت البقر روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس
جبريل فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت
وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم
إياه إلهاً وقرئ جؤار أي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً
تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلهاً
أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام

والقوى

والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلهاً وكانوا ظالمين واضعين الأشياء
في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولما سقط في أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم
فإن النادم المتحسر يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل
بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا
باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة
لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع
موسى إلى قومه غضبان أسفاً شديد الغضب وقيل حزيناً قال بئسما خلفتموني
من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا
العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس
والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني التوحيد والتنزيه والحمل عليه
والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي
تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى الألواح أي طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة حمية للدين روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح
فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع
كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهماً بأنه
قصر في كفهم وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً ولذلك كان
أحب إلى بني إسرائيل قال ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي
فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء والباقون
بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً بخمسة عشر إن القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم
حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل
ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدوداً في عدادهم
بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت بأخي ولأخي إن فرط
في كفهم ضم إليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعاً للشماتة عنه وأدخلنا
في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين منا على أنفسنا
إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل
أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك
نجزي المفترين على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهي قولهم هذا إلهكم وإله موسى

والضجر نسخه

ولعله لم يتفق مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم
الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به
عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن
السكون بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا
اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة
ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول
لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصيه
لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين
من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه
يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى
ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون
على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء منا
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا
ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
فبكى ودعا فكشفها عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك
حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى
بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا
وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك

من هاد

---

من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء
تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق
عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول
النبي مبتدأ خبره يامرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون
بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عليه السلام وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به
تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا
والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به
من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ
بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع
نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف
الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوه اي واتبعوا النور المنزل مع
اتباع النبي يكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون
بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة
الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه
او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول
بيان للصلة فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير
لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن
او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم
الى الغيبة لاجراء الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون

جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه
بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس
محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان
القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن
تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو
اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به
وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه
متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع
او تمييز له على ان كل واحدة اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر
الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال
وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم
كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر
والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا
مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل
ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على
وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما
نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة
وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم وقرا ابن عامر خطيئتكم
بالهمزة ورفعها من غير الف على التوحيد وقرا نافع على كونك الاثر على الجمع
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون مضى تفسيره فيها واسئلهم وسل اليهود للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم
والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية
عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين
مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت
يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف

او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم
والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم
وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون
على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه
ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنى واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم
مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية
يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان
قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه
تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة
من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة
الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط
في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا
او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك
فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على وزن
فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر
فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وقرا نافع بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس
كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا
عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى وروي ان الناهين
لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق

فأصبحوا يوماً ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا إن لهم شأناً فدخلوا
عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي
أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت
قلوبهم لا أبدانهم وإذ تأذن ربك أي عزم ربك تفعل من الإيذان بمعناه كالتوعد
والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله وأجري مجرى فعل
القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة
والمعنى وإذا أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالإذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم
وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل
ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب
عاقبهم في الدنيا وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الأرض أمماً
وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لإدبارهم حتى لا يكون لهم
شوكة قط وأمماً مفعول ثان أو حال منهم الصالحون صفة لأمماً أو بدل منه وهم
الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك نعته أي ومنهم ناس دون ذلك
أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
أي بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع
وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في [illegible]
ورثوا الكتاب التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض
هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا
يأخذونه من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من واو ورثوا ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال
والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله
يأخذوه حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين
إلى مثله غير تائبين عنه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي في الكتاب أن لا يقولوا
على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا والمراد توبيخهم
على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج
عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير
أو على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء
أفلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدني المؤدي إلى العقاب

بلغ

بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين
يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون اعتراض
أو مبتدأ خبره إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيهاً على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف
وإفراد الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات وإذ نتقنا الجبل فوقهم
أي قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما أظلك
وظنوا وتيقنوا أنه واقع بهم ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا
يوعدون به وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا
أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم إن قبلتم ما فيها فبها
وإلا ليقعن عليكم خذوا على إضمار القول أي قلنا لهم خذوا أو قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة [illegible] الأعمال [illegible] الأخلاق وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن ومن ظهورهم بدل
من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم وأشهدهم على
أنفسهم ألست بربكم أي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى
صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة
الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا أن تقولوا
يوم القيامة أي كراهة أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل أو تقولوا عطف
على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام على الغيبة إنما أشرك آباؤنا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به
لا يصلح عذراً أفتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل
لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق
وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرح كتاب المصابيح
والمقصود من إيراد هذا الكلام ههنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم
بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد
وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون
أي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو أحد
علماء بني إسرائيل أو أمية بن أبي الصلت فإنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً
في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به أو بلعم
ابن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله [illegible] لكن
دعا أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة
فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء

بلغ

[illegible]

فانسلخ منها أي من الآيات بأن كفر بها وأعرض عنها
فأتبعه الشيطان [illegible] وقيل استتبعه

بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة
واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه
بمشيئته ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه
وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي
هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب
من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها
فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه
وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب
كصفته في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائما
سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات
لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع صح
الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع
على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص المذكورة على اليهود فإنها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يؤدي بهم إلى الاتعاظ ساء مثلا القوم أي مثل القوم وقرئ ساء مثل
القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها
وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى
الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من
يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال
من الله وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد
في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد
طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي
تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له
غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم
كثيرا من الجن والإنس يعني المصرين على الكفر في علمه سبحانه وتعالى لهم قلوب
لا يفقهون بها إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها
أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ
استماع تأمل وتذكر أولئك كالأنعام في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع صح
للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل

فإنها

فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها
غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار أولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان
هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك
الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه
بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه
أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف إلا رحمن اليمامة أو وذروهم
وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله
والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال سيجزون
ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين أنه خلق
للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين
بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن
طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي
أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم والذين
كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ما يريد بهم وذلك أن تتواتر
عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق كلمة
العذاب وأملي لهم وأمهلهم عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي
شديد وإنما سماه كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون روي أنه عليه السلام صعد على الصفا
فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت
إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر
أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه
وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أو لم ينظروا في اقتراب
آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم
قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به
وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة
والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم

قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه
فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به قوله من يضلل الله فلا هادي له
كالتقرير والتعليل ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم
ويعقوب به بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به بالجزم عطفا على محل فلا هادي له
كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم يعمهون حال منهم يسألونك عن الساعة عن القيامة
وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها
أو لأنها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها ورسو
الشيء ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان
من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت الشيء لأن البعض آو إلى الكل قل إنما علمها
عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها
لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها
واللام للتوقيت كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السماوات والأرض
عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها كأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها
لا تأتيكم إلا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه
فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن
وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشا قالوا له
إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي
تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها
تحبا تكره لأنه من الغيب الذي استأثره الله بعلمه قل إنما علمها عند الله كرره
لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة للمبالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون
أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب
نفع ولا دفع ضر وهو إظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب إلا ما شاء الله
من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار
حتى لا يمسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة
لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقا بالبشير ومتعلق
النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل منها
من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا زوجها حواء ليسكن إليها ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء

الى جزئه

---

إلى جزئه أو جنسه وإنما ذكر الضمير ذهابا إلى المعنى ليناسب فلما تغشاها جامعها
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا
هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفا
فارت من المور وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت به فلما أثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة
المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما أي جعل أولادهما له
شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق
شيئا وهم يخلقون يعني الأصنام وقيل لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة
رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين
يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد إليها وقال إني من الله بمنزلة
فإن دعوت الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل خروجه تسميه عبد الحارث وأمثال
ذلك لا يليق بالأنبياء ويحتمل أن يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فإنهم
خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد
فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار
ويكون الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركا
أي شركة بأن أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الأصنام جيء به
على تسميتهم إياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا أي لعبدتهم ولا أنفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وإن تدعوهم أي المشركين إلى الهدى
إلى الإسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير
الأصنام أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة
في عدم إفادة الدعاء من حيث إنه مسوى بالثبات على الصمات أو لأنهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات
عن دعائهم إن الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد
أمثالكم من حيث إنها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين
أنهم آلهة ويحتمل أنهم لما نحتوها بصورة الأناسي قال لهم إن قصارى أمرهم
أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم
عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها
أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها وقرئ إن الذين بتخفيف إن ونصب عباد

على أنها ناقصة فيطفئ عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله وقرئ يبطشون بالضم ههنا وفي
القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا
فيما يقدرون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فإني لا أبالي
لوثوقي على ولاية الله وحفظه إن وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى
الصالحين أي ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلا عن أنبيائه والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون من تمام التعليل
لعدم مبالاته بهم وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم يبصرون
يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه خذ العفو خذ
ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد
أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكاة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الأفعال وأعرض عن الجاهلين فلا تمارهم
ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول
باستجماعها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس أي وسوسة
تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز
شبه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي وإزعاجا بغرز السائق ما يسوقه
فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه
أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا إياك عن الانتقام
ومشايعة الشيطان إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه
وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر
فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب
طيف على أنه مصدر أو تخفيف طيّف كليّن وهيّن والمراد بالشيطان الجنس
ولذلك جمع ضميره تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فإذا هم مبصرون بسبب التذكر
مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد
وتقرير لما قبلها وكذا قوله وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين في الغي بالتزيين
والحمل عليه وقرئ يمدونهم من أمد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء
يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم
ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز
أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما
هو له وإذا لم تأتهم بآية من القرآن أو مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها
تقولا من نفسك كسائر ما تقرأ أو هلا طلبتها من الله قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي
لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب

وهم لا

تبصر

تبصر الحق وتدرك بها الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع
قراءة الإمام والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا
وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم
وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما
أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي
تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون
الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص بالغدو والآصال بأوقات الغدو والعشيات
وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل مطابق للغدو ولا تكن
من الغافلين عن ذكر الله إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويلي
أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام
من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

من القول

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما
سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر
عطية له وزيادة على سهمه قل الأنفال لله والرسول أي أمرها مختص بهما يقسمها
الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم
ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه السلام
لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين
ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي
وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص
وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته منه فقال ليس
هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله
من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وإنه
قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك عن الأنفال أي يسألك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة وأصلحوا ذات بينكم

الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله
والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء
عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون
في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا
من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ
وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة
المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول
من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم
يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة
والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات
عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم
ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحالة في كراهتهم اياها كحال
اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال
ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة
لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع
الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها
تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلث عاتكة بنت
عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة
الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا
حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت
العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي
ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه
اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله

عليك

عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فانظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله
فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا
حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف
ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال
لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد امنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله
لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له
عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال
لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليهم
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه
وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان
فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه
لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق
اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد
ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا
مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

ليحق الحق ويبطل الباطل أي فعل ما فعل وليس بتكرير لأن الأول لبيان المراد وما بينه وبين
مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة
ولو كره المجرمون ذلك إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق
أو على إضمار اذكر واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون أي رب
انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه السلام
نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه
يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه
سينجز لك ما وعد فاستجاب لكم أني ممدكم بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل
وقرأ أبو عمرو بالكسر على إرادة القول أو إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة
من القول بألف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته
إياه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي متبعين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا
مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعنى
مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل
أو بالضم على الإتباع وقرئ بآلاف من الملائكة ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة
أو وجوههم وأعيانهم من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي أخبار تدل
عليها وما جعله الله أي الإمداد إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به
قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم
وإمداد الملائكة وكثرة العدد والأهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها إذ يغشيكم النعاس بدل ثان من إذ يعدكم
لإظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو بجعل أو بإضمار
اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشيء إذا غشيته إياه والفاعل على القراءتين
هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع أمنة منه أمنا من الله
وهو مفعول له باعتبار المعنى فإن قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون
ويغشاكم بمعناه والأمنة فعل لفاعله ويجوز أن يراد بها الإيمان فيكون فعل المغشي
وأن يجعل على القراءة الأخيرة فعل النعاس على المجاز لأنها لأصحابه أو لأنه كان
من حقه أن لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله
لولاها لما غشيهم كقوله يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ
أمنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لأنه من تخييله أو وسوسته وتخويفهم

من العطش

من العطش روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد
غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله
فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو
حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله
بهم ويثبت به الأقدام أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى
تثبت في المعركة إذ يوحي ربك بدل ثالث أو متعلق بيثبت إلى الملائكة أني معكم
في إعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه
فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله سألقي
في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله أني معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم قاتلوا
ومن منع من ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا
فاضربوا فوق الأعناق أعاليها التي هي المذابح أي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان
أصابع أي جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم ذلك إشارة إلى الضرب أو الأمر به
والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين بأنهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم
لهما واشتقاقه من الشق لأن كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة
من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله
شديد العقاب تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم
في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أي
الأمر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه فذوقوه أو غيره مثل باشروا
أو عليكم ليكون الفاء عاطفة وأن للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم أو نصب
على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر غير
موضع الضمير للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرئ وإن
بالكسر على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا
بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف وانتصابه على الحال
فلا تولوهم الأدبار بالانهزام فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والأظهر
أنها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز أن ينتصب زحفا
من الفاعل والمفعول إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم
فلا تنهزموا أو من الفاعل وحده ويكون إشعارا بما سيكون منهم يوم حنين
تولوا وهم اثنا عشر ألفا ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال يريد الكر
بعد الفر وتغرير العدو فإنه من مكايد الحرب أو متحيزا إلى فئة منحازا إلى فئة أخرى

من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ان ابن عمر رضي
الله عنه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت
يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا
متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز
يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو
على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر
والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني
فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى
الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء
جواب شرط محذوف تقديره اذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة
الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه
وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم
وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى
مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه
والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم
واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود
او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء
المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين

وان تعودوا

وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره عليكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا لن تغني حينئذ
جماعتكم ولو كثرت فئتكم من العدد اذا لم يكن الله معكم بالنصر وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله تعالى
مع المؤمنين وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا
نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر
فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي
عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول
لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه
الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب
على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلونه عدهم
من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله
فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم
وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول
وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان
شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه
لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابي
وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي
قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه
فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل
ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر
الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته
قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحياة الابدية
في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه
لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث

على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت
او غيره او تصوير وتخييل لتمكنه على العبد فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول
بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرى
بين المرّ بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف
على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة
في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط
متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي
في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق
هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى
ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين
وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم
قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس
والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم
كانوا جميعا معادين مضادين لهم فاواكم الى المدينة او جعل لكم
ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول
في الغنايم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا من الشام فابى عليه السلام الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله
في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ
فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني
قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام

حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا
والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون
الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع
في الاثم او في العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم
على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضاء الله عليهم وراعى
حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يوديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق
بين المحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير
وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله
ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان
وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمله واذ يمكر بك
الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من
مكرهم واستيلايه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او
الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرى
ليبيتوك بالتشديد من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد
سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم به فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق

هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليه السلام وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيّت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجمع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان إن هذا إلا أساطير الأولين ما سطره الأولون من القصص وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه عليه السلام لما قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي عليه السلام ويلك إنه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى إن كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أنه مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي عليه السلام بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وما لهم ألا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله عليه السلام والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية وما كانوا أولياءه مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء إن أولياؤه إلا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به

الكل

كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها إلا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية تصفيقا من الصدا أو من الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي عليه السلام أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا فذوقوا العذاب يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب أليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية أو في أصحاب العير فإنه لما أصيبت قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة إنفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا أي الذين ثبتوا على الكفر منهم إذ أسلم بعضهم إلى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله عليه السلام مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم قل للذين كفروا يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لأجلهم إن ينتهوا عن معاداة الرسول

بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنت الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الأديان الباطلة فإن انتهوا عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة مقاتليهم للتسبب وإن تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا أنما غنمتم أن الذي أخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط ونحوها فأن لله خمسه مبتدأ خبر محذوف أي ثابت أن لله خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول عليه السلام يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل إلى الإمام وقيل إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا إلى الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله عنه الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية وقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي أنه قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في إسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة إن كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي إن كنتم

آمنتم

آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصرة وقرئ عبُدُنا بضمتين أي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل والإمداد بالملائكة إذ أنتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا والركب العير أو قوادها أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار

ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم
ما سيكون فيها وما يغير من احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين
حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام ويقللكم في اعينهم
حتى قال ابو جهل ان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه اكلة جزور وقللهم
في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى
يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات
تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف
الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز
الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء
عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا
بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه
ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها
في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول
ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا
ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا بها كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم
بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء
امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال

وكذا

وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر
اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته
والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان
نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل لهم انه مجيرهم سبب
هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم
وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم
ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة
فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين
اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترونه ودفع في صدر الحارث
وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله
ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا
يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخاف ان يصيبني بمكروه من الملائكة
او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول
ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه
وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا
الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا
لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل
على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل
حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى
ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حين
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل
ضمير الله وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني يد
بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين
وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم

وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك العذاب بما قدمت
ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم
بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا وعقلا حتى ينتهض نفي الظلم
سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون دأب هؤلاء
مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين
من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم
كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة
الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها
بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم
في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم
والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم
بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك
يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف
اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد
ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون
وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم
ما بانفسهم وكل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر
ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه
يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله عليه السلام ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة
فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او
المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته ولا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه

ان لا [illegible]

فاما

---

فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل
عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب
وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه
اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين
يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك
فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم
الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو
في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه ومن المنبوذ
اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي
عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن
خطاب للنبي عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول
الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان
ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح
على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر
انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن
افلت من فل المشركين واعدوا لهم ايها المؤمنون لناقضي العهد او الكفار
ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر
لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول
او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها
على القوة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب
ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم
يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون
وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب
وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح او الاستسلام
وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها

قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ
فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله
يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصال قصتهم بها وقيل عامة نسختها اية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى
صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته م لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم
ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم
بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة
والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل
الاية في الاوس والخزرج كان بينهم محن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم
فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا انصارا
يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه
كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر
عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون
والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض
حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة
الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم
لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب
وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة
والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد بالاثنين وقيل كان
فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة

للدلا

للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة
الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ
للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي
اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة
تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة يريد لكم ثواب
الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة
على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها
كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه
وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي
يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال
ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي
اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء
مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين
من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت
فدخل عمر على رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال عليه السلام ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
والاية دليل على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ
ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته
في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما
بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم
فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي عليه السلام قال لو نزل العذاب
لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم
من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب
والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد

بعد الحظر

[illegible]

بعد الحظر للإباحة حلالاً حال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلاً حلالاً وفائدته
إزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الأولين ولذلك
وصفه بقوله طيباً واتقوا الله في مخالفته إن الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم
أباح لكم ما أخذتم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى وقرأ أبو عمرو
من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً إيماناً وإخلاصاً يؤتكم خيراً مما أخذ
منكم من الفداء روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت قال عليه السلام فأين الذهب الذي دفعته
إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا
فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال
وما يدريك قال أخبرني به ربي قال أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل
قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب
في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة
وأنا أنتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
وإن يريدوا يعني الأسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله من قبل بالكفر
ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل فأمكن منهم أي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر
فإن أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حباً لله ورسوله وجاهدوا بأموالهم فصرفوها
في الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج وأنفسهم في سبيل الله بمباشرة
القتال والذين آووا ونصروا هم الأنصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم
على أعدائهم أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والأنصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله وأولو الأرحام
بعضهم أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر
تشبيهاً لها بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول
عملاً وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم
على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم
لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض
في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم
وبين المسلمين إلا تفعلوه إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم

بعضا

بعضاً حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض
تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين
[illegible] كبيرة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
أولئك هم المؤمنون حقاً لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين
في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد
وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق
كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم
بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم
أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض
في التوارث من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو في اللوح أو القرآن واستدل به
على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في إناطتها
بنسبة الإسلام والمظاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانياً عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء
من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

## سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية

ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها
وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل
تسع وعشرون وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل
كان النبي عليه السلام إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين
موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود
وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة
السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله
أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ
نصباً على اسمعوا براءة والمعنى أن الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به
المشركين وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب
عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله واتفاق الرسول فإنهما
بريئان منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا أناساً منهم بني ضمرة وبني كنانة
فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا فقال

فسيحوا في الأرض أربعة أشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول الله عليه السلام عليا رضي الله عنه راكبا العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضي الله عنه أميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع أبو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني إلا رجل مني ليس على العموم فإنه عليه السلام بعث لأن يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة إلا رجل منها ويدل عليه أنه في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي واعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وأن الله مخزي الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله ورسوله إلى الناس أي إعلام فعال بمعنى الإفعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الأكبر يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين أن الله أي بأن الله بريء من المشركين أي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء أو على محل أن واسمها في قراءة من كسرها إجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم أن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين فإن تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو تبتم على التولي عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب أليم في الآخرة إلا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين أو استدراك وكأنه قيل لهم بعد أن أمروا

بنبذ

بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين إن الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على أن تمام عهدهم من باب التقوى فإذا انسلخ انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الأشهر الحرم التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم وأسروهم والأخيذ الأسير واحصروهم واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فإن تابوا عن الشرك بالإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وإيمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله إن الله غفور رحيم تعليل للأمر أي فخلوهم لأن الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وإن أحد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فأجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه مأمنه موضع أمنه إن لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل ذلك الأمر بأنهم قوم لا يعلمون ما الإيمان وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم أو لأن يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله وهو على الأولين صفة أو ظرف له أو ليكون وكيف على الأخيرين حال من العهد وللمشركين إن لم يكن خبرا فتبيين إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أو الجر على البدل أو الرفع على أن الاستثناء منقطع أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أي فتربصوا أمرهم فإن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء كقوله فأتموا إليهم عهدهم غير أنه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية إن الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في

وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا
عليكم وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا
وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب
ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الل الشيء اذا حدده
او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل
ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان
حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز
جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم
ما يتفوهون بافواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف
عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا
عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل
بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء
ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافين وهذا خاص بالذين اشتروا
وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين
فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض
للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا
ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب
وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع
الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء
بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم
وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح
عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن
انهم لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي
اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست

وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم
وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد
وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم
ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة
ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في
دار الندوة على ما ذكر في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا
عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة
لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا
عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى
الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم
الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم
واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا
قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله عليه السلام فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله
بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان
على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم
الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال
وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد به نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث
ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم
اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير
بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله

ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع
ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم
بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم
ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس
عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها
من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم
الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة
والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عم
قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان
بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله
واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية
عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم
وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم
ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله
واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر
فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن
او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج
وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين
واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم
تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية

دعمرة

والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا
اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر
دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم
اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا
وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عسم
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ
من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ عشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه عنز
فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل
فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم
وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي
مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر
الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه
ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف
حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة
الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا
اربعة الاف فلما التقوا قال النبي عليه السلام او ابو بكر او غيره من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين
اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم
في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح
بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا
عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال

هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفاً من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلم تغن عنكم أي الكثرة شيئاً من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض
بما رحبت برحبها أي بسعتها لا تجدون فيها مقراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة
الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه
على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وأنزل جنوداً لم تروها
بأعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الأقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك جزاء الكافرين أي ما فعل بهم جزاء كفرهم
في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للإسلام والله غفور رحيم
يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناساً منهم جاؤوا إلى رسول الله عليه السلام وأسلموا
وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا
وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام
اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل شيئاً فقام رسول الله
فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا
بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا
وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال
إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس
أو لأنهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهي ملابسة لهم غالباً وفيه دليل
على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب
وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعاً لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وإنما نهي عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم
وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله
وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار
مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وإن خفتم عيلة فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم
من المكاسب والمنافع والأرزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو تفضله
بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدراراً ووفق أهل تبالة
وجرش فأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس
من أقطار الأرض وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال إن شاء قيده

بالمشيئة

---

لينقطع الآمال إلى الله وليتنبه على أنه متفضل في ذلك وأن الغنى الموعود يكون
لبعض دون بعض وفي عام دون عام إن الله عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي
كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى
أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقاداً وعملاً ولا يدينون دين الحق الثابت
الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان
للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى
دينه إذا قضاه عن يد حال من الضمير أي عن يد مواتية بمعنى منقادين
أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه
أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين
أذلاء ومن الجزية بمعنى نقداً مسلمة عن يد إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم
بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون أذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنه تؤخذ
الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب
ويؤيده أن عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه أنه عليه السلام أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم
سنة أهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما
سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبي حنيفة تؤخذ منهم إلا مشركي
العرب لما روى الزهري أنه عليه السلام صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب وعند مالك
تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير
وقال أبو حنيفة رحمه الله على الغني ثمانية وأربعون درهماً وعلى المتوسط نصفها
وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله
إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق
فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله تعالى
بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً فتعجبوا من ذلك فقالوا ما هو
إلا لأنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم
فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين
على أنه عربي مخبر عنه بابن غير الموصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما
لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيهاً للنون بحروف اللين
أو لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي
إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو أيضاً

فيه

[illegible]

[illegible]

قاله بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء
الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها ذلك قولهم بأفواههم
إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد
عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه
في الأعيان يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهي قولهم قول الذين كفروا
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه من قبل أي من قبلهم والمراد
قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله
أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه
وقد قرأ عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في
أنها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك
أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله بأن أطاعوهم في تحريم
ما أحل الله أو تحليل ما حرم أو بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بأن جعلوه
ابنا لله وما أمروا أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون كالدليل
على بطلان الاتخاذ إلا ليعبدوا ليطيعوا إلها واحدا وهو الله وأما
طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله سبحانه
لا إله إلا هو صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن أن يكون له شريك يريدون أن يطفئوا يخمدوا نور الله حجته
الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد عليه السلام
بأفواههم بشركهم أو تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى إلا أن يتم نوره بإعلاء التوحيد
وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب
بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وإنما صح
الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف
الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولذلك كرر ولو كره
المشركون غير أنه وضع المشركون موضع الكافرين للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول
إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام في الدين للجنس أي على
سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار
والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الأحكام سمي أخذ المال
أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم

بالحرص

بالحرص على المال والضن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه
أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن الله لم يفرض الزكوة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه السلام
ما أدي زكوته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم
الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله عليه السلام من ترك صفراء أو بيضاء
كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام فيما أورده
الشيخان مرويا عن أبي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها
في نار جهنم أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل
الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها
على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور
شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف
وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز
أو الأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم
الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه
ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي
مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على إرادة القول لأنفسكم
لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون إن عدة الشهور
أي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لأنها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله
في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات
والأرض متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى
أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة منها
أربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القيم دين إبراهيم وإسماعيل
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها

والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء لا يحل
للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي
انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع
مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم
بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر فانهم كانوا اذا جاء
شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص
الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسي والنساء وثلاثتها مصادر
نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر
آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي
وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله يحلونه
عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه
عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني
كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير
للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة
واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة
العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي
القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثاقلتم الى الارض تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم
على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل
فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف
في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة
الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا
فما التمتع بها في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما
استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور
عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن
وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه

الغنى

الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة
والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب
والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه
فينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد
فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله
له حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة
لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون
على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور
وثور جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل
ثان لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة
والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي عليه السلام
او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين
فيكون الجملة معطوفة على نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك
او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل
ذلك بتخليص الرسول عليه السلام عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده
اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله
بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله
عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط
الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه
لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح
او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عليه السلام اعلي ان انفر
قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير
او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك

لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو
تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابى
القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم
بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس
فى الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين
الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم
بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم فى القعود
حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك
الذين صدقوا فى الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص
منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك فى التخلف عنه
او ان يستاذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر فى الموضعين للاشعار
بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد
الامر الذى وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن
تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل
وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج فى قلوبهم او
وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم
والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم
خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه
الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون
مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة

الريب والشك والنفاق

منعهم عن الخروج

والتخذيل

---

والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم
ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم
بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق
اصحابك من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا
مع الرسول عليه السلام الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد
وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الاراء فى ابطال امرك
حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون
اى على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم
الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة
اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه السلام بالمبادرة الى الاذن
ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة
اى فى العصيان والمخالفة بان لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة
متخلف اذنت له او لم تاذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال
قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك
بمالى فاتركنى الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها
وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة
بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم
ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم
وان تصبك فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا
قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا اراءهم فى التخلف
ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون
مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
وايجابه من النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم
ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو
لقولهم صاب السهم يصوب هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا
تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين
كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى
السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا

او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
امر في معنى الخبر اي لن تتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة
في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا
هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين
ان لا يوخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل
الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي
ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون
لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عذابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب
وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك استدراجا واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة
المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجؤون اليه او مغارات
غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا
من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومندخلا من اندخل
واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء
كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا ابن كثير
يلامزك وقرا يعقوب يلمزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا
وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا
ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل
في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله
فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية
ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة
وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعل الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله
كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا
اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط

والجواب

والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا
لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوة لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم
والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره
والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى
اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر
وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم
او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستالفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم
من خمس الخمس الذي خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار
ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر
اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها
على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى
الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب
وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين والمديونين لانفسهم في غير معصية
اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها
بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني
او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع
الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات
فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله
عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية
بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم
من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره
بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم
لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له
ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس

عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل وروي انهم قالوا محمد
اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن
ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله
يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم
من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان
الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا
يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم
وترحما عليكم وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها
علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرا نافع واذن بالتخفيف فيهما
وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا
ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه
والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ
بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا
فيها على ان خبره محذوف اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا
على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر
ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل
على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر
في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج
مبرز او مظهر ما تحذرون ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون
اظهاره من مساويكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين
مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل
يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله نبيه فدعاهم
فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا
في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم
ولا يعبا باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة

---

نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء
والاستهزاء

الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم
منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون
بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا
طاعته فنسيهم فتركهم عن لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل
على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
فالمراد به ما وعدوه وما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم
مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه ما قدر
لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة
والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم
وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي
خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا
الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض
واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار
يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار
عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات يعني الكل
فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
ويطيعون الله ورسوله في سائر الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة فإن السين
مؤكدة للوقوع إن الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الأشياء
مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث إنها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر في جنات عدن إقامة وخلود وعنه عم
عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها
يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو إلى تغاير وصفه
وكأنه وصفه أولاً من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول
ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي
لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثم وصفه بأنه دار
إقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك
فقال ورضوان من الله أكبر لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول
والفوز باللقاء وعنه عليه السلام إن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم
أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك فقال أحل عليكم رضواني فلا أسخط
عليكم أبداً ذلك أي الرضوان أو جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه
الدنيا وما فيها يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بإلزام الحجة
وإقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير
مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي أنه عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسن توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر
بعد إظهار الإسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو أن خمسة عشر منهم
توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة
بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها
فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فالتفت
فإذا قوم متلثمون فقال إليكم يا أعداء الله فهربوا أو [illegible] أو إخراج المؤمنين
من المدينة أو بأن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما نقموا

وما نقموا وما أنكروا أو وما وجدوا ما يورث نقمتهم إلا أن أغناهم الله ورسوله
من فضله فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم الرسول
أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر
ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن أعم المفاعيل فإن يتوبوا يك
خيراً لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وإن يتولوا
بالإصرار على النفاق يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى
رسول الله عليه السلام وقال ادع الله أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق
لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي
فيه الفرائض فقال ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل التراب
يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله عليه السلام
فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك
في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا عن طاعة الله
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الإعراض عنها فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم أي فجعل
عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى
فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم إلى يوم يلقونه يلقون الله بالموت
أو يلقون عملهم أي جزاءه وهو يوم القيمة بما أخلفوا الله ما وعدوه بسبب إخلافهم
ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه
فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقاً وقرئ
يكذبون بالتشديد ألم يعلموا أي المنافقين أو من عاهد الله وقرئ بالتاء
على الالتفات أن الله يعلم سرهم ما أسروه في أنفسهم من النفاق والعزم
على الإخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكوة
جزية وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع
أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
من المؤمنين في الصدقات روي أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف

باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك
فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه
عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق
تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم
الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم
الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم
ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال
لازيدن على سبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل
فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير
دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها
في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد وكانه العدد باسره
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم
قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر
والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على عذر الرسول عليه السلام في استغفاره وهو عدم ياسه من ايمانهم
ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي
اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال

وكرهوا

وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض
على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال
والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم
اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم
في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز
ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم
فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين
يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي انكم رضيتم بالقعود
اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم
واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين
لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين
ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله عليه السلام
في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل
صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة لان الضنة
بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه
حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع
في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء
الكافر للتعذيب دون التمتيع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره
للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي
او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به
فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون
ناظرة
هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا
بالله ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول
منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر
رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي

لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من الشهادة
ما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من خير منهم وأولئك لهم الخيرات
منافع الدارين النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله
فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة وأولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطالب أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
بيان لما لهم من الخيرات الأخروية وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم يعني
أسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت طيء على أهالينا ومواشينا والمعذر
إما من عذّر في الأمر إذا قصر فيه موهما أن له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد
العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للإتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من أعذر إذا اجتهد في العذر
وقرئ المعّذّرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء
لا تدغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الإيمان وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم
من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم
بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج إثم في التأخر
إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي
الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح
ما على المحسنين من سبيل أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين
في ذلك والله غفور رحيم لهم أو للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل
ابن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
ابن مغفل وعلية بن زيد أتوا رسول الله عليه السلام فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا أجد فتولوا وهم
يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه
قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد تولوا جواب إذا
وأعينهم تفيض من الدمع أي تسيل دمعا فإن من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب

[illegible]

على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا
حزنا نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ما قبله ألا يجدوا أي لئلا
يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض ما ينفقون في مغزاهم إنما السبيل بالمعاتبة
على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واجدون للأهبة رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو
رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إيثارا للدعة وطبع الله
على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون
إليكم في التخلف إذا رجعتم إليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير
الكاذبة لأنه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لأنه قد نبأنا الله من أخباركم أعلمنا
بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله
عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وإمهال
للتوبة ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي إليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم
إليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم إنهم رجس
لا ينفع فيهم التأنيب فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء
أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الإعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم
من تمام التعليل وكأنه قال إنهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم
التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا
عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون علة يحلفون
لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم
فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله
ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وإن أمكنهم أن يلبسوا
عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم
والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض
وعدم الالتفات نحوهم الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر
لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة
وأجدر ألا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من الشرائع
فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به
مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الأعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه
في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو
عليه

الرهبة الزاكية
الرغبة [illegible]
[illegible]

وإنما ينفق رياء أو تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب
عليكم فيتخلص من الإنفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون
الأخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الأصل مصدر واسم فاعل من دار
يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة كقولك رجل
صدق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والسوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع بما يقولون
عند الإنفاق عليم بما يضمرون ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لأنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر ولذلك سن للمصدق أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له
أن يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصبه فله
أن يتفضل به على غيره ألا إنها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق
لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ
ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بإحاطة الرحمة عليهم
والسين لتحقيقه وقوله إن الله غفور رحيم لتقريره وقيل الأولى في أسد وغطفان
وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الأولون
من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا
قبل الهجرة والأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل العقبة
الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير
وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم بإحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية
وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع
خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الأعراب
منافقون وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة
عطف على ممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف
وإقامة الصفة مقامه قوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الأول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق
لا تعلمهم لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم
إلى حد أخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع
على أسرارهم إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان

ثم يردون إلى عذاب عظيم إلى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغهم
ما نزل بالمتخلفين فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد على عادته فصلى
ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال
وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر
سيء هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو إما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة
شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله أن يتوب عليهم
أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم إن الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من أموالهم صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله
هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم
شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره
بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل
المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إن صلواتك سكن لهم
تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا الضمير إما للمتوب
عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد
التحضيض عليها أن الله هو يقبل التوبة عن عباده إذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وأن الله هو
التواب الرحيم وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ورسوله والمؤمنون
فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله في شأنهم إما يعذبهم إن أصروا
على النفاق وإما يتوب عليهم إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلاهما
بإرادة الله تعالى والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله عليه السلام
أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا
أمرهم إلى الله تعالى فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون
أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع

وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف
فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه
واتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة
والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم
فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه
كناسة تلقى فيها الجيف وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله
ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عليه السلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام
ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله عليه السلام ومات بقنسرين وحيدا
وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق
بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني
قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح
سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى
وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا
اسسه رسول الله وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق
للقصة او مسجد رسول الله عليه السلام لقول ابي سعيد سالت رسول الله عليه السلام
عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان
والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي
فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال عليه السلام امؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال لهم
اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس
ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء
وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء

ا رسد

الرخا النعمة

فتلا

فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة
ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها
فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار
وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار
ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار
ويوصله الى رضوان الغفار ومقتضيات الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم
بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا
نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة
واس بالفتح واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الفه
للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله
لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا
بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء
ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم
هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل
التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع
قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول
والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل
انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون بيان
لما لاجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني
للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل
وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فانه في معنى الوعد في التورية
والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله
مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم

التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله
وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم
الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين
العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم
من البأساء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم
شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم
الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة
كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه
من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان
بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر
معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين
بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك
وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة
احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي
وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب
توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم
اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب
ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان
فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه
قطع استغفاره ان ابراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه
حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم

للاسلام

للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر
الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه
في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل
على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له
ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك
وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي امره
والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤوا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار من اذنه للمنافقين في التخلف او برأهم
من علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي
والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا
وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه
في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد ومن الزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة ومن الماء
حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الحق
او اتباع الرسول عليه السلام وفي كاد ضمير الشأن او ضمير القوم والجملة بعده
خبره وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد
وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم
لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب الله على الثلثة كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم
فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض
الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط
الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله
من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة
مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه

وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين
اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه
بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم
عما يصون نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة
بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد
وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به
رسول الله عليه السلام واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك
اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم
بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله
ولا يطؤون موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون
من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به
الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم
وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فانه سعي في تكميلهم
باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة
الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج
ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم
ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء
اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا
في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس
والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به
على ان الاخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية

[illegible]

طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر
لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل
للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا
عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود
من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود
حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح
الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا
ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته
هذه ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها
الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما
الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون
يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام
مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل
يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد
لم يقوموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو
يحتمل الاخبار والدعاء بانهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد
جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ حريص عليكم اي على ايمانكم
وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما
وهو الرؤوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك
فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه توكلت

[illegible]

فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي يتنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزلها تان الآيتان وعن النبي عليه السلام ما انزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

## سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء الالف مجرى المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله

او

اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه

يحملهم على التفكر والتدبر إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لإنكارهم للبعث
وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم
عنها واطمأنوا بها وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا
سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما
يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين
الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم
أصلاً وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم ير إلا الحيوة
الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له
أولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم بسبب إيمانهم إلى سلوك
سبيل يؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن
سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على
استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الأنهار
استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله في جنات
النعيم خبر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي دعواهم فيها
أي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم إنا نسبحك تسبيحاً وتحيتهم ما يحيي به بعضهم
بعضاً أو تحية الملائكة إياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين
أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز
بأصناف الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة
من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه إليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير
حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم فأمطر علينا حجارة
من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالهم
بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا
وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية
كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً
وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصاً فيه لجنبه ملقياً لجنبه أو قاعداً
أو قائماً وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار

فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع
كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن
ثدياه حقان إلى ضر مسه إلى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون
من قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على
ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو في ظلموا
بإضمار قد أو عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد
استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي
كذلك مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول وإصرارهم
عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي
كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون
التي أهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيراً أو شراً
فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه
ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها
لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب
آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت
أو ما نكرهه من معايب آلهتنا أو بدله بأن تجعل مكان الآية المشتملة
على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه قل ما يكون لي
ما يصح لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفاً
وإنما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر
إن أتبع إلا ما يوحى إلي تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه
بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا
السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه
عصياناً فقال إني أخاف إن عصيت ربي أي بالتبديل عذاب يوم عظيم
وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك
ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم
بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه الحق
الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم
فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع

بتلاوته خصماء تتذرعون في الجدال واكبعوا ان الامر بمشية الله لا بمشيتي حتى اجعله
على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة
من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة
فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ
قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بهرت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلى كل منثور
ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
تفاديا مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه
لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا
ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن
بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة
الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم
انه ربما يشفع لهم عند الله قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا
وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلم العالم بجميع المعلومات
لا يكون لتحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة
للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات
فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي النحل والروم بالتاء
وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة
الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم
بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء
لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون
لولا انزل عليه آية من ربه اي آية من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله
هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها
فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل
علي من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد

مستهم

---

مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها
قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا
يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر
عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج
او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه
على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى
وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير
ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم
بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم
وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا
والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديد
الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم
اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين
له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو
بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول
فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاوا الفساد
فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب
المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء
جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه
على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع
الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد اي
تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال
او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها
وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام

من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله هو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع اهله فيه وظن انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه فانه من المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التنقص والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشيها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او كأنما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر

سيئة

بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ان الله ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فتقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك

لها

[illegible]

السمع والابصار أمن يستطيع خلقهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة
انفعالهما من أدنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت
أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر
العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله إذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل أفلا تتقون أنفسكم عقابه بإشراككم إياه
ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق أي المتولي لهذه الأمور المستحق
للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر
أموركم فماذا بعد الحق إلا الضلال استفهام إنكار أي ليس بعد الحق إلا الضلال
فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال
كذلك حقت كلمة ربك أي كما حقت الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال أو
أنهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا
عن حد الاستصلاح أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة
بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها
لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها ولذلك أمر الرسول عليه السلام بأن ينوب عنهم
في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لأن لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا بها فأنى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بإلى لتضمن معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة
على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما أسند
إلى الله قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى أم الذي
لا يهتدي إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه إذا اهتدى أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله
وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر
يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والأصل
يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر
يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
لأن المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ إلا أن يهدى للمبالغة فما لكم كيف
تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع أكثرهم فيما يعتقدونه إلا ظنا مستندا
إلى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق
بأدنى مشاركة موهومة والمراد بالأكثر الجميع أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر ولا يرضى
بالتقليد الصرف إن الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الإغناء
ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول
واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز إن الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن

واعراضهم

واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن
تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها
ولا يكون كذبا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بأنه خبر
لكان مقدرا أو علة لفعل محذوف تقديره لكن أنزله الله تصديق الذي وقرئ
بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق وأثبت
من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل
في حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فإنه مفعول في المعنى
وأن يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق
بتصديق أو بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل بهما ويجوز أن يكون حالا
من الكتاب أو الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه والبرهان عليه أم يقولون بل أيقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للإنكار
قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء
فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به من دون الله سوى الله فإنه
وحده قادر على ذلك إن كنتم صادقين أنه افتراه بل كذبوا بل سارعوا
إلى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته
ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء
وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ
أذهانهم معانيه أو ولما يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى
يتبين لهم أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى
ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع
في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم
في معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا
لإخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين
من قبلهم أنبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب
من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق
ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه
لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك أعلم
بالمفسدين بالمعاندين أو بالمصرين وإن كذبوك وإن أصروا على تكذيبك
بعد إلزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لي
جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون

[illegible]

لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل إنه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن
وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع أصلا أفأنت تسمع
الصم تقدر على إسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم
وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك
لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم
لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد تعذر
إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع
البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر إليك يعاينون دلائل نبوتك
ولكن لا يصدقون أفأنت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون
وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الأعمى المستبصر
ويتفطن لما لا يدركه البصير الأحمق والآية كالتعليل للأمر بالتبري والإعراض
عنهم إن الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس
أنفسهم يظلمون بإفسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد
كسبا وأنه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز أن يكون
وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله
لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا
إلا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول
ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث
إلا ساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله
أو لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وهذا أول ما نشروا من القبور ثم
ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخرى مقدرة أو بيان
لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه
ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون على إرادة القول وما كانوا مهتدين
لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا
بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم وإما نرينك بعض
الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر أو نتوفينك
قبل أن نريك فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب

آتا من المعونة

نرينك

نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة
وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته
على أفعالهم يوم القيامة ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبعث إليهم ليدعوهم
إلى الحق فإذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول
ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون وهم لا يظلمون
وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضي بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار
لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا
واستهزاء إن كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا أملك لنفسي
ضرا ولا نفعا فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب إليكم إلا ما شاء الله
أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم
إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون
فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه الذي
تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم أو نهارا حين كنتم مشتغلين
بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون أي شيء من العذاب يستعجلونه
وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لأنه بمعنى أخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء
الوعيد لا أن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
أو تعرفوا الخطأ فيه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك إن أتيتك ماذا تعطيني
وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به بمعنى إن أتاكم
عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان وماذا يستعجل اعتراض
ودخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخير آلآن على إرادة القول
أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف
الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام
هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك
أحق هو أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به
قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله
ويستنبئونك وقيل إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فإن فيه تعريضا
بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة
في موضع النصب بيستنبئونك قل إي وربي إنه لحق إن العذاب لكائن أو ما ادعيته

لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك
يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله ولا يقال إي وحده وما أنتم بمعجزين
بفائتين العذاب ولو أن لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير ما في الأرض
من خزائنها وأموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه
بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه
من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها
لأن إخفاءها إخلاصها أو لأنه يقال سر الشيء لخالصته من حيث إنها تخفى
ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم
والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين
والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ألا إن لله ما في السموات والأرض
تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب ألا إن وعد الله حق ما وعده من الثواب
والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن أكثرهم لا يعلمون لأنهم لا يعلمون لقصور عقلهم
إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى
لأن القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت
قابلة لهما أبدا وإليه ترجعون بالموت والنشور يا أيها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين أي
قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها
المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء
لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة
للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها
للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بإنزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره
قوله فبذلك فليفرحوا فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد
والبيان بعد الإجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل
دل عليه قد جاءتكم وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى
الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة
على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد
كقوله وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء
على الأصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده أنه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون

من

من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى
فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون قل أرأيتم ما أنزل
الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها وما في موضع
النصب بأنزل أو بأرأيتم فإنه بمعنى أخبروني ولكم دل على أن المراد منه ما حل ولذلك
وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه أنعام وحرث حجر وما
في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قل آلله أذن لكم
في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أم على الله تفترون في نسبة ذلك
إليه ويجوز أن يكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وأن يكون
الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب أي شيء ظنهم يوم القيامة أيحسبون أن لا يجازوا
عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضي لأنه كائن وفي إبهام
الوعيد تهديد عظيم إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل وهدا
هم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون
في شأن ولا تكون في أمر وأصله الهمزة من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير
في وما تتلو منه له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أو لأن القراءة تكون
لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو من قرآن على أن من تبعيضية
أو مزيدة لتأكيد النفي أو للقرآن وإضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أو لله
ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص
ما فيه فخامة وذكر حيث عمم ما يتناول الجليل والحقير إلا كنا عليكم شهودا رقباء
مطلعين عليه إذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ من مثقال
ذرة موازن نملة صغيرة أو هباء في الأرض ولا في السماء أي في الوجود والإمكان
فإن العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الأرض
لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها ولا أصغر
من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية وأصغر
اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار
جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ألا إن أولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا

ونحوه مما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي
الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم ومحل
الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء
وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده
ذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي
قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده
كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع
يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى إن العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه
القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره
شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لأقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم
عليها ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض من الملائكة والثقلين
وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء أي شركاء مفعول يدعون ومفعول
يتبع محذوف دل عليه إن يتبعون إلا الظن أي ما يتبعون يقينا وإنما
يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع
أو موصولة معطوفة على من وقرئ يدعون بالتاء والمعنى أي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون
غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
ومنشأ رأيهم وإن هم إلا يخرصون يكذبون فيما ينسبون إلى الله أو يحزرون
ويقدرون أنها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم
على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة
بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا أي تبناه سبحانه تنزيه له
عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء
هو الغني علة لتنزيهه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات
وما في الأرض تقرير لغناه إن عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما أقامه
من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان

أو نعت

أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل إن عندكم هذا سلطان أتقولون على الله
ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها
غير سائغ قل إن الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد وإضافة الشريك
إليه لا يفلحون أي لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا
خبر مبتدأ محذوف أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
أو حياتهم أو تقلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا
ثم إلينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه إذ قال
لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت
لمكان فلان أو كوني وإقامتي بينكم مدة أو قيامي على الدعوة وتذكيري
إياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فأجمعوا أمركم فاعزموا عليه
وشركاءكم أي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل إنه معطوف على أمركم
بحذف المضاف أي وأمر شركائكم وقيل إنه منصوب بفعل محذوف تقديره
وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم
بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم
ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة مستورا
واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه إذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم
غما إذا أهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا أدوا
إلي ذلك الذي تريدون بي وقرئ ثم أفضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا
من أفضى إذا خرج إلى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فإن توليتم أعرضتم عن تذكيري
فما سألتكم من أجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله أو يفوتني
لتوليكم إن أجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير إلا على الله لا تعلق له بكم
يثيبني به آمنتم أو توليتم وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالف
أمره ولا أرجو غيره فكذبوه فأصروا على تكذيبه بعدما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم
ليس إلا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به وأغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم
وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم

كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل
اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل
على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك
تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه
بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين
ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح بين اخواته قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم
بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوا اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل
ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم
ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح
الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض
الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر على الناس باستتباعهم
وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر قرأ
حمزة والكسائي سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو
آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر
بدل او خبر مبتدا تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف اي السحر هو ويجوز
ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله
سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما امن
لموسى في مبدا امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل

دعاهم

---

دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون
والذرية طائفة من شبانهم امنوا به او مؤمن ال فرعون وامرأته اسية
وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف
منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد
بفرعون اله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم
فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف
من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه
لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له
وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك
زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك
اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب
دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك بيوتكم
قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى عليه السلام
يصلي فيها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم
الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا
والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما
يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة
مما ينبغي ان يفعله كل واحد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة
صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة
ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا
من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة
باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا
فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرهم

بعد ما علم ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم
واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى
يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا
وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان
يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا
فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهول في الاستعجال او عدم الوثوق
والاطمينان بوعد الله وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعانِ بالنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تَتْبعان من تبع ولا تتبعانّ ايضا
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين
لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم
فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ وعُدُوًّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه
اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة
والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا
لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن اتؤمن
الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك
مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك
بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا
عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع
من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه
او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة
وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك
حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم
من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة
ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك
آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه
لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه

وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤوا التورية
وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل
بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض
والتقدير فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم
على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القرآن مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه
او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام
لا اشك ولا اسال وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته يعني ان من خالجته
شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك
واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه
من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب
التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي
لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم
كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله
منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس عليه السلام لما آمنوا اول
ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء
متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين
الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه
فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس عليه السلام فلم يجدوه فايقنوا
بصدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة

واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء
يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا
مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم
اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر
افانت تكره الناس ما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة
بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة
على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث
والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به
فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله
ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل
بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات
او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا
تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته
وما في ماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر
عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله
بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم
من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين
خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية
كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا
وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر
وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف
وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه
وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم وانما خص
التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل
ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون

لان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما
يتضمن معنى المصدر لدلالته عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة والاستداد في الدين باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح او في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين
او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر
وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد
فلا دافع لفضله الذي اراد بك ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا
لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال
الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير
ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل
اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن
الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

## سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب
خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة
اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آياتها وليس
فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم
بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية
ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها
سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت

في الحكم أو للتراخي في الأخبار من لدن حكيم خبير صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر
أو صلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لإحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر أمره وما خفي ألا تعبدوا إلا الله لأن لا تعبدوا وقيل أن مفسرة
لأن في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ للإغراء
على التوحيد أو الأمر بالتبري عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله
بمعنى الزموه أو اتركوه تركاً إنني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب
على الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم عطف على ألا تعبدوا
ثم توبوا إليه ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة فإن المعرض عن طريق الحق
لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة
ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين يمتعكم متاعاً حسناً يعيشكم
في أمن ودعة إلى أجل مسمى هو آخر أعماركم المقدرة أو لا يهلككم بعذاب
الاستئصال والأرزاق والآجال وإن كانت متعلقة بالأعمال لكنها
مسماة بالإضافة إلى كل أحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب
بخير الدارين وإن تولوا وإن تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة
وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وإن تولوا
من ولي إلى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو
على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم أشد عذاب وكأنه تقرير لكبر اليوم ألا إنهم
يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها على الكفر
وعداوة النبي عليه السلام أو يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء من اثنوني
وهو بناء المبالغة وتثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو الكلأ
الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنأن
كابياض وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه
قيل إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا إذا أرخينا ستورنا واستغشينا
ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين
وفيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم
ألا حين يأوون إلى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
إنه عليم بذات الصدور بالأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه
تفضلاً ورحمة وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل فيه

ويعلم

ويعلم مستقرها ومستودعها أماكنها في الحياة والممات أو الأصلاب والأرحام
أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين
كانت بعد بالقوة كل واحد من الدواب في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ
وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادراً
على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو
الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام أي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه
في الأعراف أو ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الأرض لاختلاف
العلويات بالأصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل
خلقهما لم يكن حائل بينهما لا أنه موضوعاً على متن الماء واستدل به على إمكان
الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وقيل
كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك ليبلوكم أيكم أحسن عملاً متعلق
بخلق أي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم
كيف تعملون فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج
إليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون وتستنبطون منها وإنما جاز
تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث إنه طريق إليه كالنظر
والاستماع وإنما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق
المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دائماً في مراتب العلم والعمل فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبي عليه السلام أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله
وأسرع في طاعة الله والمعنى أيكم أكمل علماً وعملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي ما البعث
أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في الخديعة والبطلان
وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الإشارة إلى القائل وقرئ أنكم
على تضمين قلت معنى ذكرت ويكون أن بمعنى علّ أي ولئن قلت لعلكم مبعوثون
بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بعدده من قبيل ما لا حقيقة له لمبالغة في إنكاره
ولئن أخرنا عنهم العذاب الموعود إلى أمة معدودة إلى جماعة من الأوقات
قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم
كيوم بدر ليس مصروفاً عنهم ليس العذاب مدفوعاً عنهم ويوم منصوب بخبر
ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم وأحاط بهم
وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً أو مبالغة في التهديد ما كانوا به
يستهزئون أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون

لأن استعجالهم كان استهزاء ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ولئن أعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة إنه ليؤوس قطوع رجاءه
من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته
كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن
ذهب السيئات عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح بطر بالنعم مغتر بها
فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الإذاقة والمس
تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج
لما يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك
الطعم والمس مبدأ الوصول إلا الذين صبروا على الضراء إيمانا بالله واستسلاما
لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها أولئك لهم مغفرة
لذنوبهم وأجر كبير أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس
فإذا كان محلى بما تقدم أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل
الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك تترك تبليغ بعض ما يوحى
إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من
توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ هاهنا وضائق به صدرك وعارض لك
أحيانا ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ينفقه
في الاستتباع كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره
أن يقولوا إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك ولا عليك
ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه
فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم أم يقولون افتراه أم منقطعة
والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم أولا
بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار
كل واحد مفتريات مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي
فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص
والأشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله إلى المعاونة
على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم فأتوا بما دعوتم إليه
وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول أو لأن المؤمنين أيضا كانوا يتحدونهم وكان
أمر الرسول متناولا لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل وللتنبيه
على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا إنما أنزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه

كفعه ما نفعه كفراني ما سلف من نعمته

وأن

---

وأن لا إله إلا هو واعلموا أن لا إله إلا الله لأنه العالم القادر بما لا يعلم
ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت
صدقه بإعجازه عليه وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من الله آلهتهم
فهل أنتم مسلمون ثابتون على الإسلام راسخون مخلصون فيه إذا تحقق
عندكم إعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير
في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة
لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم
لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق
فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا
الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها بإحسانه وبره
نوف إليهم أعمالهم فيها نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة
والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف
على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله
وإن أتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها
لا يبخسون لا ينقصون شيئا من أجورهم والآية في أهل الرياء وقيل
في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم أولئك الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور
أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة
في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا على
أن الضمير للدنيا وباطل ما كانوا يعملون في نفسه لأنه لم يعمل على ما ينبغي
وكأن كل واحد من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على أنه مفعول
يعملون وما إبهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور
كلام وبطل على الفعل أفمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق
والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء
المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي
أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عليه السلام وقيل مؤمنو
أهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد
شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى

يعني التوراة فإنها أيضاً تتلوه في التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل عليه السلام أو لسان الرسول عليه السلام على أن الضمير له أو من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه إما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب
موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفاً على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن
شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل
ويقرأ من قبل القرآن التوراة إماماً كتاباً مؤتماً به في الدين ورحمة على المنزل
عليهم لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين أولئك إشارة إلى من كان على بينة
يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد
أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً كأن
أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله أولئك يعرضون على ربهم في الموقف
بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم
وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله
على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون
عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجاً ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب
أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال أنهم كافرون
بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض
أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم
يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا
يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان
ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض أولئك الذين خسروا
أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهي الأرض
المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر
والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه

عن آيات

عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه
وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل منهما مشبهاً
باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن
بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآيب فهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلاً تمثيلاً أو صفة أو حالاً أفلا تذكرون بضرب الأمثال
والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم بأني لكم وقرأ نافع
وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير مبين أبين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم
أو مفعول مبين ويجوز أن يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير
إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به
العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين
كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل
فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر أو أرذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق
من البدو أو أول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ
أبو عمرو بالهمزة وبالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه
اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا
كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين إياك
في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة أو النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم
وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة
أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة
والكسائي وحفص فعميت أي أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها
على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع
ضميران وليس أحدهما مرفوعاً وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالاً جعلاً
إن أجري إلا على الله فإنه المأمول منه وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين
سألوا طردهم إنهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده أو أنهم يلاقونه ويفوزون

بقريب فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم
او في التماس طردهم او تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني
من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي
خزائن الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي
خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم
ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه
على اقول ولا اقول لكم اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول
للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله
خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في
انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال
من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين
للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية في غير روية وبما عاينوا
من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا
يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا
بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي
ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل
على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم
والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون
افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن
من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قطع الله طمعه عن ايمانهم
ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا
باعيننا عبر بكثرة الة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ
عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها

ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب
عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله
السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل
المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم
وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل عليه او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه
عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك
وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بها بعدها الكلام وفار
التنور نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدا منه النبوع
على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة
وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل
نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون
اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين من كل صنف ذكر وصنف انثى
واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق
عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامراة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها
ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاث بطون
فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال
اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض
بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما فيه
حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر
اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي جملة
مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وحفص

رسا وقف

مجراها بالفتح من جرى وقرئ أيضاً مرسيها من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة مجريها
ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم
ورحمته إياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين
وهي تجري بهم وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء
عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء
طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور
أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى
نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه
وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمت من ذلك
والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل من عزله
عنه إذا أبعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء
ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها في لقمان
في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه فتح
ههنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلفت الرواية عنه
في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما
ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء
أن يغرقني قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله أو
إلا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل
ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا
عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار
من المهلكين بالماء وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي نوديا بما ينادى
أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه
فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته
وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والإقلاع الإمساك وغيض الماء
نقص وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكفرة وإنجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل
روي أنه عليه السلام ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم
فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة وقيل بعداً للقوم الظالمين هلاكاً لهم
يقال بعد بعداً وبعداً إذا بعد بعداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص

بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة
على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا يذهب
الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار
ونادى نوح ربه وأراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب إن ابني من أهلي
فإن النداء وإن وعدك الحق وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه
الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون
هذا النداء قبل غرقه وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم وأعدلهم أو لأنك
أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال
يا نوح إنه ليس من أهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله
إنه عمل غير صالح فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل
ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى
إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً
بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه
وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل غير أي عمل عملاً غير صالح فلا تسألن
ما ليس لك به علم ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك وإنما سمى نداءه سؤالاً
لتضمن ذكر الموعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفساراً لمانع
الإنجاز في حقه وإنما سماه جهلاً وزجر عنه بقوله إني أعظك أن تكون
من الجاهلين لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال
وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه وقرأ
ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون
على أن أصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت
الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع إثباتها في الوصل
قال رب إني أعوذ بك أن أسألك في المستقبل ما ليس لي به علم
ما لا علم لي بصحته وإلا تغفر لي وترحمني ما فرط مني من السؤال
وترحمني بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالاً قيل يا نوح اهبط
بسلام منا انزل من السفينة مسلماً من المكاره من جهتنا أو مسلماً
عليك وبركات عليك ومباركاً عليك أو زائدات في نسلك حتى
يصير آدم ثانياً وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير
النامي وعلى أمم ممن معك وعلى أمم هم الذين معك سماهم أمماً لتحزبهم
أو لتشعب الأمم منهم أو على أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون

لقوله وأمم سنمتعهم أي وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب
أليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها
من أنباء الغيب أي بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك وحال
من الأنباء أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك أو حال من الهاء
في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على أنه
لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم
فاصبر على مشاق التبليغ وأذية القوم كما صبر نوح إن العاقبة في الدنيا
بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي وإلى عاد
أخاهم هودا عطف على قوله نوحا إلى قومه وهودا عطف بيان
قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره وقرئ بالجر حملا
على المحل إن أنتم إلا مفترون على الله باتخاذ الأوثان
شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي
فطرني خاطب به كل رسول قومه إزاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فإنها
لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع أفلا تعقلون أفلا تستعملون عقولكم
فتعرفوا المحق من المبطل والصواب عن الخطأ ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا إليه اطلبوا مغفرة الله بالإيمان ثم توسلوا إليها بالتوبة وأيضا التبري
عن الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم
مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة إلى قوتكم ويضاعف قوتكم وإنما رغبهم بكثرة المطر
وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم
القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود على الإيمان
والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا
عما أدعوكم إليه مجرمين مصرين على إجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
بحجة تدل على صدق دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين إقناط له من الإجابة
والتصديق إن نقول إلا اعتراك ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك
من عراه يعروه إذا أصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك إياها وصدك
عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول وإلا لغو
لأن الاستثناء مفرغ قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون

أصله مفترين

المدرار كثير السيلان

اقناط قطع امید

من دونه

---

من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله
على براءته من آلهتهم وفراغه عن إضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وأمرهم بأن يشهدوا
عليه استهانة بهم وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير إنظار حتى إذا اجتهدوا
فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم
شبهة لأن آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من إضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك
العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله وتثبطهم
عن إضراره ليس إلا بعصمته إياه ولذلك عقبه بقوله إني توكلت على الله
ربي وربكم تقريرا له والمعنى أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم
لن تضروني فإني متوكل على الله وواثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم
لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه
بقوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أي إلا وهو مالك لها قادر
عليها يصرفها على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك إن ربي
على صراط مستقيم أي إنه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم
ولا يفوته ظالم فإن تولوا فإن تتولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به
إليكم فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني
ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم فقد أديت ويستخلف
ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلككم ويستخلف
قوما آخرين في ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده
القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل وإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط
النون منه إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم
ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره
شيء ولما جاء أمرنا عذابنا أو أمرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا
معه برحمة منا وكانوا أربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير
لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج
من أدبارهم فتقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة
أيضا والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم
معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة
باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم
كفروا بها وعصوا رسله لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما

عصوا الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد
يعني كبرائهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى
عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر
وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت
اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم
جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم
بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل
عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم
وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته
تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم
منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها
من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم
على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم
ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها
مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب
مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك
من مخايل الرشد والسداد ان يكون لنا سيدا ومستشارا في الامور
وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا
عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان
مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي
من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة
فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته
والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي
غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض
لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب آية على الحال وعاملها
معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل

اي يهلكهم

في ارض

في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب
عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها
فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم في الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس
والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه
باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب
على المجاز وكان الواعد قال له افي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد
غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين
آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم وهو هلاكهم بالصيحة
او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف
البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك
هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره لك في سورة الاعراف
كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرا حفص وحمزة ان ثمود هنا
وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونه الكسائي بخفض
الدال في قوله الا بعدا لثمود ونونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع
القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة
وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل
بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا
على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم
سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم
وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به
او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف
وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله
بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم
واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها
ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار
قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا
ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته
قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال

الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم
اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال
وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها أن تحلما ومنه ضحكت
السمرة إذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق
يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام تقديره
ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب وقيل إنه معطوف على موضع بإسحق
أو على لفظ إسحق وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه
بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الظرف أي ويعقوب
مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد
وعلى هذا تكون إضافته إلى إسحق ليس من حيث إن يعقوب وراءه بل من حيث إنه وراء
إبراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل
وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة إليها للدلالة
على أن الولد المبشر به يكون منها ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد
قالت يا ويلتى يا عجبا وأصله في الشر فأطلق في كل أمر فظيع وقرئ بالياء
على الأصل أألد وأنا عجوز ابنة تسعين أو تسع وتسعين وهذا بعلي
زوجي وأصله القائم بالأمر شيخا ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه
على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف
أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل إن هذا لشيء عجيب
يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت
منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببديع ولا حقيق
بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات
وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا أيتها العصابة إنه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد
كثير الخير والإحسان فلما ذهب عن إبراهيم الروع ما أوجس من الخيفة
واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل
رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله إن فيها لوطا وهو جواب لما جاء به
مضارعا على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه
المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل
أخذ أو أقبل يجادلنا إن إبراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء إليه أواه كثير التأوه

عليه

من الذنوب

من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان
الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا إبراهيم على إرادة القول أي
قالت الملائكة يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر ربك قدره
بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم وإنهم آتيهم عذاب
غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم أناس
فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه إذا شده وجاءه
قومه يهرعون إليه يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة
من أضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم
هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار
فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه
أو إظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات
نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود
وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم هن أطهر لكم أنظف فعلا أو أقل فحشا كقولك
الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على أن هن خبر بناتي
كقولك هذا أخي هو لا فصل فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله
بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلون
من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه أليس
منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق من حاجة وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران قال لو أن لي
بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم أو آوي إلى ركن شديد إلى قوي أتمنع به عنكم
شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي عليه السلام رحم الله أخي لوطا كان يأوي
إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي قوة أو أويا
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ
يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا
فهون عليك ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه

فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة فأسر
بأهلك بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن
من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم أحد ولا يتخلف أو لا ينظر
إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط إلا امرأتك استثناء
من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل
إلا امرأتك وهذا إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر
إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل
من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر
فقتلها لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والأولى
جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه
إلا قليل ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك
أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله إنه مصيبها ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع إن موعدهم الصبح كأنه علة الأمر بالإسراء أليس
الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء أمرنا
عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا
عاليها سافلها فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون به
فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيما للأمر فإنه روي أن جبريل عليه السلام
أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب
وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها على المدن أو على شذاذها حجارة
من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنككل فعرب وقيل إنه من أسجله
إذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الإدرار أو من
السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت
نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم أو نضد في الإرسال بتتابع بعضه
بعضا كقطار الأمطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به مسومة معلمة للعذاب
وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى به
عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك
ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى

ومنها

من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر
أو المكان وإلى مدين أخاهم شعيبا أراد أولاد مدين بن إبراهيم أو أهل مدين
وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان أمرهم بالتوحيد أولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض إني أراكم بخير بسعة تغنيكم
عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا بالنقص
حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة النهي وإني أخاف
عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله
وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم
بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم أوفوا المكيال والميزان
صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على أنه لا يكفيهم
الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى
دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فإن الازدياد
إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس
أشياءهم تعميم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله
ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد
وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة
وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله
الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر دينكم ومصالح
آخرتكم بقية الله ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم
مما تجمعون بالتطفيف إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها
باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان أو إن كنتم مصدقين
لي في قولي وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية
بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ أحفظكم عن القبائح
أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت
حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا
يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام أجابوا به
أمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والإشعار بأن مثله
لا يدعو إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي
وحفص على الإفراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف

لأن الرجل لا ينهى بفعل غيره أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء عطف على ما أي وأن
نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو
جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم
والدنانير فأرادوا به ذلك إنك لأنت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا
وصفه بضد ذلك أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم
بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك قال يا قوم أرأيتم
إن كنت على بينة من ربي إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني
منه رزقا حسنا إشارة إلى المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي
مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخونه في وحيه
وأخالفه في أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي
عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله
وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به
ولو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا
إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف
ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه
لما نهيتكم عنه ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على
أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها
حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي أن آمركم
بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل
خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته بحذف المضاف وما توفيقي
إلا بالله وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب
العلم بالمبدأ وإليه أنيب إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر
بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحق
فيما يأتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه
بشراشره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم
وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي
معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح
أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه يعدى إلى واحد

أو رجفة الصيحة

وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي
إلى مفعول واحد والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء
وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت
حمامة في غصون ذات أوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا
فإن لم تعتبروا بمن قبلكم فاعتبروا بهم وليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وإفراد البعيد لأن المراد
وما إهلاكهم أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى في أمثاله
بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه عما أنتم عليه إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة لمن يوده وهو
وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم
ما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك
لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا
إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا
إن أرادوا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته
يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسا على القضاء
والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة لرجمناك
لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك
عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد
وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم
عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر
بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل
الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب إلى الظهر
والكسر من تغييرات النسب إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه
شيء منها فيجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام والفاء
في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب
لذلك وحذفها هاهنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك
فهو أبلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك

ستعلم الكاذب والصادق قيل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قالوا سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل ع م فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسورة ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد

ما يكون

ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك لاية اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة

متناهية على حذف المضاف وأراد به مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود يوم يأت أي الجزاء أو اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف إلا بإذنه إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر أو المأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامهم دوامهما إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم لدوامهم وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لأن ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانعة من الجمع وههنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن قسمين وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع

الأمرين

الأمرين في شخص باعتبارين أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود وعلى ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل إلا ههنا بمعنى سوى كقولك علي ألف إلا ألفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض إن ربك فعال لما يريد من غير اعتراض وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده بمعنى أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعدما أنزل عليك من مآل أمر الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤدية إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية أي هم وآباؤهم سواء في الشرك أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادتهم أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وإنهم وإن كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وإن كلا وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف إليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارا للأصل لما ليوفينهم ربك أعمالهم اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر

وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام واجتمعت
ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ
لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين
امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط
بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ
الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط
مفوت للحقوق ونحوها وهي غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود
ومن تاب معك وتاب من الشرك والكفر ومن معك وهو عطف على المستكن في
استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما
حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي
وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس
واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم
اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم
نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه
وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي
العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه
او غيره بل هو ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء
للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم
ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه
ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم
وان غيره لا يقدر نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة
طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا
من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة
وصلوة الغداة صلوة الصبح لانه اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية
العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف
المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسرة

وزلفى

وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة مكفرات ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي
النزول ان رجلا اتى النبي عليه السلام فقال اني اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة
للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر
احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي
افضل ما يخرجه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون
مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم
كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم
للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا
بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد
ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم
واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف
على اترفوا او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو
للحال ويجوز ان تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم
الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر
غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين
يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله على ما هو
اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة
وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اي
من عصاتهما اجمعين اي منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك

ثبت

آي القراءة المشهورة

من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته
التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات
نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك
من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب
السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله
فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك
وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد
وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا [illegible] عن النبي صلعم من
قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

## سورة يوسف مكية وايها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تلك
اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة
الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها
من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت
انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم جنس
يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه
اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له
او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون
علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا
بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم
القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن
الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله
على العجائب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب
واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا
القران يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر

وان كنت

وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك
قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ
بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل
من اسف لان المشهورة شهدت بعجميته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك
قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف
يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان
يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين
العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك ولقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني
عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك
فقال عليه السلام اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب
وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي راهم
عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن
صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام
من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم
وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث
كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس
المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون

التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه
وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك
اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة
لما فعل بآدم وحوا فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى
يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك يا يوسف بمثل هذه الرؤيا الدالة
على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتبا من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج
عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها
احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة
او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكما وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة
والانجا من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفداه بذبح عظيم من
قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان
في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات
نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته
ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين
ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي
وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا
وحد لان افعل من لا يفرق بين فما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه
فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه
لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا
يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال

لا تقتلوا

لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه
ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت
كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه
ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته
احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف
والفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم
او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم
يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان
القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره سمي به لغيبوبته عن عين الناظر
وقرا نافع في غيابات الجب على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ
غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه بعض السيارة بعض
الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا
ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا
عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله
عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام
بالاشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين
وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحرا يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها
من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع
بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وقرا الكوفيون ويعقوب
بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته
ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا وانا له لحافظون ان يناله مكروه
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف
وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا
وعاصم وابو عمرو وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر
بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب

وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم برزوا به إلى البرية
أخذوا يضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني
أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي
أتوارى به فقالوا ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك
فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط ثم آوى إلى صخرة كانت فيها فقام
عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشرة
وقيل كان مراهقا أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام
وفي القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله
في تميمة وعلقها بيوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه لتنبئنهم بأمرهم
هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وبعده
عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك إشارة إلى ما قال لهم
بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول إليه أمره
إيناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أي آنسناه
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا أباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشوا من البكاء يبكون
متباكين روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا
يا أبانا إنا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب
وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك
ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أي جاءوا كاذبين وكدب
بالدال غير المعجمة أي كدر أو طري وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث
فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أي فوق
قميصه أو على الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور روي أنه لما سمع بخبر يوسف
صاح وسأل قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه
قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي سهلت لكم وهونت في أعينكم أمرا عظيما
من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل
وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق والله المستعان

ن

عند

[illegible]

ع

---

على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت
قبل استنبائهم إن صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين إلى مصر
فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من إلقائه فيه فأرسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فأدلى دلوه
فأرسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالي فهذا
أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين
يا بشراي بالإضافة وقرئ يا بشري بالإدغام وهو لغة وبشراي بالسكون
على قصد الوقف وأسروه أي الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا
أمره وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لإخوة
يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ
فلم يجده فيها فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه
فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه بضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا
للتجارة واشتقاقه من البضع فإنه ما بضع من المال للتجارة والله عليم
بما يعملون لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم
وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الحالتان أو اشتروه من إخوته بثمن بخس
مبخوس لزيفه أو نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فإنهم كانوا
يزنون ما بلغ الأوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل
اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير
في كانوا إن كان للإخوة فظاهر وإن كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم
فيه لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل
في بيعه وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوا أنه آبق وفيه متعلق بالزاهد
إن جعل اللام للتعريف وإن جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه
الزاهدين لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه
من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير
وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته
وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات والمشهور أن فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل
خطاب الأولاد بأحوال الآباء روي أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة
سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه

غير الاول بعشرين دينارا وزوجا نعل وثوبين ابيضين وقيل بمثله
فضة وقيل ذهبا لامراته اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا
كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استاجره وابو بكر رض حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض
كما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه
العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل
ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات
المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف
اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ
اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين
والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة
وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على
احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء
ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات
والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع
وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هئت كجئت
من هاء يهيء اذا تهيا وقرئ هئت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله
معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك
في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن
منزلي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن
بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به
وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه

ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة
الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها
جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه هو وقيل راى جبريل ع م وقيل تمثل له يعقوب ع م عاضا على انامله
وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء
كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران اي الذين
اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد
قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا
زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها
وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى
اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني
بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب
الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها
وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة صغارا
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم
وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت
قميصه من قدامه بالدفع عنها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد
جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل
على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول
او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها
والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك
ان تحسن الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك

امنن عليك بلحقنا السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا
عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلوا علمين للجهتين فمنعا الصرف
وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد
باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق
بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس
مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين
من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة
هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم
النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة
نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها
حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه
على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه
بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد
وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن
اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة
فيهن الخمس واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة
منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن
عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف
من مكرهن اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكا
طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك
نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكا
طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء
باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه
ومتكا من تكئ يتكا اذا اتكا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه عظمنه
وهبن حسنه الفائق وعنه عليه السلام رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت

اي يفشينه لها

القلل جمع قلة الما

اذا

اذا حاضت لانها لا تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف
اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قرا ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة
تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع
التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام
بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا
فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار
في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود
للبشر وهو على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك
كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة
من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه
بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن
لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا
لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة
اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته
ولئن لم يفعل ما امره اي ما امر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري
فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر
بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم وقرئ وليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم
الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرا يعقوب
بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي اثر عندي من مؤاتاتها زنا
نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه
واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له
مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا
وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم
تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت
على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي

ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها
وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم
والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف
فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن واثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم
وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا
الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء
ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك
لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز
على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان
اي ادخل يوسف واتفق انه ادخل اخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه
للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام
وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر يعني الخباز
اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك
من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك
لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته
وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين
منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني
ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة
اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب كلام مبتدا لتمهيد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه
ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة
على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك
بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس

الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله
علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها
ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي
السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع
كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة
متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب
لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم
عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا
الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية
عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه
الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه
الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم
لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة
بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن
على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق
العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو
الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن
اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان
عليه واما الآخر يعني الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا
فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين
لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان
يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول
الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله تعالى

حتى استعان بغيره وعنه عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل
اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس والاستعانة بالعباد
في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء فلبث
في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع
وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه
رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل
فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر
يابسات وسبعاً أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات
وأجرى السمان على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجرداً عن الموصوف فإنه لبيان الجنس
وقياسه عجف لأنه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لأنه نقيضه يا أيها الملأ
أفتوني في رؤياي فاعبروها إن كنتم للرؤيا تعبرون إن كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي
هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها
تعبيراً واللام للبيان أو لتقوية العامل فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل إن كنتم
تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا أضغاث أحلام أي هذه أضغاث أحلام وهي
تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير
للرؤيا الكاذبة وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان
يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين يريدون
بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل
للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال
الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد أمة وتذكر يوسف
بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعد
ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمهاً إذا نسي والجملة اعتراض
ومقول القول أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أي إلى من عنده علمه أو إلى السجن يوسف
أيها الصديق أي فأرسل إلى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق
وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا
صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر

وأخر

---

وأخر يابسات أي في رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده
أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها أو فضلك
ومكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازماً بالرجوع فربما اخترم
دونه ولا بعلمهم قال تزرعون سبع سنين دأباً أي على عادتكم المستمرة
وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأباً
ويكون الجملة حالاً وقرأ حفص دأَباً بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب
في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم
فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة
عن العبارة إلا قليلاً مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك
سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن
فأسند إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به إلا قليلاً مما
تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث
وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون
الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء
المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم
الله ويغيث بعضهم بعضاً أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض
أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة
في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب
بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعد
ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال
النسوة وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن
ظلماً فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل
على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي عليه السلام
لو كنت مكانه ولبثت في السجن لأسرعت الإجابة وإنما قال
فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن
تهييجاً له على البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعته

كرمًا ومراعاةً للادب وفيه تعريض للنسوة بعضهن ان ربي بكيدهن عليم حين
قلن له اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن
قال لهن الملك ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق
عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امراة العزيز الآن
حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ
قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر
من حص شعره اذا استاصله بحيث تظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي
ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك
التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل
او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب
وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين
وبان الله لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين
بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها
زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي
لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار
ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت فقال ذلك
ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم
ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك
وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل
الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير
ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم
يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما
اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين

ذو مكانة

---

ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال
ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا ثم
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك
فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير
وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه
راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن
الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما راى انه يستعمله في امره لا محالة اثر
ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه
مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء ينزل من بلادها
حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة
ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير
للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه روي ان يوسف
عليه السلام لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط
الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه
اليه الناس فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء ثم بالحلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر
على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان
ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة وجاء اخوة يوسف فدخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم
اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه
عليها من حاله التي فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
فلما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا له والجهاز ما يعد
من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلد الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها
وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الانبياء اسمه يعقوب عليه السلام قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا

الى النهاية فهنالك قال فكم انتم ههنا قال عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا من يشهد لنا فقال فدعوا
بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت
شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم
فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل
اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري
وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه
وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه
وكل بكل رحل واحدا يعبي بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا
وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام
منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون
حق ردها او لكي يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة
والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله
الى اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله
خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا
في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع
وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او
لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي
على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا
هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا
معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع

الى الملك

الى الملك ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير
وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية واما اذا
كانت ما نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون ونمير معطوفا على ما نبغي
فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل
لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك
ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل
يسير لا يخاطر بمثله الوالد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت
حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا
بذكر الله لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به
الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا
حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي
اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق
واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة
والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله
لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي
اليه خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام
في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل عين لامة ومن كل نفس هامة
وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر
لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم
ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة
التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب
واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ
بنيامين بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته
عليهم وحذره من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه
بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن

اي لا نبغي

مفعول له

اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف
اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم
فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف
حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا
لا ثاني له فيكون معي فبات عنده فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك
فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا
ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف
او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم
لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم للابل
التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به
لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ
صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به
حمل بعير الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم
في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي
جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا
فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم
كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي
جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى
الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر

بيض جمع ابيض

فيها

---

فيها مقام المضمر كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين
بالسرقة فبدا باوعيتهم فبدا المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه
بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء
اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه
اياه واوحينا اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب
وتغريمهم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله
ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك والاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون
منقطعا اي لكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما
رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى
عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل
ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له
العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو
مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون به يوسف
قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه
فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل
كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها
ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل
انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل
من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم
اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر
اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم
ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن
او القدر ذكروا حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه
يتكلل على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه
انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من
وجدنا الصاع في رحله لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما
فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا

خلصوا انفردوا او اعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر او بزنته
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه
وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة
ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب على مفعول تعلموا اذ لا باس
بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف
او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان صلة
او خبرا لا ينقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي ويقضي لي بالخروج منها
او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه
فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل
ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه
فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال
روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين
لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما
شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
حافظين لانه ربما سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب
عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت
بيوسف واسال القرية التي كنا فيها يعني مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
والمعنى ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحابها
التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت
فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يوخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا
بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم
في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفا على يوسف
اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء
المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزاه كان قاعدة

وكان

وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد عليه السلام
الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه
لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ
من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله
على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا
عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه
لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده
على ملائه او المعنى فاعل لقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه وصابره
كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا
على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك
لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب
او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر
الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي
واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله
بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام
فساله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له
اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما
وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تياسوا من روح
الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي
العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان
العارف المسلم من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها
العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع
وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته
اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل
فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة
او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء

او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله عز وجل قال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه
افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة
اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال
ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم
وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص
بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم
ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا
طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان
واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين
كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف
وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله
قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي الله
ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين
التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن
الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين
بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم
الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب
ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب
والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم
الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام
انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام
ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي
بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة
ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث

الذي

---

الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اي يصير بصيرا او يأت الي
انتم واتوني باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير وخرجت
من مصر وعمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق
بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني
الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان
عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا
اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط
في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال
كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني
لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي
انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم
فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل
جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه
واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر
اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه
ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب
في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه
والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف
المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول
كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له
سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله

[illegible]

شكرا لله وقيل الضمير لله والواو لأبويه وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها أيام الصبا
قد جعلها ربي حقا صدقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ولم يذكر الجب
لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لأنهم كانوا أصحاب المواشي
وأهل البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أفسد بيننا وحرش من نزغ
الرائض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له
إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها إنه هو العليم بوجوه المصالح
والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي أن يوسف
طاف بأبيه في خزائنه فلما أدخله خزانة القرطاس قال يا بني ما أعقك عندك
هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله
قال أنت أبسط مني إليه فسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف
أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو
ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للتبعيض
لأنه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والأرض مبدعهما وانتصابه على أنه
صفة المنادى أو منادى برأسه أنت وليي ناصري أو متولي أمري في الدنيا
والآخرة في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني
وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي
أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه
فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه إلى الملك
المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا
أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل إلى
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام إلى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة
وقد ولد له من راعيل أفراثيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب
ذلك إشارة إلى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ من أنباء الغيب
نوحيه إليك خبران له وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما
والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف
حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به
وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت
أحدا سمع ذلك فتعلمته منه وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره
في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا
وما أكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الأنباء

أو القرآن

أو القرآن من أجر من جعل كما يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله
للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والأرض
يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها
الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الأرض وقرئ والأرض يمشون عليها
أي يترددون فيها فيرون آثار الأمم الهالكة وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم
بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادة غيره أو باتخاذ الأحبار
أربابا ونسبة التبني إليه أو القول بالنور والظلمة أو النظر إلى الأسباب
ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب
أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم أو تأتيهم
الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بإتيانها غير مستعدين
لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله أدعو إلى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان
وحجة واضحة غير عمياء أنا تأكيد للمستتر في أدعو أو على بصيرة لأنه حال منه
أو مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما أنا من المشركين
وأنزهه تنزيها من الشركاء وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا رد لقولهم
لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي إليهم
كما يوحى إليك ويتميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه
حمزة والكسائي في سورة الأنبياء من أهل القرى لأن أهلها أعلم وأحلم
من أهل البدو أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال
أو الساعة أو الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون
فيستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي أي قل لهم أفلا تعقلون حتى إذا استيأس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم فإن من قبلهم
أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر
مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم
حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيمان وقيل الضمير
للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم

ربع

من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرسل
ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس
في القلب على طريق الوسوسة او ان المراد به المبالغة في التراخي والامهال
على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم
قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي
وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما
لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم
فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول
وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل عليهم وفيه بيان
للمشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة
يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب
الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء
يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه
وعن النبي عليه السلام علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

## سورة الرعد مكية ثلاث واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى
تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك
الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك
هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص
او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة
على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم
من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها
صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل
على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها

في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم
ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر
ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر
ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث
الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها دوره او لغاية
مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر
الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل
الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم
بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر
على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد
الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث
على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود
والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان
مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود
صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها
طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع
دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون
وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها
ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر
في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا
على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات
مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب

يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر
الأمر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب
يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء
ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة
على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته
وقبول المواد لانواع تصرفاته ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد بدل من قولهم
او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ءانا لفي خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا
بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم
والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه
ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ
المثْلات بالتخفيف والمُثُلات باتباع الفاء العين والمُثْلات بتخفيفه بعد الاتباع
والمَثُلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع
ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عم لولا عفو الله وتجاوزه
لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك
من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح
عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم
الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي
الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه
وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما
لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما
لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله

[illegible]

على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد
وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل
اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة واعلى عدده
لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رح وقال الشافعي
اخبرني شيخ باليمن ان امرأتي ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد
قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية
واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده
بمقدار لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر
فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة
اليه
يقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير
العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء
بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقات وتعالى عنه سواء منكم من اسر
القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء
في مختبأ بالليل وسارب بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا
اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن
مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه
وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب
في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم
يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف
احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر
يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل
من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه من توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير
ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال
القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا راد له والعامل في اذا
ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل

[illegible]

[illegible]

على أن خلاف مراده تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من أذاه وطمعا في الغيث
وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أي ارادة خوف وطمع أو التأويل بالاخافة
والاطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على اضمار ذوي أو اطلاق المصدر
بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به
السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده
ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله
وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله
وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم
يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم
والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة
على الجملة أو للحال فانه روي أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد
وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فأخذه عامر
بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول عم
وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته ورمى
عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان اذا كاده
وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط
وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير
قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز
ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد
وموساه أحد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق أن يعبد ويدعى الى عبادته
دون غيره أو له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على
الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة أو على
تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق
والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر وأربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به
محال من الله واجابة لدعوة رسوله أو دلالة على انه على الحق وان كانت عامة
فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله عليه السلام بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة

دعوة

الغدة الطاعون

الفقار السيف

وقد يسمى بعضها [illegible]

[illegible]

[illegible] من الله

دعوة الرسول عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون أي والأصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام
فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط
كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه
أن يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته ولا
بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها
بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود
على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي
الشدة والرخاء والكفرة كرها حالتي الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض
وأن يراد به انقيادهم لاحداث ما أراده فيهم شاؤوا أو كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال
أو العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقليص أظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو
مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب
السموات والارض خالقهما ومتولي أمرهما قل الله أجب عنهم بذلك اذ
لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به
قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى
العقل أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون أن يجلبوا اليها
نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون نفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل
ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم
قل هل يستوي الأعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم
بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم أم هل تستوي
الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء
أم جعلوا لله شركاء بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة
لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى
انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء
خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء

لانها لو غيره فيشاركه في العبادة فحصل الخلق موجب للعبادة ولازم
استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية
القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب
السماء نفسها فان المبادي منها فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر
ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع
غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد
وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلز
كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث
والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه
زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة
والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك
يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته
بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة
فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والابار وبالفلز الذي
ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد
فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى
والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب
المثل لشان الفريقين ضربا للمثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى
وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير
المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل
بذنبه لا يغفر منه شيء وماويهم جهنم مرجعهم وبئس المهاد المستقر والمخصوص
بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب
لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل

انما يتذكر اولو الالباب ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى
او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله
به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك
مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء
الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما
تكرهها النفس ويخالفها الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء
وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان
او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا
وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها
العدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من ابائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل
بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو
بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم
من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح
دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام
عليكم بما صبرتم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم
او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء
للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل
نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله
يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم
او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء

ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا
وما الحيوة الدنيا فى الاخرة فى جنب الاخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب
وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به
نعيم الاخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات
ويهدى اليه من اناب اقبل على الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى
التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان
على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدى اليه من اناب بما جئت به
بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن
قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته
او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القران الذى هو اقوى
المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات
مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها
كموسر وموقن ويجوز فيها الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن ماب
بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك فى امة
قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها
لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك وهم
يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته
ووسعت كل شى رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك
اليهم وانزال القران الذى هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم
وقيل نزلت فى مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل
هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو المستحق للعبادة سواه
عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت
به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة فى عناد
الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت
به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا
وعيونا او كلم به الموتى فتقراه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران
لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما امنوا به كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك
ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين
وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصى بن كلاب

وغيره

وغيره من اباءنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير
وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة
على كل شى وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الايات لكن الارادة لم تتعلق بذلك لعلمه بانه
لا يلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم
مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قراوا افلم يتبين
وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم
فان المايوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفى هدى بعض الناس
لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره
افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم او تقلقهم او تحل قريبا
من ديارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية فى كفار مكة
فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عم كان لا يزال يبعث
السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل
خطابا للرسول فانه عم حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتى
وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب فى كلامه
ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله
صلعم والاملاء ان يترك ملاوة من الزمن فى
دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن هو قائم على كل
نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شى من اعمالهم ولا يفوت عنده
من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف
على الخبر المقدر للمبتدا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا لله شركاء
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق
للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى
صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة
ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم فى الارض بشركاء
يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها

اضراب

[illegible]

زعزع بالتحريك [illegible]

أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القران من غير حقيقة واعتبار
معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على الاعجاز
بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر
وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين
ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته
ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي
وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف
عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار
على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال
من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي
وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة
عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير
وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام
واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل
انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم
الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة
الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع
على الاستئناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب مرجعي للجزاء لا الى غيره
وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع
مما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل
ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم
في القضايا والوقائع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم

فهمهم

---

فهمهم وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها
كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ
ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم
لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان
لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه
الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب
على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب
ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها
وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت
ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات
ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد
وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن
الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله
فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل
باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا
انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين
منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء
بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى
انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره
ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم
عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين
من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه اذ لا يؤبه بمكر دونه
مكره لانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد
جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما ياتيهم العذاب المعد لهم
وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا وسيعلم الكفر
اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد
رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي

بنسخ القبلة

نسخه

ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ وهو الله أي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول يرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عنه عليه السلام من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

## سورة إبراهيم مكية وهي إحدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أي هذا كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من الظلمات من أنواع الضلال إلى النور إلى الهدى بإذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط إلى الله إما لأنه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الأرض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر أو الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لأنه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج من الظلمات إلى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لأنه مصدر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لإفادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الإيمان وقرئ ويُصدون من أصد وهو منقول من صد صدوداً إذا تنكب وليس فصيحاً لأن في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجاً ويبغون لها زيغاً ونكوباً عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على أنه مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به

وما أرسلنا

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ولذلك أمر النبي عليه السلام بإنذار عشيرته أولاً ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز لكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في إتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن الله أنزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل أو كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فإنه ضمير القوم والتوراة والإنجيل ونحوهما لم تنزل بلسان العرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الإيمان ويهدي من يشاء بالتوفيق وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمة ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور بمعنى أي لأن في الإرسال معنى القول أو بأن أخرج فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح أن يوصل بها أن الناصبة وذكرهم بأيام الله بوقائعه التي وقعت على الأمم الدارسة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر نعمائه فإنه إذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وإنما عبر عنهم بذلك تنبيهاً على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون أي اذكروا نعمته وقت إنجائه إياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك إذا أريدت بها العطية دون الإنعام ويجوز أن يكون بدلاً من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو إما جنس العذاب أو استعبادهم واستعمالهم بالأعمال الشاقة وفي ذلكم من جهته

باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون
الاشارة الى الانجاء والمراد النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى
وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره
بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن
على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده
الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم
نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم
عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم
الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله
عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء
عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه
او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها
على ان لا جواب لهم سواه او ردوها الى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم
وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي
الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي
قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما
ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه
واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل
وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اي
يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام

المفعول به

المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه
دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة
بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
من المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى
الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث
الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد
آباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات
والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس
وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل
على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان
بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو
امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى
قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا
سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف
ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف
اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله
فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم
الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم
الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع
ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن

وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى
الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي
لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا سألوا الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين
اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو
معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم
سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن وخاب
كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله
معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوفق من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها
واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء
حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره
من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء
وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء
او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه
فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب
على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه
من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى
من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن
بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه
وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة
الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم
التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم
ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل
اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت
الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد
الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب

ونحو

ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب
وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون
هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب
للنبي عليه السلام والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين
ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه
وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم
ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه
ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا
بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا
لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله
على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى
على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ
الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف
الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع
تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف
فهل انتم مغنون عنا رافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء
هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى
مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الغناء
قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا
بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم
فاخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد بنا طريق الخلاص

سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص
منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل
ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا
من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
وقال الشيطان لما قضي الامر حكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه
ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل
وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم
تبين خلف وعدي كالاخلاف مني وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط
فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو
ليس من جنس السلطان ولكنه على تقدير قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الا
منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح
العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس
ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان لقدرة العبد مدخلا ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله
اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وبمصرخي حمزة
بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فحسنه
كالفرار من اجتماع ياءين وقلت كسرة مع ان حركة ياء الاضافة الفتح
فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة
من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته
واعطيتكه وحذفوا الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون
من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته
كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم
سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه
وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل
اشراككم حين رددت امر الله بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية
الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله
وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم
ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها

الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة
وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام
اي تحيهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة
ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز
ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي
كشجرة كذا وان يكون اولا مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئ
بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها
واعلاها في السماء ويجوز ان يريد فروعها اي افنانها على الاكتفاء
بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها
والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها
تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها
وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها
زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية
من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار وقيل
في الكلمة الخبيثة الاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل
المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح
والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة
بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث
ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون
اذا افتتنوا كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف
ولا يدهشهم هول القيمة روى انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي
محمد عليه السلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال
آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي

شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فإنهم لما كفروها
سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله
وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد عم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
أذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الأفجران
من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما
بنو أمية فمتعوا حتى حين وأحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها
أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصبا
لجهنم وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله
الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء
وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته
جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات
التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب
لإفضائه إلى المهدد به وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله
فإن مصيركم إلى النار وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع
قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالإضافة تنويها لهم وتنبيها على أنهم
المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أي
قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلوة وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم فيكون إيذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفك
فعلهم عن أمره وأنه كالسبب الموجب له ويجوز أن يقدرا بلام الأمر ليصح
تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك
كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا
مقامين مقامهما وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه
ولأن أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا سرا
وعلانية منتصبين على المصدر أي إنفاق سر وعلانية أو على الحال أي ذوي سر وعلانية
أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به
نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتي يوم
لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات

القوام خدام

يصلونها أي يدخلونها

أندادا شركاء

التنويه التعظيم

---

والأرض مبتدأ وخبر وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم
تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن الثمرات بيان له وحال
ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لأن أخرج
في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره بمشيئته إلى حيث توجهتم وسخر لكم
الأنهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية
اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح
ما يصلحان من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل
سألتموه شيئا فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد
بما سألتموه ما كان حقيقا بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل
وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول
وقرئ من كل بالتنوين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه وسألتموه بلسان
الحال ويجوز أن تكون ما نافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائليه
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها
فإنها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة
إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا أمن
لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول في الأول
إزالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة
واجنبني وبني بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منها
في جانب وقرئ وأجنبني وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون
جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه
إياهم وهو بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة
أن أولاد إسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها
ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته
رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك
من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تعالى
وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فإنه مني أي بعضي لا ينفك
عني في أمر الدين ومن عصاني فإنك غفور رحيم تقدر أن تغفر له وترحمه
ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك

الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي
او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن
لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك
المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق
منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان
او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام
فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما
الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير
الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندها عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم وتكريره للدلالة على الاشعار بانها المقصودة بالذات
من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد به
هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان
يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت
اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس
وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون
اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح
الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون
من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووددا وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من هوى اليه غيره وتهوي من هوي يهوي اذا احب وتعديته بالى لتضمين
معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم
يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات
كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك
اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا
الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا
لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك
والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله تعالى

ازدحمت جمعت ه

---

وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه عالم بعلم ذاتي تستوي نسبته
الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي
وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها
من الاية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة
واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك
كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف
الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه
اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين
ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني
والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى واستقرائه عادته في الامم الماضية
انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل
عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر
استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما
هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته
واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
يؤخر عذابهم وقرئ بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص
فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال
على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة
لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء
اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان
قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني
يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول
الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا
وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا

مقدرا بما يؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للأمر ونظيره لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن
من الصالحين أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال على إرادة
القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية
والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا
وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم
لا ينتقلون إلى دار أخرى وأنهم إذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة
إلى حالة أخرى كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود
وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغني وأقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما
تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخباركم
وضربنا لكم الأمثال من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال
المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لإبطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عند الله
فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالا له
وإن كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى
لإزالة الجبال ومعدا وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم على أن الجبال مثل لأمر النبي ونحوه وقيل
مخففة من الثقيلة والمعنى أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية
ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
مثل قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وأصله مخلف رسله
وعده فقدم المفعول الثاني إيذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا لقوله تعالى
لا يخلف الميعاد وإذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسله إن الله عزيز
غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لأوليائه من أعدائه يوم تبدل
الأرض غير الأرض بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر
أو لا يخلف وعده ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده
والسماوات عطف على الأرض وتقديره والسماوات غير السماوات والتبديل يكون في الذات

كقولك

كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة
كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى
يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل الأرض
من فضة والسماوات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء
نقية لم يخطأ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها
ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال تبدل الأرض
غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا واعلم
أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على القول بأن يجعل الله الأرض جهنم والسماوات الجنة على ما أشعر به
قوله إن كتاب الأبرار لفي عليين وقوله إن كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا
من أجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين
للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لأحد إلى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم
مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد الزائغة والملكات الباطلة
أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلا
لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم في الأصفاد متعلق بمقرنين
أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل
قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق وأصله الشد سرابيلهم
قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الأبهل
فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن
تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم
كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه
مع إسراع النار في جلودهم على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب إليها أنواعا من الغموم والآلام
وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني
المتناهي حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار وتتغشاها لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق
ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله
كما تطلع على أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات

الأمت هو صعود ونزول فيه

زيد

كانه نعجي

ونظيره قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى
يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس أي يفعل بهم
ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس مجرمة أو مطيعة
لأنه إذا بين أن المجرمين معاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين
يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك إن علق اللام ببرزوا إن الله
سريع الحساب لأنه لا يشغله حساب عن حساب هذا إشارة إلى
القرآن أو السورة أو ما فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به
عطف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام
متعلقة بالبلاغ ويجوز أن يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به
أنزل أو تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له وليعلموا
أنما هو إله واحد بنظرهم فيما فيه من الآيات الدالة عليه
أو المنبهة على ما يدل عليه وليذكر أولو الألباب فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه ذكر لهذا البلاغ
ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما
وعنه عليه السلام من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبد

## سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره
للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي
بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال
المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم
ربما بالتخفيف وقرئ ربتما [illegible] وفيها ثماني لغات ضم الراء
وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة
تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقها أن تدخل الماضي لكن لما كان
المترقب في إخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه وقيل ما
نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل
العقال ومعنى التقليل فيه الإيذان بأنهم لو كانوا يودون
الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه كل ساعة

وقيل

[illegible]

---

وقيل تدهشهم أهوال القيامة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الأمل ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار و
استقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم إذا عاينوا
جزاءه والغرض إقناط الرسول من ارعوائهم وإيذانه بأنهم من أهل الخذلان
وأن نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه إلزام للحجة وتحذير عن إيثار
التنعم وما يؤدي إليه طول الأمل وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم
أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والأصل أن لا تدخلها
الواو كقوله إلا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال أدخلت عليها
تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون
عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر نادوا به
النبي عليه السلام على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم إنك لمجنون ونظيره ذلك
قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون والمعنى إنك لتقول قول المجانين
حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما لمعنيين
امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم
المكذبة قبل إن كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء
مسندا إلى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر
بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل إلا
بالحق إلا تنزيلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة
في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا ولا في معاجلتكم
بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق
الوحي أو العذاب وما كانوا إذا منظرين إذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر
أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستهزائهم
ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله وإنا له لحافظون أي من التحريف والزيادة
والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان
أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه
المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد أرسلنا من قبلك
في شيع الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به

يستهزئون كما يفعل هؤلاء، وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وما كالحال لا تدخل إلا مضارعاً
بمعنى الحال أو ماضياً قريباً منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله
في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير
الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك
الذكر في قلوب المجرمين مكذباً غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج
ضعيف فلا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون الجملة
حالاً من المفعول لجواز أن تكون حالاً من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول
بل يقويه وقد خلت سنة الأولين أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم
أو بإهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيداً لأهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء
المقترحين باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون إليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا
من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق إنما سكرت أبصارنا سدت عن الإبصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه
عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يرونه
البت القطع
لا حقيقة له بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء
بروجاً اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة
مع بساطة السماء وزيناها بالأشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين
المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان
رجيم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها
إلا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سراً شبه به
خطفتهم من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع
تفتازان
الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه السلام
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها
أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع فأتبعه
فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة
وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والأرض مددناها
بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالاً ثوابت وأنبتنا فيها في الأرض
أو فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته

أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أو له وزن
في أبواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم
والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف
على معايش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون
أنهم يرزقونهم ظناً فاسداً فإن الله يرزقكم وإياهم وفذلكة الآية الاستدلال
بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع
محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لا يكون
كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على
العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وإن من شيء
إلا عندنا خزائنه أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه
أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره أو شبه مقدوراته
بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد وما ننزله
من بقاع القدرة إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة
فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملاً على بعض الصفات
والحالات لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا الرياح لواقح حوامل شبه
الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون
كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر أو السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات
في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل
الجنس فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم
له بخازنين قادرين متمكنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه
أو حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك أيضاً يدل
على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات
على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه
دون حده لا بد له من سبب مخصص وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة
في بعض الأجسام القابلة لها ونميت بإزالتها وقد أول الحياة
بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن
الوارثون أي الباقون إذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتاً ومن
استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم
في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا
شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته

فانه ما دل على قدرته دليل علمه وقيل رغب رسول الله عليه السلام على الصف الأول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله عليه السلام
فتقدم بعض القوم لئلا ينظروا إليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وإن ربك
هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة
على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح بقوله إنه
حكيم باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الإنسان
من صلصال من طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر وقيل هو من صلصل
إذا أنتن تضعيف صل من حمأ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو
صفة صلصال أي كائن من حمأ مسنون مصور من سنة الوجه أو مصبوب
متصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ
فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره إلى جوهر
جسم سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل
بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن
الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق
من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه
من قبل من قبل خلق الإنسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا
عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فإنه أقبل لها من التي الغالب
فيها الجزء الأرضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق
الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء
وإذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ
مسنون فإذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف
جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن
جعل تعلقه بالبدن نفخا وإضافة الروح إلى نفسه لما مر في النساء فقعوا له
فاسقطوا له ساجدين أمر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم أجمعون أكد بتأكيدين
للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة
على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا

أي أنقر إذا ضرب ه

أي صورة الوجه ه

من سننت الماء صببته ه

أبا الجن إبليس وهو أبو الشياطين كما أن آدم أبا البشر ه

---

إلا إبليس إن جعل منقطعا اتصل به قوله أبى أن يكون مع الساجدين أي ولكن
إبليس أبى وإن جعل متصلا كان استئنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد
قال يا إبليس ما لك ألا تكون أي غرض لك في أن لا تكون مع الساجدين
لآدم قال لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي حالي
أن أسجد لبشر جسماني كثيف وأنا ملك روحاني خلقته من صلصال
من حمأ مسنون وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها
استنقص آدم باعتبار النوع والأصل وقد سبق الجواب عنه
في سورة الأعراف قال فاخرج منها من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة
فإنك رجيم مطرود من الخير والكرامة فإن من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان
يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وإن عليك اللعنة
هذا الطرد والإبعاد إلى يوم الدين فإنه منتهى أمد اللعن فإنه يناسب
أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم
أن لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل إنما حد
اللعن به لأنه أبعد غاية يضربها الناس أو لأنه يعذب فيما ينسى اللعن
معه فيصير كالزائل قال رب فأنظرني فأخرني والفاء متعلقة بمحذوف
دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم إلى يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة
في الإغواء ونجاة عن الموت إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه
إلى الأول دون الثاني قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت
المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو
النفخة الأولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم
القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا
بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين
ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث الخلائق
في تضاعيفه وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب
إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال قال رب بما أغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لأزينن لهم في الأرض والمعنى
أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله أخلد إلى الأرض وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي
أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم أو الإضلال عن طريق الجنة

في الأرض

واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له
على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون
على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله له تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي
الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا
عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب
فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران
اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين
من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي
من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من العلو وهو الشرف ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع
مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس
بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا
يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون
المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان
جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال
والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة
ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر
ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون
الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها
سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها
للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ
بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه
بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر

والفواحش

والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة
منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وقرا نافع وابو عمرو
وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض
فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال
ونزعنا في ما الفنا بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم
من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة وزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب
القرب اخوانا حال من ضميرهم في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير
في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا
قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين
من ضميره لانه بمعنى متصافين او يكون متقابلين حالا من المستقر في سرر
لا يمسهم فيها نصب استينافا او حال بعد حال او من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب
باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون
التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
اي نسلم عليك سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم
دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى
التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك
من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ
قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر
اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذا قوله فبم تبشرون
اي فباي اعجوبة تبشرون او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا
يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة
في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة

على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة على بقاء نون الوقاية
على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه
أو بطريقة هي حق وهو قول الله وأمره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ
فان وعجوز عاقر وكان استعجاب إبرهيم باعتبار العادة دون القدرة
ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون
طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال
لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائي
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم
أيها المرسلون أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعله
علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
إلى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم أو لأنهم بشروه
في تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها
قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط إلا آل لوط إن كان استثناء
من قوم كان منقطعا إذ القوم مقيد بالإجرام وإن كان استثناء
من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والإرسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين به وكأن المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط
منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه إنا لمنجوهم أجمعين أي مما
يعذب به القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط
جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء
من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف
الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي
لمنجوهم مخففا قدرنا إنها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم
وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وإنما علق والتعليق
من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا
أجري مجرى قلنا لأن التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار
غيره وإسنادهم إياه إلى أنفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب
والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك
من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وأتيناك بالحق

باليقين من عذابهم وإنا لصادقون فيما أخبرناك به فأسر بأهلك فاذهب بهم
في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الألف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري
في النجوم كم علينا من قطع الليل واتبع أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم أحد لينظر ما وراءه فيرى
من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم
ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم
على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام
أو مصر فعدى وامضوا إلى حيث وتؤمرون إلى الضمير المحذوف على الاتساع
وقضينا إليه أوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره
أن دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للأمر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصباح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير
في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء
أهل المدينة سدوم يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم قال إن هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن أسيء عليه واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان أو ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن تجير منهم
أحدا وتمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه وعن ضيافة الناس وإنزالهم قال هؤلاء بناتي يعني
نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود
إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو
محمد عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو
لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم
إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم
والصواب الذي يشار به إليهم فأخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل
صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي
المدينة أو عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وأمطرنا عليهم حجارة
من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه
القصة في سورة هود إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى

لبسبيل مقيم ثابت يسلكها الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله وان كان اصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فاهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة
المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والأيكة وقيل
مدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح
لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها
وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك
امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم
الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم
معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو
حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم
ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للكثير
والقليل والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي
الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما
في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل
يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان
للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه
او قصصه ومواعظه او مثنى عليها بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله
من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله
كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور
فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف

الازاحة الازالة

احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة
الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث
ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافى باذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر
وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير
من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم
المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل
اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم
ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم
فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله
يوم بدر او الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام
وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك سبعا فانه بمعنى انزلنا
اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا
بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى الشعر
والسحر والكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم
وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله
وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين
اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة
والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر
فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل
واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي
بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين ولا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك
المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة

والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

نابك المصيبة

## سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول عليه السلام من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي علم به رسوله ما يحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعاد اختصاصه

بالعلم

بالعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره وبمن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع درها ونسلها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر

فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لأهلها
وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه
الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب
نصف قوته بالتعب ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة
اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير
النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها
الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل
ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اي
متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه
اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا
ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها
غالبا احتياجا ضروريا وغير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون
اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد منه ما خلق في الجنة
والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق
الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد
السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل
الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد
او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة
او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين
اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية
مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب
السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب
ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به
لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه
في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي

دفر

وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم
ضرر فيه تسيمون ترعون مواشيكم من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي
العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون
على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها
اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما
يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم
الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون
على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها
نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها
فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار
ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة
الطباع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل
مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لكم لمنافعكم مسخرات بامره حال
من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له
بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا
ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص
مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع
وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيص
ورفع ابن عامر ايضا الشمس والقمر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر
العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة
غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض
عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا
الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم
يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع
صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة
لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار
قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك
والثوري على ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه
بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله

سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه
حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم
ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها
من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة
رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها
ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك
سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسى جبالا رواسى
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق
فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت
الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز
فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض
جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه
وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم
يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وبالنجم
هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس
ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا
والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم
كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم
بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد
اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق
ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق
شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا
فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها
آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او المعنى
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم له

التمور الاضطراب

افلا

---

افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر
عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها
فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده
باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعم لا تنحصر وان حق عبادته
غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله
اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص
ثلاثتها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين
انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق
والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات
حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا
بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم
او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما
بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف
الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم
بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر
بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع
بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده
او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير
الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير
الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال

وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل ألا ساء ما يزرون بئس شيئاً يزرونه فعلهم قد مكر
الذين من قبلهم أي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فأتى الله بنيانهم
من القواعد فأتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت فخر
عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم وأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل
المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر
السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم
أو يعذبهم بالنار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول أين شركائي أضاف
إلى نفسه استهزاء وحكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المؤمنين وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فإن مشاقة المؤمنين
كمشاقة الله قال الذين أوتوا العلم أي الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد
فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة إن الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب
على الكافرين وفائدة قولهم إظهار الشماتة وزيادة الإهانة وحكايته لأن يكون لطفاً
لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بإدغام التاء في التاء
وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ظالمي أنفسهم بأن عرضوها للعذاب المخلد
فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان
ويجوز أن يكون تفسيراً للسلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام بلى أي فيجيبهم
الملائكة بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا
السلم إلى آخر الآية استئناف ورجوع إلى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول
من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بأنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا
عاملين سوءاً واحتمل أن يكون الراد عليهم هو الله أو أولو العلم فادخلوا
أبواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين
ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً أي أنزل خيراً وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا
في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة روي
أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي عليه السلام
فإذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة خير
أي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون
بما بعده حكاية لقولهم بدلاً وتفسيراً لخيراً على أنه منتصب بقالوا ولنعم

ويتوقفوا

للذين وجدوا في الدنيا خيرا
الحسنة الجنة والتضعيف إلى العشرة

دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها
ما يشاؤون من أنواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان
لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء
يجزيهم وهو يؤيد الوجه الأول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين
من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم وقيل
فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه
نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم
بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فإنها معدة
لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض
أرواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك القيامة والعذاب
المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فأصابهم ما أصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إليه فأصابهم سيئات ما عملوا أي جزاء
سيئات أعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون فأحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل إلا في الشر وقال الذين
أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه
من شيء إنما قالوا ذلك استهزاء ومنعاً للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما شاء الله
يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما أو إنكاراً لقبح ما أنكر عليهم
من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله
صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئاً إليه لا اعتذاراً إذ لم يعتقدوا قبح
أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين
إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو إن لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي
إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقاً
بل بأسباب قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية
في الأمم كلها سبباً لهدى من أراد الله اهتداءه وزيادة الضلال لمن أراد
ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف
ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم

للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد
هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة
على تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث ان قسيمه
من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر
قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم
لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي
من يضل من يريد ضلاله فهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة
وقرأ غير الكوفيين لا يُهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم
من ناصرين ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا
التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد
رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا عليه مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل
عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده
او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها
واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين
الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه
وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو
اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره
ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد
والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال
امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول
او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله
واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم
الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال
وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله
اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي
المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له
خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة

افضل

افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم اي المهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة
الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت
السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة
الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام
فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب وعلماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون
وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وقوله
جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل
لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عم
رأى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء
فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات
والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا
في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي
على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله
فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام
وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه
لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به
ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود
او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون
وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين
مكروا برسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم
الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين
في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم
شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته [illegible]

أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها
قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث
لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء استفهام إنكار أي قد رأوا
أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه
وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله أي أولم ينظروا إلى المخلوقات التي لها
ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وأبو عمرو تتفيؤ بالتاء
عن اليمين والشمائل عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها
استعارة من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل
باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله
وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل
وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون
حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدر الله لها
من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والأجرام في
أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله فيها وجمع داخرون بالواو
لأن من جملتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين
والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة
في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فإن الظلال في
أول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال
تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض ولله يسجد ما في السموات
وما في الأرض أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا
والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح إسناده إلى عامة أهل السموات
والأرض من دابة بيان لهما لأن الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان
في أرض أو سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة
للتعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال إن الملائكة
أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له
إجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى

من

من إطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم
من فوقهم يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر
كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون
ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين
ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه
أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله إنما
هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية
أو التنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي فارهبون
نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود
كأنه قال فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير وله
ما في السموات والأرض خلقا وملكا وله الدين أي الطاعة واصبا
لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق بأن يرهب منه وقيل واصبا
من الوصب أي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما
لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله أي وأي شيء اتصل بكم
من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الإخبار دون الحصول فإن استقرار النعمة بهم يكون سببا
للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون
فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة
ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم
ليكفروا بعبادة غيره هذا إذا كان الخطاب عاما فأما إذا كان خطابا
بالمشركين كان من للبيان كأنه قال فإذا فريق وهم أنتم ويجوز أن يكون
من للتبعيض على أن يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
أو إنكار كونها من الله فتمتعوا أمر تهديد فسوف تعلمون أغلظ وعيده
وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز أن يكون
اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد فيكون الضمير لما أو التي لا يعلمونها فيعتقدون
فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم على أن العائد إلى ما محذوف

ويجعلهم على أن ما مصدرية والمجهول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزروع والأنعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من أنها آلهة حقيقة
بالتقرب إليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة
وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم أو تعجب منه
ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب
بالعطف على البنات على أن الجعل بمعنى الاختيار وهو وإن أفضى إلى أن يكون
ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف وإذا بشر
أحدهم بالأنثى أخبر بولادتها ظل وجهه صار أو دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير
وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به
من سوء المبشر به عرفا أيمسكه محدثا نفسه متفكرا في أن يتركه على هون ذل
أم يدسه في التراب أم يخفيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث
فيهما ألا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة إلى الولد
المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الإناث
ووأدهن خشية الإملاق ولله المثل الأعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى
المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم
المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الأرض وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل
يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم
لم يكن الأبناء ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى سماه لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا
فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا أو عذبوا
حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكونوا كلهم
ظالمين حتى الأنبياء عليهم السلام لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم
ويجعلون لله ما يكرهون أي ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء
في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الأموال وتصف ألسنتهم
الكذب مع ذلك وهو أن لهم الحسنى أي عند الله لقوله ولئن رجعت إلى ربي
إن لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة لا جرم أن لهم النار
رد لكلامهم وإثبات لضدها وأنهم مفرطون مقدمون إلى النار من أفرطته
في طلب الماء إذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الإفراط في المعاصي

وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فأصروا على قبائحها
وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو هو
وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية
ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم
فهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وأن يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم
والولي القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ولهم عذاب
أليم في القيامة وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون معطوفان على محل لتبين فإنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله أنزل
من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها
إن في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وإنصاف وإن لكم في الأنعام لعبرة
دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وإنما
ذكر الضمير ووحده هاهنا للفظ وأنثه في سورة المؤمنين للمعنى فإن الأنعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش
ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها
أو لواحده أو له على المعنى فإن المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر
ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فإنه يخلق من بعض أجزاء
الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الأشياء المأكولة
المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن البهيمة
إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه
دما ولعله إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم
الذي يغذي البدن لأنهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة
الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما
ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية
بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم
توزع الباقي على الأعضاء بحسبها فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير
العليم الحكيم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء
البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا إلى الرحم لأجل الجنين فإذا
انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها
الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في إحداث الأخلاط والألبان

واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت
على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن
بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم
المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهو متعلق بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره
وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف
تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان
الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب
والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا
فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت
اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر
والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ
الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء
معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون ذكره بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش
من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها
ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ
بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل
الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك
في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق
التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك
ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير
في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب
النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه
لاجله شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار

او بقيه السهر

والاوراق

والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن
زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير
منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر
واحمر واسود بسبب اختلاف النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه
كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون
معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض
ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة رضي الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع
فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله وبرئ فكانما انشط من عقال
وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم
الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له
من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم
باجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة
شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير
اعماركم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه
على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب
ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
الطبائع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم
ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم
بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم
رزقهم الذي جعل الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء
في ان الله رزقهم والجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله
بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم

الله

[illegible]

وثمانون

فيستووا وهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي
أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث أنكروا
أمثال هذه الحجج بعدما أنعم الله عليهم بإيضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر
وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم
من أنفسكم أزواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل
هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وأولادا أو بنات
فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل
هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم
والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو من الحلالات
ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون
وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب
وبنعمة الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله
لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة
أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والأرض شيئا من مطر ونبات ورزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به
وإلا فبدل منه ولا يستطيعون أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع
الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز أن يعود
إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك
فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الأمثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به
أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال إن الله يعلم فساد ما
تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم
من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه
فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم
كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه
ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به
بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله
مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام
التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول

هم البهار

أي تركوا
أي عند نصه

---

والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فإنه أيضا عبد الله وسلب
القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل
على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون
لأنه للجنسين فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره
فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها بل أكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه إلى غيره
ويعبدونه لأجلها وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال
وثقل على من يلي أمره أينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء
للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم
منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل
وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب
إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما
كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة
بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه
لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض وما أمر الساعة
وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف
من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان
نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة
وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام
الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو
أقرب مبالغة في استقرابه إن الله على كل شيء قدير فيقدر على أن يحيي الخلائق دفعة
كما قدر على أن أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها
وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين
جهل الجمادية وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات
ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا
من تحصيل العلم الكسبي بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما أنعم
عليكم طورا بعد طور فتشكروه ألم يروا إلى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب

نجح كفاية

بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه
الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها
تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم
يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه
وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى المفعول وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف
والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم
ويوم اقامتكم وضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان
والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها
من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها
لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منها اوطاركم والله
جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس
وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة
فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن
وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين ولان
وقاية الحر كان اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم
التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه
فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون
من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما
عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة
السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي
عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا
او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه الصلوة والسلام
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد

أي مسكنا

واكثرهم

واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف
الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد
التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم
نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا
وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي
على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره
اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا
العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون
يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو
من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس
لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب
في انهم شركاء الله وانهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا
سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم
على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا
لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي
كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء
على التفصيل من امور الدين او الاجمال بالاحالة الى السنة والقياس
وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين
خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين
محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات

نكم

[illegible]

وهو

وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى
عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوالها
واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثار القوة الغضبية والبغي
الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي
هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه
الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود
هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم
يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شي وهدى ورحمة للعالمين
ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز
بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله
عليه السلام على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله
ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله
ومنها اكد واصله وكد فقلبت الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر
بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام
واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال
من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه
الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا
او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم
مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشي ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى
من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا
شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به
الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة
المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة

ما كنتم

---

ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة
في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف
باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد
جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد
الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو
ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل
للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام
او على الفاقة او على مشاق التكاليف باحسن ما كانوا يعملون
بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم
من عمل صالحا من ذكر او انثى بيان لما عمل وتعميم له وهو مؤمن
اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر
العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا
لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران اي اذا اردت
قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور
على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم
المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح

[illegible]

انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه
الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة
بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان
مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان
المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة
في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة في وقت يصير مصلحة
الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وجواب
اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون
الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس
وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل
وتنزيله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت
اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول عليه السلام
يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم
وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرأ
حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان
عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم
وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم
والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب
انه يعلمه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي
وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم

الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم
مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات
مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن
بامثال هذه الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة
وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما
اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك
اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم
الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من
الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبين
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة
الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه
مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق
بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين
ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا
ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا
مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله
وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك
فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان
الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ
رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال
انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في فقال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول
فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ثم

الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان فلا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصرة ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا

اي ذاته نفسه

[illegible]

الغمر الكثير
الرداء
العطاء
هـ

ثم

امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومساق الكلام يقتضي تاكيد الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق

[illegible]

وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب
المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده
مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة
من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون
انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل
بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان
ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا وعمرا طويلا في السعة
والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله
والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه
على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او لتراخي ايامه
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد
الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت فرض عليهم تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا
للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق
السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه
تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين
كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه
ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو
الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر
النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة
عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي
احسن طرق المجادلة بالرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي
هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول
الهداية والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي

وان عاقبتم

وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه
والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة
لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح
في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عم لما رأى حمزة
وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك
فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل وليس له ان يجاوز
وحث على العفو تعريضا له بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد
بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين
ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه
فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر
من مكرهم وقرأ ابن كثير ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل
ويجوز ان يكون الضيق تخفيف الضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي
والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلتها كان له من الاجر كالذي مات واحسن

## سورة الاسراء مكية [illegible] ومائة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان
اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة
ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره
بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة
بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام
قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد
او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ
بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال
مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا
استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضه فقال ان كان
قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
بالصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق

له النعت

ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا
فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير
كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة
بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده
والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السما حتى انتهى
الى سدرة المنتهى ولذلك تعجبت قريش واستحالوه والاستحالة
مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف
ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام
ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل
الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي
او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين
والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام
ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل
مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم
وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه
بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عليه السلام البصير بافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا
على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على الا يتخذوا
من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح
نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد
مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء
ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه كان عبدا شكورا يحمد الله
على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية
على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم
محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين

اولهما

اي يسبقها

الاورق من الابل الذي في لونه سواد الى البياض وهو اطيب الابل لحما م

ونيفا زيادة على المائة

ثانية [illegible]

اي بيت المقدس وكونه اقصى لانه ابعد مسجد من المسجد الحرام

ومعبد

وبينهما مسيرة اربعين ليلة [illegible]

---

اولهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى
وقصد قتل عيسى ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله
او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا
عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل
جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي باس شديد
ذي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ
بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا
كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة
لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع
وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم
الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف
ابن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال
عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود
على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان
اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء
وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فحذف لدلالة ذكره اولا عليه
وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث
او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالياء والنون
الخفيفة والثقيلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه
جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم
كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا
عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا
دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ
الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال
لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك

مراجعتك فأهلكنا بإذن الله تعالى قيل إن لا يبق منهم أحدا فهذا عسى ربكم أن يرحمكم
بعد المرة الأخرى وإن عدتم نوبة أخرى عدنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم وقد عادوا
بتكذيب محمد عليه السلام وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى
بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد وقيل بساطا
كما يبسط الحصير إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم للحالة أو الطريقة
التي هي أقوم الحالات أو الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجرا كبيرا قرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف
وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما عطف على أن
لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر ويدع الإنسان بالشر ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا
وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الإنسان عجولا
يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عم
فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط روي أنه عم
دفع أسيرا إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت كتافه
فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم إنما أنا بشر فمن
دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالإنسان
الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث
اللهم انصر خير الحزبين اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية
فضربت عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان
على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بإمكان غيره فمحونا آية
الليل أي الآية التي هي الليل بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين
كإضافة العدد إلى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة
أو مبصرة للناس من أبصره فبصر أو مبصرا أهله كقولهم أجبن الرجل
إذا كان أهله جبناء وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام
وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين
فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور أو نقصنا نورها
شيئا فشيئا إلى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات
شعاع يبصر الأشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار
أسباب معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم ولتعلموا باختلافهما

إما سكون

أو بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون
إليه في أمر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس
وكل إنسان ألزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش
الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله
أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في
النفس أحوالا ولذلك يفيد تكرارها لها ملكات ونصبه بأنه مفعول
أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب
ويخرج من خرج وقرئ ويخرج أي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله
وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على إرادة
القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء مزيدة
وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع
موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره على أن الحساب والشهادة
مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فإنما
يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي
ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر
أخرى بل إنما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج
ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع وإذا
أردنا أن نهلك قرية وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ
قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا أراد المريض أن يموت
ازداد مرضه شدة أمرنا مترفيها منعميها بالطاعة على لسان رسول
بعثناه إليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فإن الفسق هو الخروج
عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة
وقيل أمرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك أمرته فقرأ فإنه لا يفهم منه
إلا الأمر بالقراءة وعلى أن الأمر مجاز عن حمله عليه أو التسبب له بأن صب
عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسق ويحتمل أن لا يكون له مفعول
منوي كقولهم أمرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشيء فأمر
وآمرته كثرته وفي الحديث خير مال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج

وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو
ويحتمل ان يكون منقولا من امرنا بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص
المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور
فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم
او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له
من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك
ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان
يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل
بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه
وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
[illegible] في [illegible] وقيل [illegible]
بمن اراد به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون
معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم
يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة
وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي
لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص
وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك
الجامعون للشرائط الثلاث كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا
عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد
من الفريقين نمد والتنوين بدل من المضاف اليه هؤلاء
وهؤلاء [illegible] بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا
لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض في الرزق والنصاب كيف فضلنا على الحال وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها
آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ
الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه
مذموما مخذولا جامعا على نفسك اللوم من الملائكة والمؤمنين والخذلان
من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا

ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له
غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان يكون
ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا الى الوالدين
بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان
تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك
صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة
حمزة والكسائي بالف التثنية الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا
في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما
ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع
وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به
منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل
على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رجم الاب [illegible]
وهو [illegible] المشهورين [illegible] الاحسان اليهما ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض
لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه
كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة
كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ
الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك
عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله
ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين
لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وارشادهما في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال للرسول
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل

وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة
واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين
غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم
ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته
لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر اليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم
وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه السلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر
بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير
التفريق وعن بعضهم انه قال لمسرف وهو ينفق ما هذا السرف فقال
اذ لا خير في سرف فقال وان كنت مخيرا ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف
شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف
في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون
اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع واما
تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل
حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا تنفعهم على سبيل الكناية
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك
فتعطيه ومنتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح
لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب
الذي هو فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة
برحمتك عليهم ملجأ لا القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الجد
ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم
الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد
بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما محسورا فتصير ملوما عند الله وعند الناس
وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك يعني فتصير حسيرا
اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة تعد الينا فذهب
الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره

ونزع

من الكشف

ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج
فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا
لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم ويعلم من مصالحهم
ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر
واما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى
فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون
تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم
اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا اثما كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ
كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل
لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء وهو اسم بالمد والكسر
وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله
تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب
وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا
الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو
الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا
لوليه للذي يلي امره بعده وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل
عمد عدوان فان الخطا لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل
من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة
او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير
اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب
واما للولي فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما
للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا
مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن

من الصحاح

حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء، واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله
من تكاليفه او ما عاهدتموه عليه ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من المعاهد
ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل
العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا
الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي
اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف
ولا تتبع ردفه ولا تقف من قفا اثره اذا قفاه ومنه القافية ليس لك به
علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع
الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص
بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا
بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت
ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء
لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء
وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين
جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها
ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه
ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر
وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه
عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد
مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة
وابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح
النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي
بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك

اشارة

جمع قافية

[illegible]

[illegible] اشارة
[illegible] الى النعمة

اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه
فان المذكورات مامورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها
خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله
عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمول على المعنى فانه بمعنى سيئا
وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او الظرف
على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام
القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام
المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به
ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان
من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه
راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا
ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا
مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة
بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام
لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا
هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد
بهذا القرآن ابطاله لاضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول
في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا
ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر
وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة
كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده
على ان الكلام مع الرسول عليه السلام ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو
وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به
المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك
سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه
والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم

الوسيلة سبحانه ننزهه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا كبيرا متباعدا غاية البعد
عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها
على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على
المشترك بين اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر يسبح
بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم
غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر
كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم اي مستورا او مستورا عن الحس بحجاب
آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل
عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس
والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان
القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى
بادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به
آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده
ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية
ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به
بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم
وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم يستمعون
اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل
ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقولهم على ما ذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع المضمر
للدلالة على ان تناجيهم بكذبهم هذا والمسحور هو الذي سحر فزال
عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب
مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا

الى طعن

الى طعن موجه فيها فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى
الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الميت
الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه
لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل كونوا
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم
من قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما
لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم
ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك رؤوسهم
فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وان يكون اسم عسى
او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما
وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء
بحمده حال منهم اي حامدين لله تعالى لكمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون
من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة
التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم
يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد
وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم
تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر
مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم
وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين
افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتمه رجل

فيهم بما أمر الله بالعفو وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم فيختار
منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم
أبي طالب نبيا وأن تكون العراة الجوع أصحابه ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عم فإن شرفه بما أوحي إليه من الكتاب
لا بما أوتي من الملك وقيل هو إشارة إلى تفضيل رسول الله صلعم
وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته
خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لأنه في الأصل
فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم
وهو كالعباس أو الفضل أو لأن المراد وآتينا داود بعض الزبور أو بعضا
من الزبور فيه ذكر الرسول صلعم قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه
كالملائكة والمسيح والعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم
أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون
إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو
أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون أنهم آلهة إن عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن من قرية إلا نحن
مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستئصال أو معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وأنواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا وما منعنا أن نرسل بالآيات وما صرفنا عن إرسال
الآيات التي اقترحتها قريش إلا أن كذب بها الأولون إلا تكذيب الأولين
الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود فإنها لو أرسلت لكذبوا بها
تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا
وقد قضينا أن لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن
ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات إبصار أو بصائر أو جاعلتهم
ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها أو فظلموا أنفسهم
بسبب عقرها وما نرسل بالآيات أي بالآيات المقترحة إلا تخويفا
من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات

وآيات القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة فإن أمر من بعث إليهم مؤخر إلى يوم القيمة
والباء مزيدة أو في موضع الحال والمفعول محذوف وإذ قلنا لك واذكر إذ أوحينا
إليك إن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم
من أحاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال إنه كان في المنام
ومن قال إنه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى
أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ
ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله إذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولما روي أنه لما ورد ماءه قال لكأني أنظر إلى مصارع القوم هذا
مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه
وقيل رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة
فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله
إلا فتنة للناس ما حدث في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف
على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمدا
يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا أن من
قدر أن يحمي وبر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى
الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر أن يخلق في النار
شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز
للمبالغة أو وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه أبعد مكان من الرحمة
أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا
وقد أولت بالشيطان وأبي جهل والحكم بن أبي العاص وقرئت بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف أي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك
ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوز
الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد
لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز
أن يكون حالا من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد له
وأصله طين وفيه على الوجوه إيماء بعلة الإنكار قال أرأيتك هذا
الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب وهذا مفعول
أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى
أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي لئن
أخرتن إلى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن

ذريته الا قليلا اي لأستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم
شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك
وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال
اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا
من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله
او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا
لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم
بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان
كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم
في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي
والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه
بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف
الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ
بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد
في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي
على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك
على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم
رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر عليكم
من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ
لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تدعونه عن ا

غاثتكم

او لمن تبعك يا ابليس
من الانس [illegible]
[illegible]

---

الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم
في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افأمنتم الهمزة فيه للانكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف
وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه
بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم
لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء
لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي
ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله
ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى
ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته
او كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما
كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا
بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز
بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب
المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات
وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود
عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك
ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن
من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف
بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذة
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس
عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد أول الكثير
بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه
ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة

من يقول أقعوا أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله وأسروا النجوى
الذين ظلموا أو ضمير وكل بدل منه والنون محذوف لقلة المبالاة
بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهو قد يتقدر كما في يدعي
كل أناس بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب
أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب
كتاب كذا أي ينقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال
وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم
جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك إجلال عيسى عليه السلام وإظهار
شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وأن لا تفتضح أولاد الزنا فأولئك
في من أوتي كتابه بيمينه أي كتاب عمله فأولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا
وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء
وجمع اسم الإشارة والضمير لأن من أوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة
بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه
غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم من القراءة ولذلك لم يذكرهم
مع أن قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى أيضا مشعر بذلك
فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب
لا يبصر رشده كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلا
منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لأن
الاهتداء بعد لا ينفعه والأعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل
الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالأجهل والأبله ولذلك لم يمله أبو عمرو و
يعقوب فإن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم المتوسط
كما في أعمالكم بخلاف النعت فإن ألفه واقعة في الطرف لفظا وحكما
فكانت معرضة للإمالة من حيث إنها تصير ياء في التثنية وقد أمالهما
حمزة والكسائي وأبو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وإن كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها
على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا
فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا
كما حرمت مكة فإن قالت العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني وقيل قريش
قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وإن هي
المخففة واللام هي الفارقة والمعنى أن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك
في الفتنة بالاستنزال عن الذي أوحينا إليك من الأحكام لتفتري علينا

فيه

غيره

---

غيره غير ما أوحينا إليك وإذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانهم وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا إياك
لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم
والمعنى أنك كنت على صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب الركون فضلا من أن تركن إليه وهو
صريح في أنه ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن
العصمة بتوفيق الله وحفظه إذا لأذقناك أي لو قاربت لأذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ
الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة
مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب
القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وإن كادوا
أي وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم
من الأرض أرض مكة ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلا إلا زمانا قليلا
وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية
نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا الشام
مقام الأنبياء فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه
فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير وقرئ
لا يلبثوا منصوبا بإذن على أنه معطوف على جملة إن كادوا ليستفزونك
لا على خبر كاد فإن إذن لا تعمل إذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة
من قد أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة
وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله
وإضافتها إلى الرسل لأنها من أجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا
أي تغييرا أقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام
أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فإن الدالك لا يستقر بل

أو ضعفت عليك

وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتوقيت
مثلها في لثلث خلون إلى غسق الليل إلى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء
الأخيرة وقرآن الفجر وهو صلوة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الأمر بإقامتها
على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا إن قرآن الفجر كان مشهودا تشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء
والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه
أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس إن فسر الدلوك
بالزوال ولصلوة الليل وحدها إن فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه
واستدل به على أن الوقت يمتد إلى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض
الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك
على الصلوة المفروضة أو فضيلة لاختصاص وجوبه بك عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل
مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة رضي الله عنه
أنه عليه السلام قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ولإشعاره
بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذلك إلا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه
أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام وقل رب أدخلني في القبر مدخل
صدق إدخالا مرضيا وأخرجني أي منه عند البعث مخرج صدق
إخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة
وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤديا
حقه وقيل إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه
وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الأرض وقل جاء الحق الإسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك

أي من الستر

لك

الأعباء المثقلة

وزهق

من زهق روحه إذا خرج إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت
عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه عليه السلام دخل مكة يوم وفيها ثلثمائة وستون صنما
فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فإن كله كذلك وقيل
إنه للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء
وقرأ البصريان وننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لتكذيبهم
وكفرهم به وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله
ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد
بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب
أو على أنه بمعنى نهض وإذا مسه الشر من مرض أو فقر كان يؤسا
شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل أحد يعمل
على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه
وأحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أسد طريقا
وأبين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الإنسان ويدبره قل الروح من أمر ربي
من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء
جسده أو وجد بأمره وحدث بتكوينه على أن السؤال عن قدمه
وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش
سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها
أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وأبهم الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح
جبرئيل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه
من وحيه وما أوتيتم من العلم إلا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم
فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة
من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل أكثر
الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله المعرفة لذاته وهو
إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن إدراك ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك

عطفه ابطه
ودر بكه

نهض قام

اليأس القنوط

الروح الرحمة

وقيل عيسى

٣ الروح من امر ربي ه

اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض
صفاته قد روي انه لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام
انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام الاية وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم
من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده
وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير
الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جواب القسم النائب مناب
جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف
والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا باسترداده
مسطورا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك او يجوز
ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به
فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا
كان منه له وانزال الكتب عليه وابقاؤه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال
المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان
واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة
ولولا هي لكان جوابا للشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول
زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به
ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه
معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الاية
تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا
نوعه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن
من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا
في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز
ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا
بعدما الزمتهم الحجة ببيان الاعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه
الكوفيون تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين

لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك
بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
يعنون قوله او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا
ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع
القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر
او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا
بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها
كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا
من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقرئ به واصله
الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا
من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة
هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون
قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات
اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل
واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم
عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا
لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يمكنهم من الاجتماع
والتلقي منه واما الانس فما هم عما هم ان ارادوا الملك الى المتلقي
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل
ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول
اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار
المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم

وشهيداً نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيراً بصيراً يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشرون على وجوههم قال عليه السلام ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيراً توقداً بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاماً ورفاتاً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقاً منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفوراً الا جحوداً قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذاً لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتوراً بخيلاً لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهودياً سأل النبي عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربو ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع سميت بذلك لانها

ما يقر

مستعرة

الضنة البخل

موز

تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله فسال على الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك ولتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصباً بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحوراً سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرء الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبوراً مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكاً قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول الحق واليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبوراً على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقاً بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعاً فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفاً مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبساً بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه وما انزلناه من السماء الا محفوظاً بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اولاً وآخراً وما ارسلناك الا مبشراً للمطيع بالثواب ونذيراً للعاصي بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآناً فرقناه نزلناه مفرقاً منجماً وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوماً شهدناه وقرئ بالتشديد

بحت صرف

وشهد ما شهد

لكثرة نجوما فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث
على مهل وتؤدة فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن إيمانكم
بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله إن الذين
أوتوا العلم من قبله تعليل له أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير
منكم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي
وأمارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك
وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث
بإيمانهم وإعراضهم إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان سجدا يسقطون
على وجوههم تعظيما لأمر الله أو شكرا لإنجازه وعده في تلك الكتب
ببعثة محمد عليه السلام على فترة من الرسل وإنزال القرآن عليه ويقولون
سبحان ربنا عن خلف الوعد إن كان وعد ربنا لمفعولا إنه كان وعده
كائنا لا محالة ويخرون للأذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب
فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن
حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن
خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن نزلت
حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا
أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثره الله في التوراة فالمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما
يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف اعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو
للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء
إلى المقصود وهو أجود لقوله أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى والدعاء
في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه
وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي
من الإبهام والضمير في له للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل
الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على
صفات الجلال والإكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى
تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها

بحيث

---

بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب روي أن أبا بكر
كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول أطرد
الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله أبا بكر رضي الله عنه أن يرفع
قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت
بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالإخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الألوهية ولم يكن له ولي
من الذل ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه أن يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب
الحمد عليه للدلالة على أنه الذي يستحق جنس الحمد لأنه الكامل الذات المنفرد
بالإيجاد المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك
عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه
والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه
في ذلك روي أنه عليه السلام كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية

سورة الكهف مكية مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيها على أنه أعظم نعمائه
لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف
في المعنى وانحراف في الدعوة عن جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان
قيما مستقيما معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد
فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة
يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال
من الضمير في له أو من الكتاب على أن الواو في ولم يجعل للحال دون العطف
إذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا عن أبعاض المعطوف عليه
ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما بالتخفيف لينذر بأسا
شديدا أي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الأول اكتفاء
بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق إليه من لدنه صادرا من عنده
وقرأ أبو بكر بإسكان الدال إسكان الباء من سبع مع الإشمام ليدل
على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع ويبشر المؤمنين

الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الأجر
أبدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر
الإنذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وإنما لم يذكر المنذر به استغناء
بتقدم ذكره ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى أنهم
يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم
بالمعنى الذي أرادوا به فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر
والأثر أو بالله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه ولا لآبائهم الذين
تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه
والتشريك وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ
وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من أفواههم صفة لها
تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لأن كبر ههنا
بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الإشمام إن يقولون إلا كذبا فلعلك
باخع نفسك قاتلها على آثارهم إذ ولوا عن الإيمان شبههم لما تداخله
من الوجد على توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الإضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا
القرآن أسفا للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والأسف فرط الحزن والغضب
وقرئ أن بالفتح على لأن فلا يجوز إعمال باخع إلا إذا جعل حكاية حال ماضية
إنا جعلنا ما على الأرض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولأهلها
لنبلوهم أيهم أحسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه
بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله عليه السلام
وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الأرض التي قطع
نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا
مستويا بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه أم حسبت بل أحسبت
أن أصحاب الكهف والرقيم في إبقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا
عجبا وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع
الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين
من مادة واحدة ثم ردها إليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر
الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه
كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية وليس بها إلا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه

أسماؤهم

أسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا
يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة عليهم وسدت بابه
فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد
استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم
فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت
ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين
شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها
إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل
حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني
امرأة فطلبت مني معروفا فقلت لها والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت
ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت
إلي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت
أخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها
اللهم إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث
كان لي أبوان هرمان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي
فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت
ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي
على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله
عنهم وقد رفع ذلك نعمان بن بشير إذ أوى الفتية إلى الكهف يعني فتية من أشراف
الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو وهيئ لنا من أمرنا
من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين
أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة إحداث
هيئة الشيء فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم
إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته
في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل
التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم أيقظناهم لنعلم
علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا أي الحزبين
المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم أحصى لما لبثوا أمدا ضبط أمدا لزمان
لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو
فعل ماض وأمدا مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام

وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم
هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب
منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية
شبان جمع فتى كصبي وصبية امنوا بربهم عن ايمان وزدناهم هدى بالتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار
الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط
اي بعيدا عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه
الهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه لا
مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على
الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتموهم ومعبودهم الا الله فانهم كانوا يعبدون
الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية
على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية
على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه
لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع
عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به
اي تنتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرا
نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع
والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد
اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم
لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت
التاء في الزاء وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ
تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال
يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف
يعني وسطه بحيث ينالهم روح الهوى ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر
الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها
مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية

لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع
عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شانهم وايواؤهم
الى الكهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة
وغاربة من آيات الله من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد مثل اصحاب
الكهف والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات
كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار بها
ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده
وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود
نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تاكل
الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء
والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم
اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه
الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع
مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة وكالبهم اي وصاحب
كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل
بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت
عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لان التولية من الفرار والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما البسهم الله من الهيبة او
لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رض
انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم
فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك
فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فارسل ناسا فلما
دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملئت بالتشديد
للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك
بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا
بينهم ليسال بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا
يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا امر البعث ويشكروا ما انعم
عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء
على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة لبثه ولذلك احالوا العلم
الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم

وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة كان انتباههم ظهيرة
ظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى
المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ حمزة
وابو بكر وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما او غير
مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل
على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها
ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن
بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم
في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا
على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا اذ دخلتم في ملتهم وكذلك
اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم
ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى
ان يتوفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل
والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها
الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي
اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم
يقولون تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقولون يبعثان معا
ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم
ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال الآخرون ناموا نومهم اول مرة
او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال
آخرون لنتخذن عليه مسجدا يصلى فيه كما قال فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا

لهم

التفتيت التفتت

امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك يحكى
ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا
فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا
بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن
وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم
الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل
فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول
من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال
يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد
من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون
رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب
من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه
على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار
الرسول لهم عن جبرئيل عليه السلام وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل
ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب
وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة
المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل
ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث
وبان ادخل فيها الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها
بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رض هم سبعة وثامنهم كلبهم
اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش
ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل
الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا
فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص
عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احد

تتمه

ولا تسال احدًا منهم عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال متعنت يريد تفضيح المسول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدًا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدًا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يومًا حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسًا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يعطيني لاقرب من هذا رشدًا لاقرب رشدًا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدًا وادنى خيرًا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعًا يعني لبثهم فيه احياء مضروبًا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين عن ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال

الخبر الحديث

فلا يخفى

فلا يخفى عليه علمًا ابصر به واسمع بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدًا منهم ولا يجعل له فيه مدخلًا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى رسول الله على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدًا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المومنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحًا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلًا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهره بقوله

ونظر
وقف

يعبر عنه

واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا
اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل
ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال
العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته ليس بمشيته انا اعتدنا
هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم
من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء
كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله
فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته
وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب
المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب
المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف
تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا
على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض
على الاول استينافا لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور
وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار
جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان
واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج
وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة
المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا
متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين
او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن
اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها

بها

ضياعا

---

ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه في وجوه الخير وال امرهما الى ما حكاه الله
وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو اسود بن عبد الاسد ومؤمن
وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلعم جعلنا لاحدهما جنتين
بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه
القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا طفت بهم حوله فتزيده الباء مفعولا
ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما
جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب
الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ
كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد
في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا
خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر
ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء
واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال
لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر
منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم
الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها
وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به من الدنيا تنبيها
على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او
لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة
واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد
ان تفنى هذه ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن
الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن
خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده
انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه
اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك
القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال
جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى

ربي
بالالف وبالقصر

ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من تراب فان من قدر بدا خلقه منه
قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه
فتلاقت النونان فكان الادغام وقراه ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف
في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ
لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا
او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله
ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت
جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله وما شاء الله كائن
على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف
اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء الله ابقاها وان شاء ابادها
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك
من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام
من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن
انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا
للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني
وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك
في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك
حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى
الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح
صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح
ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا
للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه
وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا
غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب
كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب
لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا
على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض
وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا
فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن

حزه

له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع
الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر
على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده
لا يقدر عليها غيره ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله
هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي
بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب
ولا يمنع منه ولا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان
عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو
والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد
وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب
مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبهها الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة
زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا
لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات
حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل
من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما
مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به
ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت
بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان
الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة
الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات
واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به
من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين
ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل بها
في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها
فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والجبال

لهم

وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم
وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد تسير وترى لتحقق
الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ما
ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر
نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدير
لتركه الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا
على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم
بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار
القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة
لا شي معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث
والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب
صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع
الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا
ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين المهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها عدها واحاط بها
ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لانه مقدمة للامور المقصود بيانها
في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه
من سنن ابليس او لما بين حال المغتر بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب اغترارهم ٥٠
حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها
عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم
نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب
كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل
كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره
بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة
وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة
افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب
وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم ٤٩

بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته
٥١ ما اشهدتهم خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد
في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم
اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع
الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع
الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك ولا خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا
تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه
لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرا وما كنت
على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا
بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله تعالى
للكفار وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم
ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة
هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان
او مصدر من وبق يبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم وهلاك
في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه
ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل
وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى
وهو الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار
عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير
ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرا
الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين
وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه
على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا ليزيلوا بالجدال

الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل
ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي
يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا
استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر
والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير
وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تعليقا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون
واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهادا على ذلك
قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة
لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه
وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدا خبره اهلكناهم
او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما
ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه
ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخير العذاب عنهم
وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا
على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر
لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف ثم فانه كان يخدمه ويتبعه
ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة
حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه
ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون
لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي
الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه
وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر
والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق
والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع

او مضي الحقب وحتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب
الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى ع خطب الناس بعد هلاك
القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم
منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان
الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي
الى ايام موسى ع وقيل ان موسى ع سال ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي
بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا
في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف
اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى
ان يطلب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل
توضا يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء
وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب
فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا
من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت
فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه
او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال
لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد
الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر
غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى
وقيل هي الصخرة دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت
ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني
ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو
اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت
عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى

ما اصابني

والقيها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب
شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه
الى الشيطان هضما لنفسه ولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها
باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا
عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل
هو مصدر فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا
من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا
قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا
على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا
اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا
الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم
الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن
على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف وقرأ ابن كثير باثبات الياء
في الوصل والوقف ونافع وابو عمرو في الوصل والباقون بحذفها في الحالين
مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين
وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد
المحذوف وكلاهما منقول من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون
علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب
شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي
ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا
وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن
ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله
قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه
من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه
بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما
اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز
او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا
معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة
الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه

نحو الالف

كلمة

موسى بن يوشع

تحصيله من الخضر

اي لم تحط به حقيقته

زمنه اشيا ينبغي عنه

---

على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء
فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه
ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة
فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال
اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق
اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اي اتيت امرا عظيما
من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير
لما ذكره قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني
وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه
في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك
اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام
والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري
بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول
ثان لترهقني فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل
عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه
كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا
زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس
عن يعقوب زاكية والاولى ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط
والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت
صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا
فيقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل
تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله
من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل
فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت
شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب
وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد
فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر
لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار

بالثقل

ونكر

عليه

التمام

ثانية قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدني بضم الدال وتخفيف النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال كاسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص عن عاصم الذال قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي

يأخذ

يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر

[illegible]

والثالث تحير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف يشاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضي سمع معاوية يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل

على

على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا بلا تنوين على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله تعالى اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف

المنصرفه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم
وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يُفقِهون اي لا يُفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجموهم
وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج
قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم
اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع
قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا
نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي
قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون
من الخراج فلا حاجة لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني
بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما
حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق
رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي
رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه
قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني
بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة
من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين
بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين
وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات
من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف
للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله
جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا
اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو المعمول
الواحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالتباس

التلعثم بالتركي دزجكمك

عن خروجهم

آتقطره كسرتشا

علبس

يحسبون

---

وقرا حمزة وابو بكر قال ائتوني موصلة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا
من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده
وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء
وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم
حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب
عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور
مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا
هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك
لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي
حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون
في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا
للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم
الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد
والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم
عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت
اسماعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار
ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين
نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد
ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة
وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل
وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع
اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم
كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف
فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون

حوثا

صدر

يعلو

يعلى

صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن
او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء
فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا توزن به
اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز
ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف او جزاؤهم بدله
وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي
هزوا بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا
اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد
الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما تمد به
الدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر
البحر لنفد جنس البحر بأسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي
فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا
زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود
من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد
والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء
ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب
نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي
الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم
بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يؤمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا
يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه ويطلب منه اجرا
روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله عليه السلام اني لاعمل العمل
لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت
تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
في الطاعة وعنه عليه السلام من قرأها عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له
نورا في مضجعه كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

GAZI HUSREV BEGOVA BIBLIOTEKA SARAJEVO

---

هذا كتاب تفسير القاضي البيضاوي من المجلدين المجلد الاول
من البيضاوي من سورة الفاتحة
الى سورة مريم [illegible]